لعنة الفراعنة

بين الحقيقة والخيال

دكتور / محمد على



بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اسم الكتاب : لعنة الفراعنة بين الحقيقة والخيال

إعداد : محمد على

رقم الإيداع : ٢٤٧٩٠ / ٢٠١٤

الطبعة الأولى ٢٠١٤

مكتبة جزيرة الورد

القاهرة : ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل

ش ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ - ٢٧٨٧٧٥٧٤

إهداء إلى

- روح أبي ومعلمي الفقيد الغالي الذي مازال حياً بداخلي أتلمس خطايا وفق نصائحه وعلى هدى حكمته وبصيرته رحمك الله أبي الغالي .
- أمي الحبيبة رفيقة دربي
- روح فقيد الأمة العربية أسد الصحراء الفارس المغوار شهيد النضال الشيخ المجاهد عمر المختار
- أفراد أسرتي وقبيلتي في ليبيا ومصر والوطن العربي
- روح شهداء وطني الكبير ليبيا وموطني الصغير درنه .
- كل شهداء العرب في بقاع أوطاننا الغالية .
- أستاذي دكتور عبد الحليم نور الدين أستاذ اللغة المصرية القديمة بجامعة القاهرة
- أستاذي علاء عبد المحسن شاهين – عميد كلية الآثار جامعة القاهرة
- أستاذي سعادة السفير عاشور بن راشد
- سعادة السفير أحمد الغمراوي
- سعادة السفير فائز جبريل سفير ليبيا بمصر
- أستاذ على الدرباك
- الأستاذ الدكتور هورس إدوارد عالم المصريات بجامعة ويلز البريطانية
- كل من أحاطني بنصيحته وأفادني بعلمه

المقدمة

يا من تذهب سوف تعود

يا من تنام سوف تنهض

يا من تمضى سوف تبعث

بتلك الجمل المذكورة بكتاب الموتى عن بردية (آنى) المعروضة بالمتحف البريطانى قامت الديانة الفرعونية، والتى تعتقد بفكرة البعث ورد الروح للجسد بعد الموت فى العالم السفلى . ولكن هل لهذه الجمل صلة مباشرة أو غير مباشرة بما يطلق عليه لعنه الفراعنة والتى تصيب كل من يقترب منها سواء كان مستكشفًا أو باحثًا عن كنز من كنوزها المدفونة فى سراديب المقابر؟

إنه لغز خارق يهيم بنا على أمواجه ولا ندرى إلى أى شاطئ يحملنا، هذا أقل ما توصف به أسطورة لعنة الفراعنة التى رسخت فى أذهان عاشقى الحضارة المصرية والباحثين والمنتظرين لانبعاث الأسرار المرتبطة بالكهنة والفراعنة القدامى من العالم الآخر. فليس غريبًا أنَّ الناس كانوا قديمًا يخافون دخول الأهرامات أو الاقتراب من أبى الهول خوفًا من الغموض الذى يكتنف حوادث الموت والهلاك، والتى يشاع أنها أدَّت لوفاة عدد كبير ممن تجرؤوا على فتح مقابر الفراعنة حتى أنه إذا ذُكرت اللعنات وما ارتبط بها من حوادث غريبة قفز إلى الذهن "لعنة الفراعنة .

إنه رعب لعنة الفراعنة..

ولفترة طويلة وحتى يومنا هذا، لم يعد هناك حديث للصحافة ووسائل الإعلام، سوى عن الفراعنة ولعنة الفراعنة، وظهرت في الأسواق كتب، ودراسات، وروايات، وحتى أفلام سينمائية، تدور كلها حول هذه اللعنة، وقد تم الحديث كثيرًا عن (لعنة الفراعنة)، وعن عملية تشريح مومياء (توت عنخ آمون) .

ربما تكون أسطورة (لعنة الفراعنة) ناشئة عن الكثير من الحالات الغامضة . كان من أشهرها ما ارتبط بأحد أعظم الاكتشافات الأثرية في القرن العشرين (الكشف عن مقبرة توت عنخ آمون) . والموت الغريب الذى لحق بجميع العمال والمهندسين والأطباء والأثريين . وتلك العبارة الغامضة التي كانت مكتوبة عند مدخل غرفة الملك " : إن الموت يضرب بجناحيه السامين كل من يعكر صفو الملك " .

ولك أن تتخيل أن تلك اللعنة قد أصابت اثنان ممن كانوا علماء عصرهم ، ففى سابقة وليس لها مثيل أعلن العالم الفرنسى الكبير (چان فرانسوا شامبليون) اكتشافه لسر (حجر رشيد)، وقد أدى ذلك الاكتشاف إلى الانفتاح الكامل على الحضارة الفرعونية لمعرفة أسرارها ومحاولة سبر أغوارها، وفى ليلة وضحاها أصبح (شامبليون) واحدًا من أعظم علماء عصره وفجأة وبدون مقدمات أيضا أصابته (لعنة الفراعنة) .

فقد أصيب (شامبليون) بشلل رباعى وبحمى غامضة وأصبح يهذى ويهلوس عن الفراعنة وانتقامهم وأنه يرى أشباحهم حتى مات تاركًا وراءه لغزًا كبيرًا.

وكان ذلك أيضا حال (تيودور بلهارز) أستاذ علم التشريح ومكتشف أكبر مرض يصيب المصريين (البلهارسيا) .

فقد قضى (بلهارز) شطرًا كبيرًا من حياته يحارب (البلهارسيا)، وقد تكونت فى رأسه فكرة عجيبة ، فقد أحضر بضعة مومياوات للفراعنة التى تم العثور عليها وقام بتجاربه عليها ، وقد عثر بالفعل على بعض ديدان (البلهارسيا) محنطة

وموجودة داخل المومياوات ، وكان هذا يعنى أنه قد نبش قبور الفراعنة واستخرج مومياواتهم ومَثَّل بها أيضا .

لذلك كان مصيره أن تصيبه (لعنة الفراعنة) وكانت أعراضها هى تقريبًا كسابقيها .

لم يمض وقتًا طويلًا حتى ظهر جدل آخر ، وذلك بعد غرق السفينة الأسطورية (تيتانيك) ، ففى حديث عابر مع أحد البحارة الناجين ذكر أن المخزن كان يحتوى على تابوت به مومياء فرعونية ، ارتبط وجودها بأحداث غريبة كانت تحدث داخل السفينة، ففى الليل كان البحارة يسمعون تأوهات الفراعنة ويرون أشباحهم ، حتى أن العاملين بالمخزن كانوا قد طلبوا الانتقال للعمل فى مكان آخر ولو كان على حساب رواتبهم أو حتى مضاعفة جهدهم وساعات عملهم ، ولكن الكثيرين لم يلتفتوا إلى هذا السبب فى غرق السفينة الأسطورية ، ولكنه جذب اهتمام من هم يبحثون عنها بالتأكيد .

ربما ستظل اللعنة موضع تساؤل لقرون قادمة دون أن يصل أحد لحقيقتها، وسيظل السؤال الرئيسى :هل هناك ما يسمى بلعنة الفراعنة .

وستنبثق من هذا المنطلق علامات استفهام حول ماهية اللعنة وعلى ماذا تدل ؟ وهل سيظل الموت يقضى على أى شخص يحاول أن يبعث بمومياء الملك النائمة فى هدوء ؟ وهل يستطيع أى إنسان مهما بلغت قدرته من أن ينهى حياة الآخرين ؟

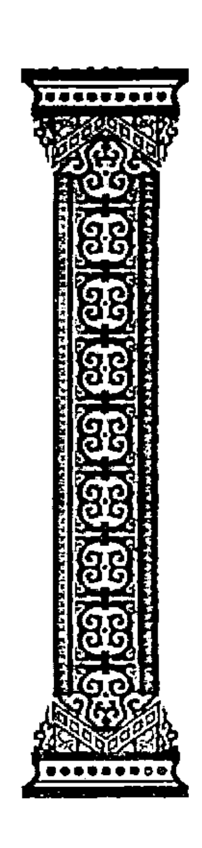
ربما تكون أغلب الحالات المرتبطة بموضوع لعنة الفراعنة مبالغ فيها ولعامل الصدفة دورًا رئيسيًا فيه، أو ارتبط بكون أغلب المقابر الأثرية التى يجرى فتحها حديثًا تمتلئ بالهواء السام من جراء الإغلاق لآلاف السنين ليصبح تأثيرها قاتلًا فى بعض الأحوال على من يدخلها بعد فتحها مباشرة ، أو أنها سموم أو كائنات تسبب الأمراض لها خاصية الاحتفاظ بقدرتها عبر آلاف السنين أو حتى إشعاعات مميتة

تصدر من العناصر الكيماوية النادرة التى حتفظوا بأسرار خواصها، وقد وضعت قصدًا كحماية لجسد الفرعون تلازمه حتى تحافظ على جسمه المحنط والمذهب من عبث البشر حتى تمكنه من تحقيق بغيته فى الخلود الأبدى، لكى يحموا مقابرهم التى حوت على كنوزهم حتى تصحبهم فى رحلتهم الأبدية .

ربما كانت هناك أساليب استخدمها العلماء الموهوبين من أجل حماية المقبرة تم اكتشافها فى عصرهم وطواها النسيان بعد أن رحلوا .

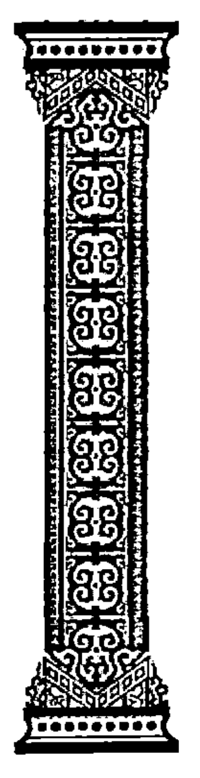
الإجابة ستكون واحد من اثنان: إما أن هذه الوفيات المتزامنة والمتداخلة مع بعضها البعض، والحوادث الغريبة كانت من قبيل المصادفة البحتة وهى فرضية جدلية يصعب تصديقها . فكيف لكل هذه الحوادث أن تجتمع وفق هذا النسق الدقيق . أو إنها نتيجة تخطيط مدبر محكم حاول العلماء تفسيره فى إطار علمى وهو ما يطلق عليه لعنة الفراعنة .

إن ظاهرة لعنة الفراعنة تحتاج إلى النظر إليها بعقلية مفتوحة تتقبل كل الآراء بدون تعصب، أو رفض قطعى، وبمنتهى الحيادية بدون تحمس زائد حتى يتسنى لمن يبحث فيها أن يرصد الوقائع، ويبحث فى الظروف ويستعرض كافة الاحتمالات، وهذا النهج هو ما تم الحرص عليه أثناء تناول موضوعات هذا الكتاب .



الفصل الأول

المقصود باللعنة



الفصل الأول

المقصود باللعنة

مما لا شك فيه بأن هناك مواضيع تستحق الدراسة سواء من الناحية الأثرية أو الدينية، ومن هذه المواضيع موضوع اللعنة .

وفى حقيقة الأمر فإن أمر اللعنة لم يذكر فى الحضارة المصرية القديمة فقط بل ذكرت فى حضارات كثيرة، وفى الكتب الدينية السماوية والغير سماوية أيضا . وأصبح موضوع اللعنة من المواضيع التى تشغل بال الكثير من الناس والعلماء والمثقفين، ولكن هذا الأمر تزايد بكثرة فى الأحاديث عن الحضارة المصرية القديمة، بل وأصبح حديثًا عالميًا منذ اكتشاف مقبرة (توت عنخ آمون) وحتى يومنا هذا .

بل أن موضوع اللعنة ذكر فى أصدق كتاب على الأرض وهو القرآن الكريم، ومن هنا ظهر مفسرى القرآن الكريم وتأويلهم لتفسير وتوضيح كلمة (اللعن) ومفهوم كلمة (اللعنة) وما إلى آخره . ولذلك فمن العجيب أن ينكر البعض اللعنة، أو يفسرها بطريقة غير علمية، أو مدروسة وخاصة لتفسيرها الغامض من واقع الحضارة المصرية القديمة، والتغالى فيها بسبب التوضيحات التى لا أساس لها من الصحة .

ومن هنا وجب علينا دراسة مفهوم اللعنة من الناحية الدينية واللغوية والأثرية ليكون الموضوع بذلك قد حسم بأمر واقعى بعيدًا عن الخيال والتأويل الخاطئ لما يقع من أحداث محيرة لدى الكثير من الناس حتى يومنا هذا .

ما المقصود باللعنة ؟

اللعنة هى رغبة تعبر عن تمنى حصول مصيبة أو سوء حظ لأحد أو بعض الأشخاص أو حتى مكان أو شئ أو غرض، وقد تعنى اللعنة على وجه الخصوص رغبة فى إلحاق الضرر أو الأذى من قبل أى قوى خارقة للطبيعة كالله والأرواح وغيرها، ويمكن أن يكون للعنة عدة أشكال مثل دعوة أو صلاة أو تعويذة سحر، وفى العديد من النظم العقائدية يكون للعنة فى حد ذاتها (أو الطقوس المصاحبة لها) قوة مسببة فى النتيجة .

وقد تشير كلمة (لعنة) أيضًا إلى محنة يمر بها الإنسان على سبيل المثال يصف البعض الحيض لدى السيدات على أنه (لعنة حواء) .

فى اللغة :

ورد فى كتب اللغة ومنها (مختار الصحاح) أن اللَّعْن هو الطرد والإبعاد من الخير، والاسم اللعَّنْةُ، والجمع لِعانٌ ولَعَناتٌ، والرجل لعين وملعون، والمرأة لعين أيضًا، والملاعنة واللعان : المباهلة .

فى الدين :

البركة نقيض اللعنة، وتتخذ اللعنة فى النص الدينى شكل رغبة لمنع الخير أو البركة عن الشيء أو الشخص الملعون، ولكن مع ذكر اسم الله فيها فيقال : " لعنة الله عليه أو لعنة الله "، وغالبًا من تكون هذه الرغبة صادرة عن الرب أو من أنبيائه

أو حتى ملائكته، وتأثير اللعنة مقرون بقبول الرب لتنفيذ رغبة الشخص تبعًا لقوة صلته معه كأن يكون صالحًا أو نبيًا، لكن الأديان تنبذ عمومًا قيام الأشخاص باللعن فيما بينهم لئلا تنتشر البغضاء والكراهية ولأتفه الأسباب وما يترتب على ذلك من إفشال الدعوة إلى الدين أمام الكافرين به . ويكون للعنة شروط كما فى الدين الإسلامى .

وفيما يلى عرض لبعض صور اللعن المذكورة فى الأديان السماوية ؛ اليهودية والمسيحية وفى الإسلام .

١- فى اليهودية والمسيحية :

ذكر الكتاب المقدس عددًا من الأشياء والأشخاص الذين شملتهم اللعنة وهم كما يلى سواء أكانت اللعنة صادرة عن الرب أو عن الأنبياء :

أ- **الأفعى (الحية)** : وهى الأفعى التى أغوت حواء بالأكل من الشجرة المحرمة فى الجنة، حيث ورد فى الكتاب المقدس أن الرب خاطب الأفعى: " ملعونة أنت من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية على بطنك تسْعين وترابًا تأكلين كل أيام حياتك وأضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها وهو يسحق رأسك " .

ب- **الأرض** : كذلك أصابت العنة الأرض التى خرجت منها الشجرة المحرمة، والتى تخرج ثمرًا للأكل، إذ تُعتبر وفق المنظور المسيحى عقوبة ضمنية على الإنسان نفسه، إذ قال له الرب : " ملعونة الأرض بسببك بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك وشوكًا وحسكًا تنبت لك حتى تعود إلى الأرض التى أخذت منها " (**تكوين٣: ١٧-١٩**)، وبهذه اللعنة بدأت الأرض تتمرد على الإنسان، كما أصبحت الحيوانات تتمرد عليه مُمَثَّله فى الحية .

ج- قابيل (قايين) : وهو أول إنسان لعنه الرب لقتله أخيه هابيل، وهذه اللعنة نجدها واضحة فى الكتاب المقدس : " متى عملت الأرض لا تعود تعطيك قوتها " (**تكوين ١٢:٤**) .

د- ذرية كنعان ابن حام : كنعان هو ابن حام ابن نوح عليه السلام، حيث يذكر الكتاب المقدس بأن نوحًا وجه لعنة إلى كنعان وذريته ؛ وتعرف باسم " لعنة حام "، والبعض يرى أن تلك الحادثة تعبر عن ديانة لها أيديولوجية فى التمييز العرقى لتبرر استبعاد نسل حام من الأفارقة .

ورد فى الإسرائيليات ما يُعتقد أنه تصنيف حامى غير دقيق، وأنه مجرد وصف لشعب، أو شخص بصفات ذميمة، أو أنه على درجة أقل من الشعوب الأخرى، حيث ورد أن حام وأبنائه ملعونون وكُرِسوا لخدمة أبناء (سام) و(يافث) من أبناء نوح الأربعة بحسب الرواية التى تقول أن حام قام بالاستهزاء والنظر إلى عورة أبيه نوح مما دفع الأخير لدعوة الله أن يلعن ذريته .

ه- المخطئون : وهم الذين عصوا الرب، حيث وَرد ذِكر عدد من اللعنات على أولئك المخطئين فى عدة مواضع من العهد القديم، ومنها ورد فى سفر التثنية : " إن الإنسان البار به تتبارك الأرض، والإنسان الخاطئ بسببه تُلْعَن الأرض " .

حيث يقول الرب لمن يحفظ وصاياه : " مباركًا تكون فى المدينة ومباركًا تكون فى الحقل ومباركة تكون ثمرة بطنك وثمرة أرضك " (**تثنية ٢٨: ٤،٣**) .

بينما يقول لمن لا يحفظ وصاياه : " ملعونًا تكون فى المدينة وملعونًا تكون فى الحقل، ملعونة تكون ثمرة بطنك وثمرة أرضك " (**تثنية ٢٨ : ١٨،١٦**). وعندما تلعن الأرض يقل خيرها وتنتج شوكًا وحسكًا .

و- يهوه : الذى كان ينبغى عليه بناء مدينة أريحا – فلسطين .

ز- أطفال بيت إيل : ذهب إليشع (أحد أنبياء بنى إسرائيل) ليزور مدرسة الأنبياء فى (بيت إيل)، وكان هناك فى بيت إيل (عجل يربعام) الذى يعبدونه، ويكرهون من يوبخهم على هذه العبادة لذلك كانوا دائمًا يسخرون من الأنبياء، فسخر جماعة من الأطفال من صلعة النبى إليشع فلعنهم باسم الرب فافترس اثنين من الدببة ٤٢ طفلًا منهم، ويرى البعض أن لعنة إليشع على الصبيان هى تأديب لـ (بيت إيل) كلها لترهب الله الذى تركوه .

ويذكر الكتاب المقدس (العهد القديم) ذلك : " ثم صعد من هناك إلى بيت إيل وفيما هو صاعد فى الطريق إذا بصبيان صغار خرجوا من المدينة وسخروا منه وقالوا له: اصعد يا اقرع اصعد يا اقرع، فالتفت إلى ورائه ونظر إليهم ولعنهم باسم الرب، فخرجت دبتان من الوعر وافترستا منهم اثنين وأربعين ولد، وذهب من هناك إلى جبل الكرمل، ومن هناك رجع إلى السامرة " (**سفر الملوك الثانى ١٩-٢٥**) .

ح- **شجرة التين العقيمة** : نجد ذلك فى العهد الجديد حيث يلعن المسيح شجرة تين مثمرة مع أنه لم يلعن أحدًا أو شيئًا طيلة أيام حياته، كما لم يلعن الذين ضربوه أو شتموه، فما الذى جعل المسيح الحليم الصبور العطوف يلعن الشجرة ؟

يقول كثير من المفسرين أن الشجرة كانت مورِقة وبلا ثمر ولهذا لعنها لأنها كالمؤمن الذى يؤمن وليس له أعمال حسنة ؛ أى أنه هو الآخر ملعون أيضًا .

٢- فى الإسلام :

لا ينفى الإسلام تأثير اللعنة حتى ولو صدرت من بشر مع أن اللعنة قد تحل (بعكس هدفها) على الشخص الذى لُعن بدلًا من الشخص المستهدف فى اللعن وذلك وفقًا لمشيئة الله عز وجل الذى يختص وحده بإبطال أو تفعيل تأثير اللعنة أو عكس اتجاهها كما نجد فى الحديث الشريف التالى :

عن أبى الدرداء قال : قال محمد رسول الله ﷺ : "إن العبد إذا لعن شيئًا صعدت اللعنة إلى السماء فتغلق أبواب السماء دونها، ثم تهبط إلى الأرض فتغلق أبوابها دونها، ثم تأخذ يمينًا وشمالًا، فإذا لم تجد مساغًا رجعت إلى الذى لعن فإن كان لذلك أهلًا وإلا رجعت إلى قائلها ".

وهذا يعنى أن اللعنة قد ترجع إلى قائلها وتدل عليه إذا لم يكن المستهدف فى اللعن مستحقًا لها، ومن الملاحظ أن اللعنة ذكرت على أنها أمر غيبى يتمكن من الصعود والهبوط والسير إلى اليمين واليسار .

وقد ذكر محمد رسول الله ﷺ فى أحاديثه اللعنات على من يقترف الآثام والخطايا كمن يسب أباه أو أمه أو يذبح لغير الله أو يتشبه بالرجال من النساء أو يتشبه بالنساء من الرجال أو الذى يضع الوشم أو مارس الجنس مع مثيله أو مع حيوان .. إلخ كما ورد فى الحديث الشريف :

عن ابن عباس ﷺ قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام " ملعون من سب أباه، ملعون من سب أمه، ملعون من ذبح لغير الله، ملعون من غيَّر تخوم الأرض، ملعون من كمه أعمى عن طريق، ملعون من وقع على بهيمة، ملعون من عمل بعمل قوم لوط ".

ولم يذكر الإسلام أماكن توصف على أنها (ملعونة) أو ذات تأثير مانع للخير كما لم يعط تفصيلًا محددًا لطبيعة وشكل تأثير اللعنة .

ومع ذلك لا يعتبر الإسلام اللعن من صفات المسلمين لذلك حذر منه سواء أكان موجهًا بحق مسلم (حيًا أم ميتًا) أو بحق كافر (حيًا) أو بحق أى شيء أو دابة كما ورد فى الحديث الشريف :

عن ابن مسعود ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : **" ليس المؤمن بالطعَّان ولا اللعَّان ولا الفاحش ولا البذئ "**. – رواه الترمذى –

لعنة الله :

مع أن القرآن الكريم ذكر عددًا من اللعنات إلا أن جميعها كانت صادرة عن الله ولم تكن إحداها مقتصرة فى صدورها على أحد من البشر وهى لعنات موجهة نحو المستهدفين من الشياطين والكفار والظالمين والكاذبين بمن فيهم ممن شهد زورًا فى أعراض الناس أو من قتل مؤمنًا، ونجد ذلك فى عدة مواضع نذكر منها :

- ﴿ وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴾ (سورة النساء: ١١٧) .
- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ (سورة البقرة : ١٦١) .
- ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ (سورة المائدة ٦٤)
- ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ (سورة النور ٦ : ٧)

- ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ (سورة النساء ٩٣)

ويعتبر غضب الله أعظم من لعنته، كما قال أهل التفسير، ففى كتاب (روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني) للألوسى يعتبر اللعن الطرد عن الرحمة، والغضب أعظم منه إلى أن قال : " لا يسلم اختصاص الغضب بالكافر وإن كان أشد من اللعن " .

لعن الشيطان :

من الثابت أن الشيطان ملعون من الله كما ورد فى القرآن الكريم فى سورة النساء (١١٧) : ﴿ وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴾ ، ومع ذلك ينبغى على المسلم عدم لعن الشيطان والاكتفاء بالتعوذ من شره وكيده لأن كيده عظيمًا، وقد ورد فى الحديث الشريف أن رسول الله لم يلعن الشيطان مباشرة بل لعنه فقط بلعنة الله، وكان لهذه اللعنة تأثير غيبى قوى ومباشر على إبليس بعد أن هدد محمد رسول الله عليه الصلاة والسلام بشهاب نار كما يرد الحديث الشريف التالى :

عن أبى الدرداء قال : قام رسول الله ﷺ يصلى فسمعناه يقول : " أعوذ بالله منك"، ثم قال : " **ألعنك بلعنة الله ثلاثًا** "، وبسط يده كأنه يتناول شيئًا فلما فرغ من الصلاة قلنا يا رسول الله قد سمعناك تقول فى الصلاة شيئًا لم نسمعك تقوله قبل ذلك ورأيناك بسطت يدك قال : " **إن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ليجعله فى وجهى فقلت أعوذ بالله منك ثلاث مرات ثم قلت ألعنك بلعنة الله فلم يستأخر ثلاث مرات ثم أردت أن آخذه والله لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثقًا يلعب به ولدان أهل المدينة** "

فى الثقافات والتراث :

تتطلب الدراسة أشكال اللعنات نصيبًا كبيرًا من دراسة كلًا من الدين والتراث الشعبى، كثيرًا ما تكون اللعنة محاولة متعمدة كجزء من ممارسات السحر والشعوذة، وفى الثقافة الهندوسية يعتقد أن لل (فكير) وهم رجال مبروكين القدرة على المباركة واللعنة على حد سواء .

وتأخذ اللعنة أسماء وأشكالًا محددة تبعًا للثقافات المختلفة، فثقافة (الهودو) وهى من السحر الذى يمارس بين الأمريكيين من أصل أفريقى قدمت لنا فكرة (النحس) و (الظروف الغير مواتية) فضلًا عن شكل من أشكال السحر الذى يتقفى آثار الأقدام حيث يتم وضع (أشياء ملعونة) فى مسار الضحايا الذين تدل عليهم اللعنات حينما يمشون فيها.

وفى ثقافة الشرق الأوسط والبحر الأبيض المتوسط نجد أيضًا اعتقاد الإصابة بالعين، والتى قد تكون نتيجة للحسد، ولكن نادرًا ما يقال أنها نتيجة للعنة متعمدة.

ومن أجل الحماية من العين توضع قطعة دائرية من الزجاج الأزرق الداكن مع دائرة بيضاء حول النقطة السوداء فى الوسط وتسمى بـ (الخرزة الزرقاء) وهو ما يذكرنا بالعين البشرية وقد تختلف قطع الحماية فى حجمها .

وكان الشعب الألمانى بما فى ذلك الهولنديون فى ولاية بنسلفانيا يتكلمون بشكل من التمائم السحرية، وكان أكثر التمائم شيوعًا فى الماضى تلك التى يراد منها تجفيف أضرعة الأبقار من الحليب أو التسبب فى عرج الخيول.

واستخدم (الأبوريغينال) من سكان أستراليا الأصليين طريقة يشيرون فيها إلى الشخص المستهدف باللعنة من خلال قطعة تكون على الأغلب عظمة ومع تركيز قوى وطقوس معينة يعتقدون أن ذلك يؤدى إلى موت الشخص المستهدفبعد فترة. ورغم أن تلك الممارسة منتشرة فلا تعتبر جريمة بحسب القانون الأسترالى .

أشكال اللعنات فى الثقافات :

١- أغراض ملعونة :

يزعم أن الأغراض التى تسرق من مالكيها الشرعيين أو التى تنهب من صندوقها المحرم تحل عليها اللعنة . ويعتقد أن (ماسة الأمل) تحمل معها لعنة من هذا النوع والتى تجلب سوء الحظ لصاحبها . ومع أن القصص تختلف فى تحديد سبب اللعن لكنها تتفق فى أن اللعنة تجلب سوء الحظ أو تتجلى معها ظاهرة غير عادية .

وهناك أغراض طالها (النحس) حتى لو لم تكن مسروقة، فقد لقى (چيمس دين ١٩٣١-١٩٥٥) - وهو ممثل سينمائى شهير شاب - حتفه فى حادث سيارة من موديل سيارة كان من نتيجتها ٥ قتلى وجرحى وعدد ضخم من حوادث الاصطدام.

يبدو من الصعب تحديد من كان مسؤولًا عن كافة تلك الأحداث لذلك يميل الناس إلى الاعتقاد بوجود أمر شرير فى داخل هذا الشيء يعتقدون أنه تسبب بكل تلك الحوادث بدلًا من أن يلقوا اللوم على أفعال كل فرد فى كل حادثة .

٢- قصص ملعونة :

وفقًا للمؤرخين فإن أمر القصص الملعونة يرجع إلى أوربا الشرقية فى القرن ١٦ و ١٧ حيث كان الطغاة من الغجر يلقون بلعناتهم فى قصة بهدف معاقبة أعدائهم ومن ثم يقطعون ألسنتهم بحيث لا يتمكنوا من رواية القصة مجددًا .

ويزعم أن القصة المصابة تؤدى بالضحية إلى أن تحمل حظًا سيئًا وبطيئًا (إلا إذا جرى تمريرها) إلى أن يوافيها الموت المحقق، لكن إن تمكنت الضحية من تمرير القصة بشكل ما إلى شخص آخر فإنه سيتلقى حظًا جيدًا، وإذا ذكرت تفاصيل معينة مطلوبة فى القصة فإن هذا يؤدى إلى رفع اللعنة عنها .

٣- الرأس المسكون :

هى أكثر القطع الأثرية إثارة للاهتمام فى المتحف الأكثر إثارة للخوف فى المملكة المتحدة متحف الشعوذة The Museum of Witchraft الذى يعد بمثابة ثروة وطنية بالنسبة للوثنيين والمجتمعات البديلة فى كل أنحاء العالم وهو رأس إنسان قيل أنه ينتقل من تلقاء نفسه .

وتعد هذه الرأس المغطى بالقطران (القار)، بالإضافة إلى صندوق قديم مخصص لحفظ الكتاب المقدس من أكثر المعروضات غرابة وشعبية فى المتحف، وقد كانا لسنوات عديدة موضع الكثير من التكهنات بخصوص تاريخها ومنشأها الأصلى والغرض منها .

ويصفها زوار المتحف بحضور روحانى أو هالة Aura تحوم فى أرجاء المعروضات وأصبغ على المكان صفة (المسكون) .

وعندما حفظت الرأس بعيدًا لئلا يلحق به أى ضرر على طرف طاولة فى غرفة نوم مالك المتحف (جراهام كينج) كانت السبب فى اعتقاده أنها مسئولة عن مجريات الأحلام المتكررة التى عاشها فى ذلك الوقت . وفى إحدى هذه الأحلام أتاه اسم (هاري) لذلك الرأس المجهول الأسم والهوية .

ويقدم (سيسيل وليامسون) المؤسس الأصلى للمتحف شرحًا عن تلك الرأس فيما يلى نصه :

" من فضلك لا تكره هذه الجمجمة فهى مثلك كان بمقدورها مرة أن تضحك وتبكى، لكن الذين فى موقع السلطة ارتأوا لحكمة وجودها أن يقطعوا رأسه ويغطسوه فى مرجل من القطران ليعرض الرأس بعد ذلك كتحذير للجمهور.

وفى تاريخ لاحق استرجع الرأس روحًا طيبة كانت على الأغلب قسيسًا لتنقذه من سوء المعاملة فتضعه فى صندوق الكتاب المقدس .

ومن ثم سقطت قنابل هتلر على كنيسة لندن حيث تم العثور على الصندوق بين الأنقاض عند الجدار الشرقى للكنيسة آنذاك وخلف المذبح مباشرة. فما كان من القائمين فى الكنيسة إلا أن رفضوا الاحتفاظ بتلك القطعة الغير مرغوب بها، ومما لا يدعو للاستغراب أن القطعة انتقلت بين آلاف الأيادى وسرعان ما نسجت حولها الحكايات .

لا شك أن رواية سيسيل مليئة بالإثارة خاصة أنه كان عضوا من شركة خفية وكان معروفًا برواية القصص الخيالية، وربما كانت بعض الأجزاء من روايته لتاريخ الرأس المذكور مجرد افتراضات وليست أحداثًا واقعية .

وقد أراد (جراهام كينج) وفريقه معرفة ما جرى بالضبط فيما مضى ليضع حدًا للقصص حول الرأس وإلى الأبد، فبدأ فى مطلع عام ٢٠١٠ إجراء تحقيق فى تاريخ الرأس، حيث استخرج (مارتن سميث) وهو محاضر فى الطب الشرعى وبيولوجيا أصل الأجناس البشرية فى جامعة بورنماوث عينة من قطعة الرأس، ومن ثم أرسلت إلى نيوزلندا لمعرفة تاريخها باستخدام فحص الكربون المشع وكانت النتائج مثيرة للاهتمام على أقل تقدير :

هناك احتمال بنسبة ٩٥٪ لأن يرجع الرأس إلى ٣٦٠ قبل الميلاد وحتمًا ليست بعد الميلاد مما يعنى أنها أقدم بكثير مما كان يظنه (سيسيل وليامسون) وأن قصته هذه عن العصور الوسطى وتقطيع الأوصال قد لا تكون دقيقة .

ويرجح أن يكون الرأس لمومياء مصرية قديمة من المحتمل أنها أنثى وتعرف الآن بإسم (هاري-إيت)، والقطران الذى غطس به الرأس هو بالأصل نوع من راتنج الخشب وربما كان خشب الصنوبر وليس القار كما كان يعتقد فى البداية، حيث اتضح أن الطريقة التى حفظ بها الرأس متسقة مع نظرية المومياء المصرية .

لكن هذا بطبيعة الحال يطرح المزيد من الأسئلة : كيف ترافق وجود الرأس مع

صندوق قديم للكتاب المقدس ؟ ومن أين أتت قصة الإعدام المتصلة بالعصور الوسطى ؟ وهل كانت بالفعل محفوظة فى كنيسة لندن ؟ ربما كانت تذكارًا جُلبت إلى إنجلترا مع هاو فيكتورى فى جمع التحف المصرية أو أتت إلى أوروبا منذ زمن أقدم وعوملت كقطعة أثرية .

٤- لعنات الفراعنة والمومياوات :

هناك اعتقاد ما زال يحظى بشعبية واسعة وله ارتباط بانتهاك قبور الجثث المحنطة أو المومياوات أنفسهم، يطلق عليه لعنة الفراعنة .

انتشرت هذه الفكرة على نطاق واسع بحيث أصبح لها دعامة لثقافة شعبية نجدها خصوصًا فى أفلام الرعب (وإن كانت اللعنة مخبأة بالأصل، مع حصول سلسلة من حالات الوفاة الغامضة وغيرها).

ويفترض أن لعنة الفراعنة أصبحت هاجس علماء الآثار الذين حفروا قبر الملك الفرعونى (توت عنخ آمون) حيث كان على قبره لعنة واضحة كتبها كاهن قديم مُهدِدًا أى شخص ينتهك فناءه، وقد حاصرت شكوك مريبة ومماثلة حفريات وفحص مومياء جبال الألب (الطبيعية وليست المحنطة) والذى دعى (أوتزى – رجل الثلج) .

وعلى الرغم من شيوع هذه اللعنات نتيجة للإثارة التى ساهم فيها الصحفيين البريطانيين فى القرن ١٩ فإن قدماء المصريين فى الواقع وضعوا علامات معروفة فى النقوش بهدف حماية معابدهم وأضرحتهم وحتى ممتلكاتهم .

بعكس الحضارات الشرقية الأخرى، كانت اللعنات نادرة فى مصر القديمة، وكان الوحيد صاحب الحق فى إطلاق اللعنات هو فرعون الذى يتكلم باسم الآلهة، فعلى سبيل المثال وجَّه (تحتمس الأول) من فوق عرشه خطابه إلى ابنته (حتشبسوت) قائلًا: " الذين يلعنون ملكهم سيموتون " .

ومرة أخرى عندما تآمرت زوجات (رمسيس الثالث) قال : " اللعنة عليهن لقد أردن قتلى ولكننى سوف اقتلهن جميعا فهن أعداء الإله " .

وفى محاكمات نساء القصر المتآمرات عى (رمسيس الثالث)، سبقت المحاكمة ما قام به فرعون من لعن المتآمرات، حتى ترفع عنهن الحصانة الإلهية، وتطبع عليهم سمة أعداء الآلهة .

ويعتبر كجزء من هذه التقاليد أن ينقش اسم الشخص الملعون على جرة فخارية، ثم تحطم هذه الجرة وهذه عبارة عن إحدى طقوس الحرمان من الحقوق القانونية .

وقد وجد (الجلباخ) – من كبار المفتشين بمصلحة الآثار المصرية فى مصر فى قبر هرم (ميدوم)، لعنة فى رقيم فى الغرفة الأمامية فى الحجرة المؤدية إلى حجرة الدفن كتب فيها : " إن روح الموتى سوف تدق عنق اللص الخطير كما يُدق عنق الإوزة "، وقد أشار الرقيم إلى روح شخص واحد ميت فقط، ولكن الموظف وجد جثتين فى المقصورة إحداهما محنطة والأخرى ليست محنطة، فالجثة الثانية كانت ضحية اللعنة، فقد قُتل السارق بواسطة حجر سقط عليه من السقف فى اللحظة التى مدّ بها يده للاستيلاء على مجوهرات المومياء . فحلت عليه اللعنة .

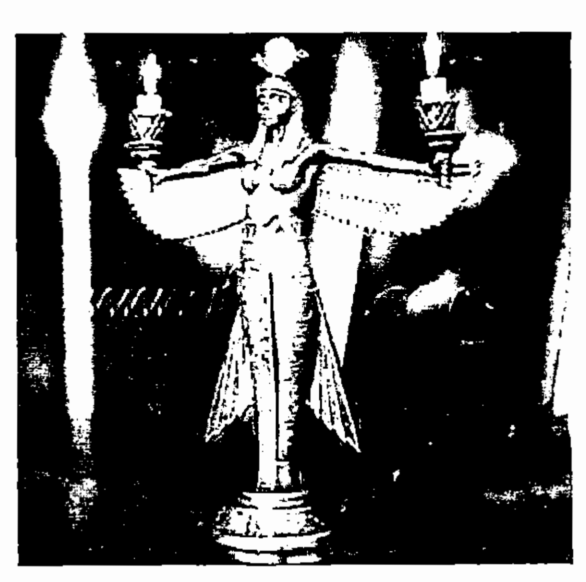
لماذا سقط الحجر ؟ وهل سقط بالصدفة أم نتيجة لتدبير محكم ؟

كذلك فإن رقم أو (ألواح) اللعنات كالرقيم الذى اختفى من مقبرة (توت عنخ آمون) كلها تشير إلى أن الآلهة هى البادئة باللعنات مثل لعنة (أوزيريس) شكل رقم (١) و(سككاريس) وهو الإله العظيم سيد (أبيدوس) ولعنة (إيزيس) الإلهة العظمى .

نصوص اللعنات:

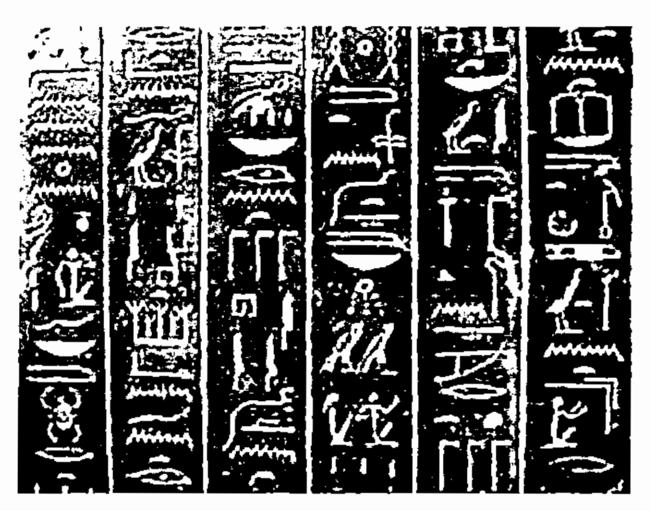
إن مفهوم لعنة الفراعنة ظهرت على صفحات التاريخ منذ القرن الثامن عشر وليس قبل ذلك عن طريق معرفة اللغة المصرية القديمة، حيث توجد نصوص شاعت بين علماء المصريات باسم (نصوص اللعنة) شكل رقم (٢) وهذه النصوص عبارة عن كتابات موجودة على أوجه المقابر تهدد كل من يلمس المقبرة بسوء أو يعتدى عليها ويسرقها بأنه لن يفلت من عقاب الثعابين والتماسيح والأشياء المخيفة، وفيها يستعين من يلعن بقوى عظمى لتساعده فى إنزال اللعنات على من يقترب من مقابرهم وفى المعابد والمقابر الفرعونية وقد نقشت كلمات تهدد بالويل للذين ينتهكون مقابر ملوك مصر.

غير أن الهدف الرئيسى من هذه النصوص هو حماية المقابر من المعتدين .



شكل رقم (١)

الإلهة أوزيريس



شكل رقم (٢)

اللعنات كانت توضع لحراسة قبور الشخصيات المهمة

نصوص اللعنات الفرعونية texts Execration، وتسمى أيضًا قوائم التحريم، هى نصوص هيراطية (كهنوتية) مصرية قديمة، تضم قوائم باعداء الفرعون، عادة ما يكون معظمهم من اعداء للدولة المصرية أو من الجيران الأجانب المزعجين .

فى معظم الأحيان كانت تلك النصوص تُكتب على مجموعة من التماثيل، المزهريات، أو كتل الطين أو الحجر، حيث يتم تدميرها لاحقًا .

كان يُقصد من الطريقة الطقسية لتفكيك الأسماء أو دفنها على أنها نوع من السحر الزائف الذى يؤثر على الأشخاص أو الأماكن التى وردت فى النص. عادة ما كانت توضح الشظايا أو الكسور بالقرب من المقابر أو مواقع الطقوس. هذه الممارسة كانت شائعة فى النزاعات مع الجيران الآسيويين لمصر القديمة .

نصوص اللعنة هى مرجع عام لباحثى تاريخ الشرق الأدنى القديم فى القرون ٢٠-١٨ ق.م، ودراسات الكتاب المقدس.

وقد نشر) كورت سيث) مجموعة من نصوص اللعنات الفرعونية عام ١٩٢٦، وتعرف بنصوص برلين . ونشر) چورج پوسنيه) المجموعة الثانية عام ١٩٥٧، وتعرف بنصوص بروكسل .

أول مجموعة قطع فخارية منقوشة، كانت تحتوى على أسماء حوالى ٢٠ مكان فى كنعان و فينيقيا، وأكثر من ٣٠ حاكم فى تلك الفترة .

هذه النصوص تحتوى على ما يحتمل أن يكون أول إشارة إلى القدس، من بداية الألفية الثانية قبل الميلاد، نهاية الأسرة الحادية عشر حتى الأسرة الثانية عشر.

المجموعة الثانية كانت منقوشة على مجموعة تماثيل سجناء اكتشفت في) سقارة. (هذه المجموعة تحتوى على أسماء ٦٤ مكان، عادة ما كانت تضم قائمة أو اثنتين لأسماء الحكام. مدرج بالقائمة أسماء سبعة بلاد آسيوية معروفة. هذه المجموعة يرجع تاريخها إلى الأسرة الثانية عشر.

مجموعة إضافية من النصوص، (نصوص ميرگيسا(، نشرها) إيفان كوينيك (عام ١٩٩٠ .

ومن أقدم نصوص اللعنة نص وجد مكتوبا فى مقبرة الكاهنة (حنوت محيت) وبها نص كامل يقول بالترجمة الحرفية التى لا شك فيها : " يا من جئت لتسرق لن أسمح لك أن تسرق فأنا حامى المرحومة حنوت محيت " وهكذا كانت البداية مع نصوص اللعنة قبل أن يتحل الأمر إلى خرافات وخزعبلات منتشرة بين الناس والأثريين حتى يومنا هذا .

- ومن أبرز النقوش المصرية القديمة التى ارتبطت بلعنة الفراعنة نقش

بالهيروغليفية يقول : " سيضرب الموت بجناحيه كل من يحاول أن يبدد أمن وسلام مرقد الفراعنة ".

- " من يقترب من هذه المقبرة سوف تنزل عليه اللعنة " ؛ هذا النص على وجه الخصوص كتب فى الكثير من المقابر بدون أن يفسر الكاهن الكاتب نفسه كيفية إصابة الإنسان بهذه اللعنة أم هو نوع من التهديد والتخويف فقط .

- وهناك لعنة أخرى على قبر بأسوان تقول : " من دخل قبرى فإنى منقَضٌّ عليه كأنه عصفور، وسيعاقبه على ذلك الإله العظيم " .

- صيغة لعنة وُجدت على تمثال مهندس عاش قبل زمن (توت عنخ آمون) بنحو مائة عام:

" من اعتدى على مالى أو خرب قبرى أو أخرج منه مومياتي، فإن إله الشمس سينتقم منه، ولن يورث أبناءه أملاكه، ولن يسعد قلبه فى الحياة، ولن يُسقى ماءً فى القبر (لروحه) وتهلك روحه إلى الأبد " .

- " ملعون كل خصى ؛ " وهذا النص ظهر لمرة واحدة فى هرم الملك (أوناس) حيث كتبت فيه نصوص الأهرامات .

- " لا تفتح التابوت فسيذبح الموت بجناحيه كل من يجرؤ على ازعاجنا " ؛ ويتضح كذلك من هذا النص بأن المتوفى لا يهمه سوى المحافظة على التابوت فقط ولا يهم باقى المقبرة حيث غرفة القرين وما إلى آخره من مشتملات المقبرة.

- " سوف يضرب الموت بجناحيه كل من يقلق الملك ؛ " وهذا النص وجد خاصا بالمثير من الملوك فقط، وحول هذا النص حدث اختلاف واجتهاد كبير بين العلماء حول إذا كان النص ظهر فى الدولة القديمة أم فى الدولة الوسطى والحديثة وبعضا من ملوك العصر المتأخر ؟؟

- نصوص عقاب الثعابين والتماسيح والأشياء المخيفة، وهى كتابات موجودة على أوجه الكثير من المقابر تهدد كل من يلمس المقبرة بسوء وأنه لن يفلت من العقاب .

د. أحمد سعيد أستاذ الآثار أكد : أن المصرى القديم كان يخاف من أى محاولات للآخر شطب اسمه لأن ذلك يحرمه من الحياة الأبدية .

وقد كتبت على بعض المقابر من يقترب من هذه المقبرة سوف تنزل عليه اللعنات لذلك قام المصرى القديم بعمل تماثيل له فى مقبرته بحيث لو الجسد فنى تذهب الروح إلى التمثال .

أما د. زاهى حواس فقال: إنه خلال استكشافه عثر على نقوش تقول: " إن من يمس قبرى سيفترسه تمساح وفرس نهر وأسد ".

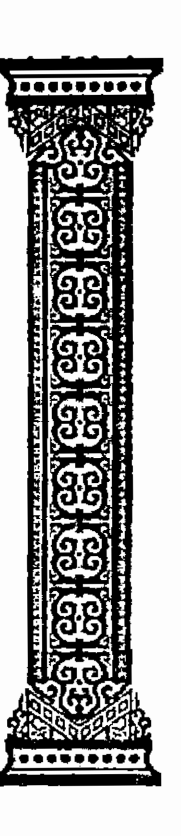
ومنذ انتشار ظاهرة لعنة الفراعنة كثرت الأقاويل من الأثريين العالميين يؤكدون أن المصريين القدماء مارسوا تقاليد سحرية، وركزوا قوة ديناميكية لمنع إزعاج الموتى .

فقد كان الشعب المصرى متدينًا يؤمن بالمعجزات والأشباح والأرواح، ولأنهم كانوا يؤمنون بالحياة بعد الموت فقد بذلوا مجهودات كبيرة لتأمين مثوى الفرعون الأخير، وكان الملوك يحيطون أنفسهم عادة بالعلماء والحكماء الذين يعرفون الحقائق العلمية، وبعكس الأشخاص العاديين كان باستطاعة الفرعون أن يخطط ببذخ لأجل دفنه أكثر مما يُبذل للمواطن العادى، حتى يتأكد أن جسمه سوف يكون محاطًا بالأبهة المطلوبة وأن يحنط تحنيطًا مناسبًا يبقيه حتى يوم البعث .

٥- أماكن غامضة :

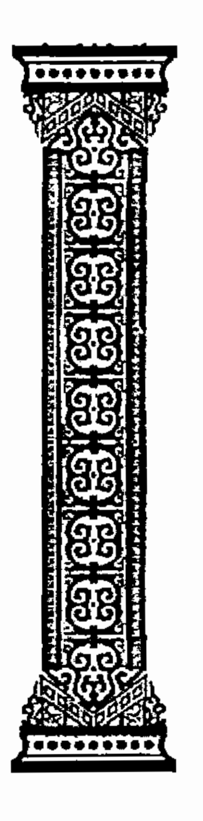
يقال أن معالم معينة أو مناطق محلية تكون ملعونة مثل (جلاميد) بجوار بلدة (بابيندا) – ولاية (كوينزلاند) على منتصف الساحل الشمالى الأسترالى، وهو مكان

معروف بأنه مسبح الشيطان، وهو مجموعة من البحيرات الطبيعية، والمعروف بأنها تشكل خطرًا كبيرًا على المسافرين من الفتية، لكنه لم يحصد أبدًا أرواح السكان المحليين أو الإناث . وهناك نشأ الخلاف حول الأخطار، حيث أن جغرافية المكان الطبيعية محفوفة بالمخاطر بسبب الصخور (الجلاميد) والتيارات المائية التى تتحرك بسرعة، كما أن للسكان الأصليين (أبوريغينال) أسطورة عن هذا المكان تمنحه صفة لعنة الفراعنة .



الفصل الثانى

لعنة الفراعنة



الفصل الثانى

لعنة الفراعنة

هل هناك حقا شيء اسمه لعنة الفراعنة ؟.

الجواب على هذا السؤال يستلزم منا معرفة وإحصاء عدد الذين ماتوا حقًا بسبب تدنيسهم للقبور الفرعونية وهتكهم لحرمة مومياتها . وفى الواقع لا توجد أبدًا مثل هكذا إحصائية، بل يستحيل وجودها، لأن أغلب الذين عبثوا بالقبور المصرية كانوا من اللصوص، وكان ذلك غالبًا فى العهود القديمة، وأحيانًا بعد فترة ليست بقصيرة على دفن المومياء وإغلاق القبر، وبطبيعة الحال لا أحد يعلم ماذا جرى لهؤلاء اللصوص .. كيف ماتوا ؟ هل قرصتهم بعوضة أم لدغتهم كوبرا ملكية ؟

لا أحد يعلم جواب هذه الأسئلة طبعًا، لكننا نعلم بأن حجم الانتهاكات لقبور المصريين القدماء كان من الانتشار والرواج والسعة بحيث أن مومياوات الفراعنة كانت تملئ أسواق مصر، وكانت الكثير من الناس يرتدون لفائفها كملابس.

وخير شاهد لنا على ذلك هو الرحالة عبد اللطيف البغدادي، وما يميز هذا الرجل ما يتصف به من أمانة وعلميَّة ودقة فى كتاباته بعيدًا عن الخرافات التى كانت رائجة فى زمانه، ويقول بهذا الخصوص :

" ومما يقوى أطماعهم (اللصوص) ويديم إصرارهم أنهم يجدون نواويس تحت الأرض فسيحة الأرجاء محكمة البناء، وفيها من موتى القدماء الجم الغفير والعدد الكثير، قد لفوا بأكفان من ثياب القنب لعله يكون على الميت منها زهاء ألف ذراع، وقد كُفن كل عضو على انفراده كاليد والرجل والإصبع فى قطع دقاق، ثم بعد ذلك تُلف جثة الميت جملة حتى يرجع كالحمل العظيم .

ومن كان يتتبع هذه النواويس من الأعراب وأهل الريف وغيرهم يأخذ هذه الأكفان إذا وجد فيه تماسكًا، اتخذه ثيابًا أو باعه للوراقين يعملون منه ورق العطارين .

ويوجد بعض موتاهم فى توابيت من خشب الجميز الثخين، ويوجد بعضهم فى نواويس من حجارة أما رخام أو صوان وبعضهم فى أزيار مملوءة عسلا .

وخبرنى الثقة أنهم بينما كانوا يتقفون المطالب عند الأهرام صادفوا دنًا مختومًا ففضوه فإذا فيه عسل، فأكلوا منه فَعَلق فى أصبع أحدهم شعر فجذبه فظهر لهم صبى صغير متماسك الأعضاء ورطب البدن عليه شيء من الحلى والجواهر .

وأما ما يوجد فى أجوافهم وأدمغتهم من الشيء الذى يسمونه موميا فكثير جدًا، يجلبه أهل الريف إلى المدينة، ويباع بالشيء النزر ولقد اشتريت ثلاثة رؤوس مملوءة منه بنصف درهم مصرى " .

يا للعجب! .. عبد اللطيف البغدادى .. فى سنة ١١٩٨ ميلادية أشترى رؤوس ثلاثة مومياوات من سوق القاهرة بنصف درهم مصرى ! . وهذا يدعو إلى تخيل حجم التدنيس والانتهاك الذى تعرضت له المقابر الفرعونية على مدى أربعين قرنًا .

إذا كان تدنيس وسرقة القبور الفرعونية فى العصور القديمة بهذه السعة والانتشار كما ورد سابقًا، فلماذا إذن لم نسمع باللعنة إلا فى العصر الحديث، إلا مع فتح قبر الملك توت عام ١٩٢٢ ؟

الجواب ببساطة هو أن تلك اللعنة لا تصيب سوى متهكى قبور الملوك والكهنة وليس عامة الناس، فاللعنات لها متطلبات ؛ من طلاسم وتعاويذ ووصفات سحرية لا يقدر عليها سوى الملك والنبلاء والكهنة .

ولهذا فإن اللعنات لم تكن توضع إلا فى قبور علية القوم، خصوصًا فى القبور لتى تحوى كنوزًا عظيمة مثل قبر الملك توت . وربما تعرض سارقو أمثال هذه لقبور للمرض والموت بسبب اللعنة فى العصور القديمة، لكننا لم نسمع عن ذلك لأنهم أولا كانوا يعملون بسرية تامة .

ثانيًا كانت عوائلهم لا تجرؤ حتما بالحديث عن كيفية وسبب موتهم خشية أن يقوم الملك أو الوالى بالقبض عليهم ومطالبتهم بتسليم الكنز.

ما المقصود بلعنة الفراعنة :

تشير لعنة الفراعنة إلى الاعتقاد بأن أى شخص يزعج مومياء لشخص مصرى قديم خصوصا لو كان فرعون فعليه لعنة .

وقد تسببت هذه اللعنة التى لا تفرق بين اللصوص وعلماء الآثار ذو النية الحسنة الحظ السيئ أو المرض أو الوفاة .

منذ منتصف القرن العشرين، ناقش العديد من الكتاب والأفلام الوثائقية تلك اللعنة الناجمة عن أسباب علمية تفسيرية مثل البكتيريا أو الإشعاع.

وبالنظر إلى طريقة تناولهم للحكايات المصرية عن لعنة المومياء، وفى المقام الأول فى الثقافات الأوروبية، والتحول من السحر إلى العلم لشرح اللعنات، مرورًا بتغيير استخداماتها من اضطراب القتلى لتسلية الجماهير فى فيلم رعب، يظهر للرائى أشارتهم إلى أن اللعنات المصرية فى المقام الأول عبارة عن ظاهرة ثقافية وليست علمية على سبيل الحصر.

وبعيدًا عن تناول الكُتّاب والسينمائيين لهذه الظاهرة، ومن خلال السرد التاريخى، هناك ثمة حالات عرضية من اللعنات القديمة الحقيقية تظهر داخل أو على واجهة قبر كما هو الحال بالنسبة للمصطبة (مدفن مصرى قديم) من (خينتيكا أخي) من السلالة السادسة فى سقارة.

تظهر على ما يبدو كتوجيه مباشر نحو الكهنة لحماية المقبرة بعناية والحفاظ على طقوس الطهارة بدلًا من التحذير من اللصوص الممكّنين.

وعلى الرغم من أن قصص اللعنات تعود إلى القرن التاسع عشر، إلا إنها تضاعفت فى أعقاب اكتشاف) هوارد كارتر(Carter Howard لمقبرة (توت عنخ آمون).

كان الملوك يحيطون أنفسهم عادة بالعلماء والحكماء الذين يعرفون الحقائق العلمية، ويتنبؤون بموعد الفيضان قبل غيرهم لم يكن ينظر إليهم كعلماء بل كأشباه آلهة، وجعل المصريون يسبغون عليهم صفة الإلوهية .

حتى شاعت المعرفة العلمية بين الناس إلى حد ما، وبدؤوا يعرفون معلومات عن التقويم والرياضيات والهندسة والفلك، عندئذ ضعف إيمانهم بالآلهة والأشباح بعض الشيء . وأدى هذا إلى سقوط الهالات من فوق رؤوس الملوك عند نهاية الدولة القديمة، ونُظِر إلى زوسر وخوفو على أنهم من البشر أصحاب القدرات الخارقة، واختفت صورة الآلهة من فوق العروش المذهبة، ولم يعد المصريون يؤمنون بالقدرات الخارقة لموتاهم .

نتيجة لهذا اضطر الكهنة والسحرة إلى الاعتماد على معارفهم التكنولوجية للإبقاء على السيطرة والاحتفاظ بالتخويف الذى كانت اللعنة تحققه قديمًا، معتمدين على عقيدة المصريين فى حياة بعد لموت، لهذا فسقوط الحجر من سقف المقبرة على رأس اللص عندما امتدت يده إلى مجوهرات المومياء لا يستبعد أن يكون نتيجة لنوع من الفخاخ التى نصبها الكهنة لحماية المومياء من اللصوص .

ولا شك أن الفراعنة كانوا يبذلون جهودًا لحماية وتأمين مقابرهم بعد موتهم، حتى يرقدوا فى سلام إلى أن تدب الحياة مرة ثانية فى أجسادهم .

وإذا كانت أسطورة لعنة الفراعنة قد ارتبطت أساسًا بـ (توت عنخ آمون)، مع أنه مات فجأة وهو صغير قبل أن يعطى اهتمامه لتأمين مدفنه ؛ فإن لهذا ما يفسره حيث أنه كان نتيجة للموت المبكر الذى مُنى به هذا الفرعون، فإن دفنه وإعداد مقبرته وحمايتها بالوسائل المختلفة أُوكِلت بشكل كامل إلى الكهنة والسحرة الذين لا شك أنهم قد استخدموا كل علمهم وخبراتهم فى ابتكار أساليب حماية المدفن الخاص بفرعون الذى صادف خاتمة عنيفة لحياته وهو فى الثامنة عشرة من عمره .

بداية الحديث عن لعنة الفراعنة :

فى الحقيقة أن لعنة الفراعنة لم تبدأ مع فتح مقبرة (توت عنخ آمون) بل كانت هناك قبل هذا بقرن من الزمان على الأقل.

ولقدارتبطت فعليًا باثنين من مشاهير العلم ؛ أو ربما أشهرهم على الإطلاق.

حياة تشامبليون القصيرة :

ذات صباح دافئ، من شتاء عام ١٧٩٩م، وبمصادفة رتبها القدر حتمًا، وأثناء الحملة الفرنسية على مصر، عثر جندى فرنسى على حجر فى مدينة رشيد المصرية، يعتبره علماء الآثار، فى يومنا هذا، أعظم كشوف القرن على الإطلاق . فذلك الحجر الذى أطلقوا عليه اسم (حجر رشيد)، والذى هو من مادة البازلت، كان يحوى كتابات بثلاث لغات هى : اليونانية القديمة، والقبطية أو الديموطيقية، والهيروغليفية.

وتعود الأهمية الأثرية البالغة لهذا الحجر، إلى أنه حتى تم كشفه، كانت

الهيروغليفية بالنسبة للعالم كله مجرد نقوش منظمة، يسعى العلماء لاستنتاج أو استنباط ما تعنيه، دون أن يتمكنوا من حل رموزها، أو تحديد منطوقها، بأى حال من الأحوال .

وعندما تم كشف (حجر رشيد)، وجد الأثريون أن الكتابة اليونانية، هى ترجمة أمينة ودقيقة للكتابة الديموطيقية، الموجودة على وجه آخر منه.

وكان هذا يعنى – من باب المنطق – أن الكتابة الهيروغليفية، هى أيضًا ترجمة أمينة ودقيقة للنص نفسه.

وعلى الرغم من أن وسائل الاتصال كانت ضعيفة للغاية فى ذلك الزمن، مقارنة لما أصبحت عليه، لكن سريعًا ما طار الخبر إلى أوروبا كلها، فانتعش علماءها، والتهب حماسهم، والتهبت عقولهم، وهم يجدون أمامهم فرصة نادرة لكشف أسرار وغموض اللغة الهيروغليفية، مع كل ما قد يحمله هذا من كشف لتاريخ مصر القديمة، وفراعنتها، وعلومها، وأسرارها الخفية، التى لم يصل العلم الحديث إلى بعضها حتى لحظتنا هذه.

ولأن (نابليون بونابرت)، الذى كانت حملته تحتل مصر، فى ذلك الحين، كان مغرمًا بالعلم والعلوم، ويرغب دومًا فى أن يرتبط عصره بالكشوف العظيمة فى كل المجالات، فقد سارع بنقل الحجر إلى باريس، حتى تتم دراسته، على أيدى الخبراء هناك.

وبكل شغف ولهفة أقبل العلماء على فحص الحجر، وتدوين ما عليه من كتابات ونقوش، ثم راحوا يدرسون، ويفحصون، ويمحصون، وييأسون أيضًا.

فالأمر لم يكن أبدًا بالسهولة التى أوحى بها منذ البداية . فلا أحد منهم كان يعلم من أين يبدأ الترجمة!!.. أمِن اليمين، أم اليسار، أم من أعلى، أو أسفل.

ولسنوات وسنوات، وعلى الرغم من كل ما بذله العلماء من جهدٍ، فقد فشلت كل محاولاتهم لترجمة اللغة الهيروغليفية، وكشف أسرارها حتى جاء (شامبليون) .

(چان فرانسوا شامبليون ١٧٩٠-١٨٣٢) رائد الباحثين فى الحضارة المصرية، كان ميلاده نبوءة لأحد العرافين حين قال لوالده أنه سينجب : " ضوءًا ينير الطريق للأجيال القادمة "، امتاز بالذكاء الخارق، وقوة الحفظ منذ أن كان فى الخامسة من عمره حفظ التوراة كاملة .

وكان من العلماء الشبان الذين عشقوا الحضارة الفرعونية منذ نعومة أظافرهم، والذين جذبهم بشدة (حجر رشيد)، وكل ما يُمكن أن يمنحه من كشوف هائلة، لذا فقد اتخذ قرارًا جريئًا، بأن يتفرغ تمامًا لمهمة فحصه، وترجمته، وكشف أسرار اللغة الهيروغليفية، التى ستساعد العالم كله على الإطلال من نافذة هائلة، على حضارة تعد الاعظم بين كل الحضارات، التى شهدها العالم القديم .

ولقد بدأ (شامبليون) مهمته، وهو فى الحادية والعشرين من عمره، وتفرغ لها تمامًا، وراح يوصل الليل بالنهار؛ بحثًا عن طرف خيط، يمكن أن يقوده إلى حل اللغز.

ثم وعلى خلاف الآخرين؛ لاحظ (شامبليون) أن عدد أسماء الملوك، فى النصين اليونانى والديموطيقى، متطابقين تمامًا مع عدد الخراطيش فى النص الهيروغليفى، لذا فقد استنتج من هذا أن الخراطيش تحوى داخلها أسماء الملوك. ومن هنا انطلق (شامبليون) . وبحسبة بسيطة حدَّد أسماء الملوك، فى النص الهيروغليفى، وترجمها، وسجل حروفها، وانطلق منها إلى باقى النص.

وبعد إحدى عشر عامًا، وفى عام ١٩١٦م، توصل (شامبليون) إلى أعظم كشوف الزمان، فى علم الآثار والتاريخ القديم، وحل رموز اللغة الهيروغليفية. وفتح أنظار العالم كله على أسرار الفراعنة.

وفى ليلة وضحاها، أصبح (شامبليون) أعظم علماء عصره، وهو بعد فى الثانية والثلاثين من عمره، وأحاطت به الشهرة من كل جانب .

وفجأة، تفجَّرت فى وجهه اللعنة. فعلى حين غرة، ودون أسباب واضحة، أصيب (شامبليون) بشلل رباعى، وحمى غامضة، وراح يهذى ويرتجف، ثم لم يلبث أن قضى نحبه، تاركًا خلفه من يروى هلاوسه الأخيرة.

وبالمصادفة، كانت كلها عن الفراعنة، وانتقام الفراعنة، كان هذا عام ١٩٣٢م، وهذا ما دونته المراجع التى تحدَّثت عن تاريخ لعنة الفراعنة، السابقة لاكتشاف مقبرة (توت غنخ آمون).

تيودور بلهارز :

لا تقف تلك اللعنة الوهمية عند أشهر عالم آثار وإنما تصل إلى ما هو أبعد من هذا إلى (تيودور بلهارز)، أستاذ علم التشريح المرضى، ومكتشف أشهر مرض يصيب المصريين، منذ أيام الفراعنة..البلهارسيا..

وقد كان (تيودور بلهارز) قد قضى شطرًا طويلًا، فى حياته القصيرة، يطارد تلك الدودة القاتلة، التى تخترق أجساد المصريين، وتستقر فى أكبادهم، وتدمرهم تدميرًا بطيئًا منتظمًا، وتسلبهم نشاطهم وحيويتهم: ثم حياتهم فيما بعد.

وبعد تلك السنوات خطرت فى ذهن (بلهارز) فكرة عجيبة . تُرى متى بدأت (البلهارزيا) فى حربها مع المصريين؟!..

وفى سبيل إجابة السؤال، لجأ (بلهارز) إلى أمر لم يخطر أبدًا ببال أحد، إذ انتقل بأبحاثه من الموتى المصابين بالمرض إلى مومياوات الفراعنة القدامى، وبالذات تلك الخاصة بالعمال والمزارعين، الذين تدفعهم ظروف عملهم للخوض فى مياه النيل طوال الوقت.

أيامها؛ لم يكن للآثار قيمتها الحالية، ولم تكن هناك تشريعات قوية لحمايتها والحفاظ عليها، لذا كان من الممكن أن يشترى (بلهارز) بعض المومياوات التى يتم العثور عليها فى الجنوب أثناء أعمال الحفر والبناء التى تجرى على مناطق المقابر القديمة، وأن يُجرى عليها تجاربه .

وكان هذا يعنى بالطبع نبش قبور القدامى، واستخراج مومياواتهم، بل وتشريحها والتمثيل بها أيضًا.

ولقد نجحت تجارب (تيودور بلهارز) إلى حد كبير، إذ أثبت بالفعل أن المصريين القدامى أصابتهم (البلهارسيا)، منذ آلاف السنين، بل وعُثِر على بعض الديدان المحنطة داخلهم بالفعل.

ولكن فجأة، وقبل أن يسجل (بلهارز) تجاربه رسميًا وعلميًا، أصابته حمى مجهولة، حمى لا تشبه التيفوئيد، أو أية حمى معروفة أخرى. ومع الحمى التى لم يتم تشخيصها أو علاجها بالطبع، راح (بلهارز) يهذى، ويصرخ، ويهذى، وتراوده هلاوس عجيبة حول المومياوات التى قام بتشريحها، والتى بدت له وكأنها قد عادت إلى الحياة، لتنتقم من ذلك الذى أقلق راحتها، ومثَّل بها، ومات (تيودور بلهارز)، عام ١٨٦٢م، وهو بعد فى السابعة والثلاثين من عمره، بتلك الحمى المجهولة، التى لم يتم تشخيص أعراضها حتى يومنا هذا.

وفى هذه المرحلة، لم يكن يحاول العلماء وضع تفسيرات علمية أو منطقية، لما أصاب (شامبليون) أو (بلهارز)، ربما لأنهم كان لديهم شغفًا للتأكد من وجود لعنة الفراعنة، بأكثر من اهتمامهم بتفسيرها.

ولكن هذا كان دأب الجميع، فى تلك المرحلة الزمنية، لأن الفكرة نفسها بدت جذابة ومثيرة، خاصة وهى ترتبط بعالم الأسرار، وحتى السحر والتنجيم والغموض.

ودون أية دلائل علمية أو تاريخية، صدرت عدة مراجع، تنسب موت عشرات المشاهير إلى لعنة الفراعنة، التى صارت صرعة النصف الأول من القرن العشرين.

حتى (يوليوس قيصر) نفسه، ادعوا أن لعنة الفراعنة قد طاردته، وأصابت عقله بحمى جنونية، دفعته إلى تلك الأفعال الديكتاتورية، التى انتهت بمقتله واغتياله، على يد مجموعة من المقربين له، وعلى رأسهم ربيبه (بروتس)، وأصيب الناس بالضجر والملل، من هذه الكتب السخيفة، وقرَّروا تجاهلها فجأة، فانخفضت مبيعاتها إلى حد كبير، وبدا وكأن لعبة لعنة الفراعنة هذه قد بلغت نهايتها .

اكتشاف لعنة الفراعنة:

تعود البداية إلى عام ١٩١٥ عند اكتشاف مقبرة الملك (أمنحتب الثالث) شكل رقم (٣)، فقد انشغل (هوارد كارتر) مكتشف مقبرة (توت عنخ آمون) بفكرة موضوع لعنة الفراعنة . وقد تم اكتشاف هذه المقبرة عن طريق المحامى الأمريكى (تيودور دافيد) وهو ليس أثريا لكنه عمل فى وادى الملوك مع الأثرى الانجليزى (إدوارد راسل ايرتون) . وقد وجد صورة لطبق طائر فى أحد النقوش المرسومة على حوائط هذه المقبرة .

ومن هنا انتشرت الشائعات بكثرة فى العالم بأن الأطباق الطائرة ظهرت فى مصر وقد سجلها الملك (أمنحتب الثالث) لدرجة أن بعض الناس بدؤوا يقولون بأن زوار السماء أو الفضائيين هم بناة الأهرامات واتخذوا مبررات كثيرة خاطئة وهذا كله يرجع إلى هذا الشكل البيضاوى والذى يشبه الأطباق الطائرة .

ولكن من الناحية العملية فلقد ارجع بعض من العلماء أن هذا الطبق الطائر هو فى الواقع (كرات البرق) وهى ظاهرة طبيعية نادرة والتى تظهر فيها مضيئة وتكون قريبة من الأرض، وقد تُرِجم نص المقبرة حديثًا كالتالى : (إنها لعنة أمون وأنها ظاهرة غريبة على المصريين) .



شكل رقم (٣)

الملك أمنحتب الثالث



شكل رقم (٤)

قناع الفرعون توت عنخ آمون .. والكوبرا الملكية اعلى التاج ..

وفى تلك الفترة وخاصة فى عام ١٩١٥ م كان قد تعرف الأمريكى (تيودور دافيد) على الإنجليزى الباحث عن مقبرة (توت عنخ آمون) (هوارد كارتر)، وقد دخل بنفسه هذه المقبرة وشاهد هذا النقش، وأخذ يقرأ ما كتبه العلماء عن هذا اللغز من أراء مختلفة، وتشير كل الدلائل فى تاريخه مع المقربين منه بأنه كان من المصدقين لكلمة لعنة حتى قبل اكتشافه لـ (مقبرة توت عنخ آمون) .

وقد بدأت أسطورة لعنة الفراعنة عند افتتاح مقبرة) توت عنخ آمون (عام ١٩٢٢م حيث أخذت مجرى آخر .

وبدأت حكاية اللعنة بعصفور الكناري الذهبى الذى حمله (كارتر) معه عند حضوره إلى الأقصر، وعندما اكتشفت المقبرة أطلقوا عليها أول الأمر اسم (مقبرة العصفور الذهبي) .

وقد وضع مساعده (كالندر) العصفور فى الشرفة ليحظى بنسمات الهواء، ويوم افتتاح المقبرة سمع (كالندر) استغاثة ضعيفة كأنها صرخة إشارة فأسرع ليجد ثعبان كوبرا يمد لسانه إلى العصفور داخل القفص، وقتل (كالندر) الثعبان ولكن العصفور كان قد مات .

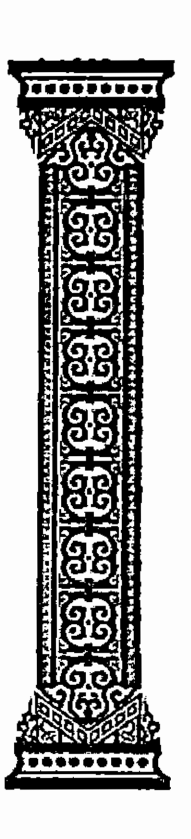
وعلى الفور قيل أن (اللعنة) بدأت مع فتح المقبرة حيث أن ثعبان الكوبرا يوجد على التاج الذى يوضع فوق رأس تماثيل ملوك مصر شكل رقم (٤).

وعند افتتاحهم للمقبرة كان أول ما لفت انتباههم نقوش مكتوبة على لوح – اختفى بعد ذلك – تقول " سيضرب الموت بجناحية السامين كل من يعكر صفو الملك " هذه هى العبارة التى وجدت منقوشة على مقبرة (توت عنخ آمون) والتى تلا اكتشافها سلسلة من الحوادث الغريبة التى بدأت بموت كثير من العمال القائمين بالبحث فى المقبرة وهو ما حير العلماء والناس، وجعل الكثير يعتقد فيما سمى

- (لعنة الفراعنة)، ومن بينهم بعض علماء الآثار الذين شاركوا فى اكتشاف أسرار لفراعنة.

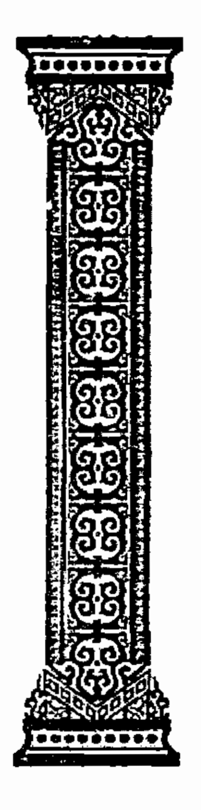
إن كهنة مصر القدماء قد صبوا لعنتهم على أى شخص يحاول نقل تلك الآثار من مكانها، حيث قيل: إن عاصفة رملية قوية ثارت حول قبر (توت عنخ آمون) فى اليوم الذى فتح فيه، وشوهد صقر يطير فوق المقبرة ومن المعروف أن الصقر هو أحد الرموز المقدسة لدى الفراعنة .

وهذه كانت بداية انتقام الملك من الذين أزعجوه فى مرقده . ومع هذا الاكتشاف التاريخى بدأت سنوات من العذاب والعرق واليأس .



الفصل الثالث

الفرعون الصغير



الفصل الثالث

الفرعون الصغير

من هو توت عنخ آمون ؟؟

سؤال يطرح نفسه من هو ذلك الفرعون الذى حصن قبره بشكل خلد اسمه على مر التاريخ ؟ ولماذا حصن قبره بشكل جعل منه أسطورة ؟ ولماذا ارتبط اسمه بلعنة الفراعنة حتى أنها كانت أشد تأثيرًا فى قبره أكثر من قبور غيره من الفراعنة .

هذا الملك الصغير (توت عنخ آمون) صاحب المقبرة والتابوت واللعنات، والتى أدت إلى إزهاق أرواح حوالى ستة وثلاثين رجلًا على الأقل من العلماء وعلماء الآثار والباحثين حكم مصر تسع سنوات فقط من عام ١٣٥٨ إلى ١٣٤٩ قبل الميلاد.

(توت عنخ آمون) كان عمره ٩ سنوات عندما أصبح فرعون مصر واسمه باللغة المصرية القديمة تعنى (الصورة الحية للإله آمون)، كبير الآلهة المصرية القديمة .

عاش (توت عنخ آمون) فى فترة انتقالية فى تاريخ مصر القديمة حيث أتى (إخناتون) الذى حاول توحيد آلهة مصر القديمة فى شكل الإله الواحد الأحد (آتون) . وتم فى عهده العودة إلى عبادة آلهة مصر القديمة المتعددة .

كان آخر فراعنة الأسرة المصرية الثامنة عشر فى تاريخ مصر القديم، فى عصر الدولة الحديثة. وقد سبقه (أمنحتب الرابع) المعروف باسم (اخناتون) شكل رقم (٥)-(٦). وقد تزوج (توت عنخ آمون) من أصغر بنات (اخناتون) وتدعى (انخنسن باتن) حتى تدعم حقها فى الميراث، تزوجته وهى فى التاسعة من عمرها ونتج عن صغر سنها إنها لم تستطع أن تنجب له ولى العهد .

وكانت الشخصية الرمادية فى بلاط (اخناتون) هى الكاهن الأعظم ومستشار البلاط (آي) الذى احتفظ بكل خيوط السلطة فى يده ومن أجل تحقيق ذلك فإنه لم يدع أى شخصية قوية تخلف (اخناتون) وكان (توت عنخ آمون) الشاب الصغير هو الشخص المناسب من وجهة نظره .

وبالرغم من أن أهمية (توت عنخ آمون) التاريخية متواضعة، إلا أنه كان يرأس الثورة المعاكسة التى أطاحت بفكرة التوحيد التى قدمها الفرعون (اخناتون)، وكان الواجهة لبعض الكهنة المتآمرين .

فقد كان أول وأهم عمل قام به (توت عنخ آمون) هو الارتداد عن عبادة الإله الواحد (آتون) الذى اختاره اخناتون والد زوجته ليكون الإله الرسمى للدولة، وكنتيجة لهذا القرار فقد عزم على ترك (تل العمارنة) بالمنيا والعودة إلى (طيبة) .

وكاعتراف منه لخضوعه لإله (طيبة) (آمون) بدل اسمه من (توت عنخ آتون) إلى (توت عنخ آمون) وسميت زوجته (آنهوسن أمون) .

ويعتبر (توت عنخ آمون) من أشهر الفراعنة لأسباب لا تتعلق بإنجازات حققها أو حروب انتصر فيها كما هو الحال مع الكثير من الفراعنة؛ وإنما لأسباب أخرى تعتبر مهمة من الناحية التاريخية ومن أبرزها هو اكتشاف مقبرته وكنوزه بالكامل دون أى تلف، فلم تتعرض للنهب والسلب .



شكل رقم (٥)

الملك أمنحتب الرابع (اخناتون)



شكل رقم (٦)

الملك أمنحوتيب الرابع (أخناتون) وزوجتة نفرتيتى

واللغز الذى أحاط بظروف وفاته إذ اعتبر الكثير وفاة فرعون فى سن مبكرة جدًا أمرًا غير طبيعى وخاصة مع وجود آثار لكسور فى عظمي الفخذ والجمجمة، وزواج وزيره من أرملته من بعد وفاته وتنصيب نفسه فرعونًا .

كل هذه الأحداث الغامضة، والاستعمال الكثيف لأسطورة لعنة الفراعنة المرتبطة بمقبرة (توت عنخ آمون) التى استخدمت فى الأفلام وألعاب الفيديو جعلت من (توت عنخ) أشهر الفراعنة لألغاز وأسئلة لا جواب لها اعتبرها البعض من أقدم الاغتيالات فى تاريخ الإنسانية.

قصة مقبرة توت عنخ آمون:

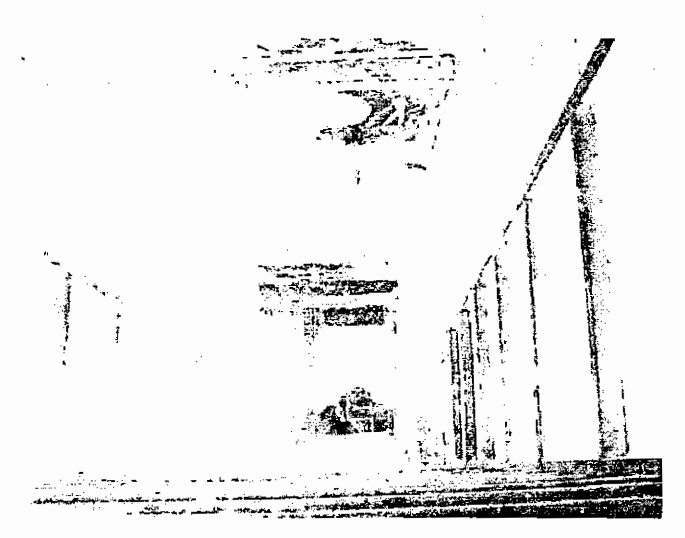
فى ٤ نوفمبر ١٩٢٢ امتدت الصحراء المصرية على مدى البصر، أمام عينى عالم الآثار والمتخصص فى تأريخ مصر القديمة البريطانى (هوارد كارتر) وهو يجفف ذلك العرق الغزير، الذى انهمر على جبهته ووجهه، وهو يقف تحت أشعة الشمس الحارقة، فى تلك البقعة التى قادته إليها أبحاثه ودراساته، للبحث عن مقبرة أحد ملوك الفراعنة القدامى.. حيث كان يقوم بحفريات عند مدخل النفق المؤدى إلى قبر (رمسيس السادس) شكل رقم (٧)-(٨) فى وادى الملوك فلاحظ وجود قبو كبير واستمر بالتنقيب الدقيق إلى أن دخل إلى الغرفة التى تضم ضريح (توت عنخ آمون) .

كان هذا فى العقد الثانى من القرن العشرين، عندما بلغت حمى البحث عن الآثار ذروتها، وخاصة بعد الكشوف الأثرية المدهشة، التى قام بها الألمانى (هنريش شليمان)، عندما عثر على بقايا (طروادة)، فى عام ١٨٧١، فى منطقة (هيسارليك)، شمال غرب (تركيا)، فى نفس الموقع الذى حدَّده (هوميردس)، فى ملحمته الشهيرة (الإلياذة)، وسير (آرثر إيفانز)، الذى كشف قصر التيه فى (كريت)، عام ١٩٠٠، ليثبت أن أسطورة المينوتوروس لم تكن مجرَّد خيال محض .



شكل رقم (٧)

مقبرة رمسيس السادس - وادى الملوك



شكل رقم (٨)

مقبرة رمسيس السادس

وكان (هوارد كارتر) يحلم بانضمام اسمه يومًا إلى قائمة هؤلاء الأثريين العباقرة، الذين حفروا أسماءهم فى تاريخ الكشوف، بحروف من ذهب، مما جعله يحتمل الحرارة، والرمال الساخنة، والعرق الذى يلهب عينيه، طوال عدة أشهر طويلة، زاره خلالها ممول حملته اللورد (كارنرفون) مرة واحدة، تركه بعدها للعذاب، وعاد هو إلى قصره البريطانى العريق، ليتباهى بتمويل أكبر حملة للبحث عن الآثار المصرية.

نبذه عن اللورد كارنرفون ممول المشروع :

كان علماء الآثار يموتون بأشكال غامضة قبل فتح مقبرة (توت عنخ آمون) حيث كانت تفسر أسباب الوفاة على أنها قضاء وقدر، حتى قام اللورد (كارنرفون) شكل رقم (٩) بالمساعدة فى فتح قبر (توت عنخ آمون) ومات فى عام ١٩٢٣م وسط ظروف غامضة .

بدأ رحلاته إلى مصر ابتداء من عام ١٩٠٣م وما بعدها، وكان سفره لأسباب مرضية اتقاءً لألم المرض ومصاعب التنفس وحتى ينجو من رطوبة الشتاء الإنجليزى والتمتع بجفاف الطقس المصرى .

وكان من الطبيعى لرجل مثله متمكن وضليع فى الفنون أن تنشأ لديه اهتمامات بعلم الآثار، وبدأ بالحفريات لكنه لم يصل إلى أى نتيجة حتى عرفه السير (چاستون ماسبيرو) محافظ المتحف بالقاهرة بـ (هوارد كارتر) الرسام الإنجليزى المهتم بالآثار، وقد كانت اعمال (كارتر) وقتها ومنذ إقامته بمصر عام ١٨٩٠م تتراوح بين النجاح والإخفاق، والتى حققت له خبرة ومعرفة عظيمة ولكن حالته المادية كانت ضعيفة . فوجد بغيته فى (كارنرفون) وبدأت رحلتهم فى البحث عن الكنوز المخبأة .

حتى جاء شهر فبراير ١٩٢٣، فى ذلك التوقيت عثر (هوارد كارتر) على ما كان يبحث عنه طوال الوقت.. مقبرة الملك الصغير (توت عنخ آمون).

موت اللورد كارنرفون :

بدأ المرض بشكل غريب، واشتدت عليه وطأة المرض وكانت الأعراض حمى عالية ووصلت الى ٤٠ درجة مئوية، وكان يرتجف من نوبات القشعريرة، وعلى حد قوله أنه كان يشعر بالجحيم، وكانت حالته تتحسن ولكن سرعان ما تعود إليه الحمى العالية، واستمر الحال على هذا المنوال اثنى عشر يوما، وكان تفسير الأطباء لذلك أنه قد جرح وجهه أثناء الحلاقة بحيث انفتح جرح مغلق قديم، لكن هذا التفسير لم يكن مبررًا لبقاء الحمى مدة طويلة بهذا الشكل . وكان يقول فى تعبه " إننى أسمع النداء وإننى استعد " .

وعند موته انطفأت جميع الأنوار الكهربائية، ولم يكن هناك تفسير لانقطاع التيار الكهربائى فى القاهرة فى تلك الليلة. والأعجب أنه وفى نفس الوقت وفى انجلترا حدث أن كلبته المفضلة لديه فقدت مخلبها الأمامى فى حادث وفجأة أخذت فى نباح مستمر ثم وقفت على قائميها الخلفيتين ثم سقطت وقد فقدت الحياة .

شغف كارتر فى البحث عن المقبرة :

لم يكن (كارتر) أثريًا بسيطًا أو مغمورًا، إذ كان يحيا فى مصر، منذ عام ١٨٩٠م ؛ للتنقيب عن الآثار، ورسم المناطق الأثرية المعروفة. ولم يكن هذا أيضًا أوَّل كشوفه ؛ إذ كانت له عدة حفائر فى وادى الملوك، موَّلها بعض المغامرين الأمريكيين، جعلته يصدر كتابه الشهير (خمس سنوات للكشوف الأثرية فى طيبة).



شكل رقم (٩)

اللورد كارنرفون



شكل رقم (١٠)

اللورد كارنرفون مع كارتر فى مقبرة توت عنخ آمون

كان (كارتر) متأكدًا أن هناك مقبرة منسية لفرعون لابد أن تكون مخفية فى مكان ما فى وادى الملوك وكان هذا الاعتقاد مبنيًا على شهادة (چيمس هنرى براستد) العالم الأثرى الأمريكى حينما وجد مخبأ به جرار فخارية تحتوى على معدات جنائزية تستخدم فى المواكب الجنائزية منها لفائف الكتان، لكنه لم يهتم بها حتى نبهه أحد العاملين فى متحف العاصمة إلى أن الختم المنقوش على أعناق الجرار وعلى بعض قطع الكتان كان يحوى اسم (توت عنخ آمون)، وعندما اكتشف (دافس) حفرة قبر بها بقايا صندوق خشبى يحوى على صحاف صغيرة ذهبية منقوش عليها أيضا اسم الملك (توت عنخ آمون) اعتقد خطئا أنه اكتشف مقبرته . هذا ما جعل (كارتر) ينتبه إلى أمر ذلك الفرعون فلم يكن من المعقول أن يدفن ملك من الأسرة الثامنة عشر العظيمة فى قبر حقير متواضع كهذا .

فبدأ (كارتر) فى رسم خارطة للمكان، وفى ذلك الوقت لم يكن أحد يهتم بتسجيل تفاصيل الحفريات التى تجرى، وبدأ فى مسح كل شبر فى المنطقة بشكل منظم منذ عام ١٩١٧م لكنه لم يصل إلى أى شيء ،حتى أن (كارنرفن) مموله بدأ يفكر فى التوقف عن البحث وفعلا سافر وترك الموقع . فى الواقع لقد قضى الرجلان ست سنوات يبحثان عن شيء لم يكونا متأكدين من وجوده أصلا فربما كان هدفهما مجرد وهم، لكن (كارتر) أخبره أنه مازال هناك بقعة مثلثة أسفل مقبرة (رمسيس السادس) عند الركن الشمالى للمقبرة . وكان ذلك فى أول نوفمبر عام ١٩٢٢م.

بدأ (كارتر) فى العمل بدون (كارنرفون) واستأجر عمال الحفر وبدأ فى العمل وقد أكد له حدسه من خلال وجود بعض ألواح من حجر الصوان قد بناها العمال القدماء أن هذا يدل على عظمة المقبرة، فبدأ بإزالتها أولًا، وقام بحفر خندق يمتد جنوبًا تحت طبقة الصوان التى تشكل أرضية الأكواخ السابق اكتشافها .

وفى ٤ نوفمبر اصطدمت فؤوس العمال بدرجة منحوتة فى الصخر أسفل أرضية الكوخ .

في ٥ نوفمبر بدأ في اكتشاف أربع درجات أكدت لهم بدون مجال للشك أن هذا الدرج يقود إلى مقبرة منحوتة في الصخر . ثم اتبعت بعد حلول المساء باثنتي عشرة درجة أخرى، ظهرت بعدها بوابة حجرية محكمة الإغلاق مختومة بختم ظهر عليه صورة ابن آوى، وتسعة سجناء مصورين بأسلوب معين . وهذه صورة للأختام الشائعة في مدينة الأموات في وادي الملوك، وهذا ما جعله يطمئن أن المقبرة لم تتعرض للنهب .

فأرسل إلى (كارنرفون) الذي كان بإنجلترا في ٦ نوفمبر يخبره عن هذا الاكتشاف ويطمئنه أنها مقبرة عظيمة وأختامها لا تمس . وأخبره أنه ردم كل شيء ثانية حتى يعود إلى مصر.

في ٢٥ نوفمبر وبعد عودة (كارنرفون) حينها واصل الحفر فظهر له دهليز ينحدر إلى الداخل حيث انتشرت جرار من الألبستر مبعثرة وقطع فضية ومقابض أختام منثورة تملأ الدهليز، وظهر كأن المقبرة انتهكت حرمتها ونهبت ثم ختمت من جديد. .

استمر الحفارون في الحفر حتى وجدوا خلف البوابة الحجرية على مسافة خمسة وثلاثين قدمًا بوابة حجرية ثانية، وبالإضافة لأختام مدينة الموتى وجدت شارة السلطة للفرعون (توت عنخ آمون) .

وقد وصف (كارتر) هذه الساعات الأخيرة في كتابه (مقبرة توت عنخ آمون) كما يلي : " ببطء وببطء شديد، كما كان يبدو لنا ونحن نراقب إزالة بقايا أنقاض الدهليز التي سدت الجزء الأسفل من المدخل حتى بدا الباب لنا بأكمله ماثلًا أمامنا، لقد أزلفت اللحظة الحاسمة وبيدين مرتجفتين نقبت ثغرة صغيرة دقيقة في الزاوية العلوية اليسرى .

في الظلام الدامس والفراغ المطبق بالقدر الذي استطاعت عصاي الحديدية الوصول إليه، ظهر لنا أن كل ما وراء هذا كان فارغًا، وليس مملوءًا كما كانت الحال

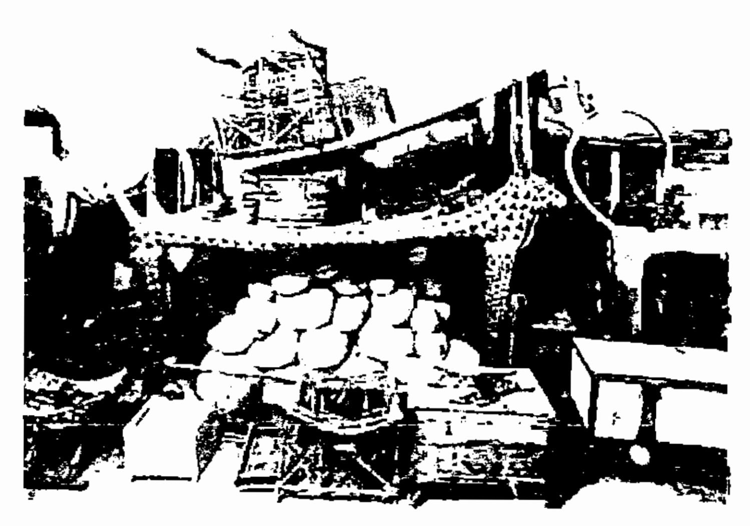
فى الممر الذى كنا نظفناه لتوِّنا، وقد استخدمنا أضواء الشموع كاختبارات احتياطية صد ما يمكن أن يوجد من غازات مؤذية.

وبعد ملوسعنا الثقب قليلًا أدخلت الشمعة ونظرت إلى الداخل – وكان اللورد (كارنرفون) وابنته وأحد مساعديه واقفين إلى جانبى بقلق ينتظرون سماع النطق بالحكم، ولأول وهلة لم أستطع أن أرى شيئًا فقد كان الهواء الساخن ينطلق من الغرفة أمامى ويسبب الاهتزاز فى ضوء الشمعة، ولكن فى الحال وبعد أن اعتادت عيناى الضوء ببطء بدت تفاصيل الغرفة فى الداخل بما فيها من الحيوانات الغريبة والتماثيل والذهب وفى كل مكان كان وميض الذهب الآسر يشع .

مضت لحظة وكأنها الأبدية على أولئك الواقفين بجانبى فقد كنت قد أصبت بالبكم من الدهشة، وكان (كارنرفون) أول من يسأل: هل يمكنك رؤية أى شيء ؟

نعم إننى أرى أشياء عجيبة !!

لقد أظهر لهب المشعل المرتعش مالم تره عين بشرية من خمسة وثلاثين قرنًا . إذ كانت أجمل أشياء استخرجها علماء الآثار من الأرض عبر التاريخ البشرى وثمنها شكل رقم (١١) . كان هناك كأس بشكل زهرة اللوتس من الألبستر نصف الشفاف وكومة مبعثرة من العربات الملكية المقلوبة تلمع بما رصعت به من الذهب الخالص، وكذا تمثالان بالحجم الطبيعى للملك يتشح بالسواد يواجهان بعضهما كأنهما حارسان للمقبرة وهما يرتديان تنورتين مذهبتين وينتعلان نعلين مذهبين وهما مسلحان بالصولجان وعصا السلطة وعلى جبهتيهما الكوبرا المقدسة الواقية الحامية، وهنالك أيضًا ثلاثة أرائك مذهبة كبيرة وتوابيت سوداء غريبة، وعرش مرصع بالذهب، ولم يكن هنالك أى أثر لتابوت أو مومياء أو كفن . ولكن كان كل هذا فى غرفة أمامية يتبعها متاهة تؤدى إلى الحجرات الأخرى أتوقع أن تكون مملوءة بالكنوز التى لا تنفد" .



شكل رقم (١١)

بعض من محتويات مقبرة توت عنخ أمون



شكل رقم (١٢)

كارتر أمام المقبرة

سافر (كارنرفون) إلى انجلترا على أن يعود في فبراير حتى يطلق الخبر أمام رجال لصحافة وذلك بعد أن أقفل (كارتر) الفتحة بباب حديدى وأقام عليها الحرس وردم المدخل بالحجارة والأتربة ثانية . فقد تم اعلانها عن أعظم الكشوف الأثرية في التاريخ ولم ينتظرا ليعرفا ما سيجدانه في باقى الحجرات .

وبسرعة، انتشر الخبر، وقفزت شهرة (هوارد كارتر) إلى الذروة، في عالم الباحثين عن الآثار.

وقفز معه بالتالى اسم اللورد (كارنرفون(، ومع وصول اللورد المغامر، الذى اشتهر باهتماماته المتعددة والمثيرة، راح الصحفيون يتدفقون على المكان كالنمل.

بدأ كارتر في جمع خبراء اللغة الهيروغيلفية وخبراء الأختام والكيمياء ومصورين ورسامى المتحف .. حتى يكونوا أول من يدخل إلى المقبرة من بينهم (آرثر ماس) المشرف على حفريات متحف (متروبوليتان بنيويورك) وأيضا وصل (آلان جاردنر) خبير اللغة الهيروغيلفية ليساعد (چيمس هنري) برتسيد صديق (كارتر) والمختص بفك أسرار رموز الأختام القديمة وكذلك كان من بين الحضور (ألفريد لوكاس) رئيس قسم الكيمياء بالحكومة المصرية .

بعدها عاود العمل فحطم الحائط الذى يؤدى إلى الغرفة الأمامية . وجرت دراسة دقيقة لأختام الباب الحجرى للحجرة المؤدية للمقبرة . تم فحص الحجرة وكانت النتيجة أنهم اكتشفوا أن اللصوص نهبوا أشياء صغيرة من كنوزها من خلال فتحة صغيره جدًا خلال الجدران الصخرية وكان ذلك بعد فترة قصيرة من دفنه والدليل على ذلك ترميم الأختام المكسورة .

كانت المشاعر مختلطة ما بين القلق والإثارة . لكن الأشخاص الذين كانوا يعملون في موقع العمل كانوا أقل ابتهاجًا ونشوة، وقل نشاطهم وضعفت همتهم وأصبحوا عصبيين بعد العثور على هذا الرقيم الخزفى في الغرفة الأمامية والذى كتب

عليه تلك العبارة الشهيرة بعبارة هيروغليفية غير تقليدية قام بفكها (آلان جاردنر) "سيذبح الموت بجناحيه كل من يبدد سلام مرقد فرعون"، وفى الحقيقة لم يكن (كارتر) ولا (جاردنر) ولا أى واحد من العلماء الحاضرين لهذه العملية يخشى تلك اللعنة أو يكفر بها جديًا، لكن كل خشيتهم كانت ترتكز على أثرها فى العمال المصريين، ولأنه كان يعتمد كليًا عليهم فإنه مسحها بيده واختفى الرقيم من المجموعة واعتبر مفقودًا، لكنه لم يمح من ذاكرتهم .

ولكن الخطر لم ينته فقد وجدوا فى الغرفة الرئيسية للقبر اللعنة منقوشة على ظهر أحد التماثيل على شكل تحذير يقول " أنا الذى أطرد لصوص المقبرة وألقى بهم فى جهنم هذه الصحراء، إننى حامى توت عنخ أمون "، شئ عجيب تحذيران فى مقبرة واحدة، ولعنة سوف تحيق بمن يقترب ويقلق الملك أو يذهب إلى أبعد من تحريكه فى نومته .

تحدد يوم ١٧ نوفمبر فى الثانية ظهرا وتجمع كل من كان حقهم أن يشهدوا مراسم فتح المقبرة . صفت المقاعد فى جو من الترقب فى الغرفة المؤدية إلى غرفة الدفن، وقد ألقيت الملاءات على التمثالين اللذان يحرسان مدخل المدفن، علقت الأنوار الكهربائية فى سقف الحجرة، وقف لورد (كانرنفون) و(آرثر ميس) على منصة أعدت خصيصًا بالقرب من باب الحجرة الذى يؤدى للمدفن . وكان (كارتر) يضرب الباب الحجرى بالمطرقة والأزميل ويناول الأحجار والشظايا إلى (كارنارفون) و(ميس) .

عندما انتهى (كارتر) من فتح ثغرة فى حجم رأس الطفل، أدخل مصباحًا كهربائيا فى ظلام المكان خلف حائط الباب الحجرى، فانعكست الأضواء على الذهب الذى يغطى كل شئ فى كل مكان حتى على الحوائط .

أنبهر (كارتر) بكل ما رآه داخل المقبرة حتى تلك العبارة، التى جذبت انتباهه

واهتمامه طويلًا . وترجمها، وسجلها، إلا أنه لم يشعر بالخوف منها أبدًا . ولم ينزعج وكان شغله الشاغل فقط هذا الحدث الجليل والكنز الدفين والذهب وانشغل برسم كل ما يراه داخل المقبرة ، فقد كانت على جدران الغرفة التى تحوى الضريح رسوم رائعة على شكل صور تحكى قصة رحيل (توت عنخ آمون) إلى عالم الأموات.

عندما كان (كارتر) و(كارنرفون) مستعدين لفتح المقصورة الرئيسية لقبر (توت عنخ آمون)، لم يكن أى واحد من العشرين رجلا من فرقة التنقيب يعلم أنه سوف يجد مومياء الفرعون فى تلك المقصورة، وهم مجتمعين فى دهليز المقبرة وبالتأكيد لم يكن أحد يشك أن ثلاثة عشر رجلًا منهم سوف يموتون فى فترة قليلة من الزمن .

هنا يصف كارتر المنظر بقوله :

" كان يوم الجمعة السابع عشر من الشهر وهو اليوم المحدد، وفى الساعة الثانية بعد الظهر اجتمع أولئك الذين كان يحق لهم أن يشهدوا الاحتفال، فى الموعد المحدد فوق المقبرة، كان هنالك إحساس من الترقب يسيطر على المشهد، فقد رتبت الكراسى فى الغرفة الأمامية وقد غُطِّى التمثالان الطبيعيان اللذان كانا يحرسان المدخل بألواح خشبية ووضعت حبال من الأضواء الكهربائية فى الكهف، ووقف (كارنرفون) ومعه العالم (أرثر ميس) على منصة قرب البوابة وهما يتناوبان أخذ الحجارة التى كنت اقتلعها من الجدار بواسطة مطرقة وأزميل . وبعد أن فتحت ثقبا فى الحائط بقدر حجم رأس طفل دفعت بمصباح كهربائى فى الظلمة، عندها لمع الذهب ببريق أخاذ: جدار من الذهب !! نعم من الذهب الخالص، بقدر ما تستطيع العين أن ترى .

وبعد إزالة بضعة أحجار أخرى، أصبح من المستطاع حلّ لغز الجدار الذهبى، فقد كنا فى مدخل مقصور مدفن الملك الحقيقية، وذلك الذى اعترض طريقنا كان جانبًا من جوانب ضريح كبير موشى بالذهب بُنى لتغطية وحماية الناووس . وقد

كان سقوط حجر واحد يمكن أن يحدث ضررًا بالغًا لسطح الضريح الرقيق الناعم وهكذا بعد أن أصبح الثقب واسعًا بشكل كافٍ عملنا احتياطات إضافية لحماية الضريح، ذلك بوضع حصير على القسم الداخلى من المدخل، وتدلى هذا الحصير على المدخل وقد استغرق العمل ساعتين من الزمن لتنظيف السد، وفى إحدى النقاط عندما كنا قرب القعر كنا مجبرين على تأخير العمل حتى استطعنا جمع الخرزات المبعثرة من عقد كان جلبه اللصوص من المقصورة وسقط منهم عند العتبة".

وبعد أن أصبح الثقب واسعًا كفاية بحيث يسمح لدخول رجل، نزل (كارتر) إلى مقصورة المدفن الرئيسية وتبعه اللورد (كارنرفون) و(ميس).

وعودة إلى ما كتبه (كارتر) عن ذلك الحدث التاريخى حيث قال : " لقد كان من المسلم به أن هذه هى مقصورة القبر وهى التى وقفنا فى داخلها، فهناك كان يشمخ فوق رؤوسنا أحد الأضرحة المذهبة التى كان يرقد تحتها الملوك . وكان ضريحًا هائلا فقد كان طوله ١٧ قدما وعرضه ١١ قدما وارتفاعه ٩ أقدام، وقد وجدنا فيما بعد أنه كان يملأ مساحة المقصورة وكان هنالك مسافة قدرها قدمان تفصل الضريح عن جدران المقصورة من الجهات الأربع بينما كانت قمة الضريح ذات إفريز فى قمته يصل إلى سقف المقصورة تقريبًا.

وكان أهم ما يشغل (كارتر) هل وصل اللصوص قبله إلى المقبرة أم لا ؟ وهذا ما كتبه فقال : " هنا وفى النهاية الجنوبية حيث كانت الأبواب العظيمة مغلقة ولكنها لم تكن مختومة، وهذا من الممكن أن يجهز الجواب على سؤالنا وقد سحبنا المزاليج بشغف وفتحنا الأبواب وهنالك فى الداخل وجدنا ضريحًا آخر به أبواب مدربسة وعلى المزاليج ختم لم يمس" .

لا شك أن اللصوص لم يجتازوا مسافة أبعد، فقد كان هنالك أشياء مخيفة خلف الباب لم يرها أى إنسان منذ موت فرعون .

فى الناحية الشرقية كانت الأبواب الكبرى مغلقة وعليها الأقفال ولكنها لم تكن مختومة، تم رفع الأقفال وفُتحت الأبواب، فوجدوا خلفها ضريحًا آخر له أبواب عليها أيضًا أقفال كانت الأختام التى عليها سليمة .

يقول (كارتر) : " كنت أظن أنه فى تلك اللحظة لم نكن ننوى كسر الختم، لأن ذلك يبعث شعورًا بالإثم من هذا التطفل على حرم الفرعون، كان يخيم علينا جميعا شعور بالرهبة لدى فتح الأبواب، وقد علا هذا الشعور بتأثير وجود غطاء النعش الكتانى المزخرف بوردات ذهبية . لقد شعرنا أننا فى حضرة الملك الميت، وعلينا أن نحيطه بالاحترام والتبجيل، وكنا نتخيل أن أبواب الضريح تفتح واحدًا بعد الآخر حتى أظهر الباب الفرعون نفسه . وهكذا انسحبنا بهدوء ونظام واعدنا إقفال الأبواب الكبيرة التى كانت تدور على محور ".

لقد كانت الاستعدادات لإخراج الفرعون الميت تظهر بأنها صعبة لتنفيذ، وهكذا فقد رُدم المدخل المؤدى إلى المقبرة مرة ثانية بالأنقاض .

ظهرت صور الجدران، والتوابيت، والتماثيل والذهب الذى زغلل عيون الجميع، حتى الحكومة المصرية نفسها، التى فوجئت، أو بدا وكأنها فوجئت، بأن القانون يمنح المكتشف دومًا ما يعثر عليه من آثار، مهما بلغت قيمتها.

وفى حالة (كارتر)، كانت مصر ستفقد كنوزًا لا حصر لها، وتحفًا أثرية تتجاوز كل ما عرفه العقل، لو تم تطبيق القانون.

لذا، فقد رفضت الحكومة المصرية تطبيق القانون، ورفضت منح (كارتر) أو (كارنرفون) ولو حلية واحدة، مما تم العثور عليه فى المقبرة .

بل لقد أحاطتها بحراسة قوية، واعتبرتها أرضًا مصرية، لها عليها كل السطوة والسيادة.



شكل رقم (١٣)

لحظة اكتشاف قناع الملك توت عنخ آمون



شكل رقم (١٤)

قناع الملك توت عنخ آمون



شكل رقم (١٥)

كارتر داخل القبر مع ناووس الفرعون



شكل رقم (١٦)

كارتر داخل القبر مع ناووس الفرعون

وبالطبع، لم يستسلم (كارتر) لهذا، وقام بأخذ بضع قطع تذكاريه من آثار مقبرة (توت عنخ آمون) إلى (لندن)، ولكن كل الآثار الثقيلة بقيت، ومعها تلك العبارة الرهيبة ؛ "سيطوى الموت بجناحيه كل من يقلق الملك"..

وكان من الممكن أن تبقى العبارة إلى الأبد، مجرد جملة، سجلها كاهن مصرى قديم، من باب التعظيم للملك، أو حتى القناعة الشخصية، على أحد جدران مقبرة أصغر ملوك الفراعنة.

لولا ما حدث بعد هذا بقليل..

كانت هذه هى العبارة التى وجدت منقوشة على مقبرة (توت عنخ آمون) والتى تلا اكتشافها سلسلة من الحوادث الغريبة التى بدأت بموت كثير من العمال القائمين بالبحث فى المقبرة وهو ما حير العلماء والناس، ومن بينهم بعض علماء الآثار الذين شاركوا فى اكتشاف حضارات الفراعنة، إن كهنة مصر القدماء قد صبوا لعنتهم على أى شخص يحاول نقل تلك الآثار من مكانها.. حيث قيل إن عاصفة رملية قوية ثارت حول قبر (توت عنخ آمون) فى اليوم الذى فتح فيه وشوهد صقر يطير فوق المقبرة ومن المعروف أن الصقر هو أحد الرموز المقدسة لدى الفراعنة.

لكن هناك عالم ألمانى فتح ملف هذه الظاهرة التى شغلت الكثيرون ليفسر لنا بالعقل والطب والكيمياء كيف أن أربعين عالمًا وباحثًا ماتوا قبل فوات الأوان والسبب هو ذلك الفرعون الشاب (توت عنخ آمون)، ورغم أن هذا الملك ليست له أى قيمة تاريخية وربما كان حاكمًا لم يفعل الكثير مثل (تحتمس الثالث)، بالرغم أن فى عصره كانت هناك ثورة مضادة على (إخناتون) أول من نادى بالتوحيد، لكن من المؤكد أن هذا الملك الشاب قد استمد أهميته الكبرى من أن مقبرته لم يمسها

أحد من اللصوص، فوصلت إلينا بعد ثلاثة وخمسين قرنًا سالمة كاملة وأن هذا الفرعون أيضا هو مصدر اللعنة الفرعونية فكل الذين مسوه أو لمسوه طاردهم الموت واحدًا بعد الآخر مسجلًا بذلك أعجب وأغرب ما عرف الإنسان من أنواع العقاب، الشيء الواضح هو أن هؤلاء الأربعين ماتوا، لكن الشيء الغامض هو أن الموت لأسباب تافهة جدًا وفى ظروف غير مفهومة .

ومن جانب آخر اعتقد عالم الآثار (هنرى يرشد) أن شيئًا رهيبًا فى الطريق سوف يحدث، ولكن ما حدث بعد ذلك كان أمرًا غريبًا تحول مع مرور الوقت إلى ظاهرة خارقة للطبيعة وواحدة من الأمور الغامضة التى أثارت الكثير من الجدل والتى لم يجد العلم تفسيرًا لها إلى يومنا هذا، ففى الاحتفال الرسمى بافتتاح المقبرة أصيب اللورد (كارنارفون)، بحمى غامضة لم يجد لها أحد من الأطباء تفسيرًا، وفى منتصف الليل تمامًا توفى اللورد فى القاهرة .

والأغرب من ذلك أن التيار الكهربائى قد انقطع فى القاهرة دون أى سبب واضح فى نفس لحظة الوفاة وقد أبرزت صحف العالم نبأ وفاة اللورد .

وربطت صحف القاهرة بين وفاة اللورد وإطفاء الأنوار وزعمت أن ذلك تم بأمر الملك توت، وقالت بعض الصحف بأن إصبع اللورد قد جرح من آلة أو حربة مسمومة داخل المقبرة وأن السم قوى بدليل أنه احتفظ بتأثيره ثلاثة آلاف عام . وقالت إن نوعًا من البكتيريا نما داخل المقبرة يحمل المرض والموت، وفى باريس قال الفلكى (لانسيلان) : " لقد انتقم توت عنخ آمون ".

وبعد ذلك توالت المصائب وبدأ الموت يحصد الغالبية العظمى إن لم نقل الجميع الذين شاركوا فى الاحتفال، ومعظم حالات الوفاة كانت بسبب تلك الحمى الغامضة مع هذيان ورجفة تؤدى إلى الوفاة . بل إن الأمر كان يتعدى الإصابة بالحمى فى الكثير من الأحيان . فقد توفى سكرتير (هوارد كارتر) دون أى سبب

ومن ثم انتحر والده حزنا عليه . وفى أثناء تشييع جنازة السكرتير داس الحصان الذى كان يجر عربة التابوت طفلًا صغيرا فقتله . وأصيب الكثيرون من الذين ساهموا بشكل أو بآخر فى اكتشاف المقبرة بالجنون وبعضهم انتحر دون أى سبب الأمر الذى حير علماء الآثار الذين وجدوا أنفسهم أمام لغز لا يوجد له أى تفسير .

محاولة نقل مومياء توت عنخ آمون :

بدأت أيدى فريق العمل برئاسة د. زاهى حواس عالم الآثار المصرى فى نقل مومياء الملك (توت عنخ آمون) خارج المقبرة لدراستها بالأشعة السينية بعد أن قرر فاروق حسنى وزير الثقافة أن يتم ذلك فى مقبرتها بالبر الغربى بالأقصر .

وفجأة هبت عاصفة ترابية حادة غطت وادى الملوك كله . وتوقف فريق العمل عن الحركة ونظروا برعب إلى د. حواس الذى فهم نظراتهم على الفور وقال بلهجة حاسمة " ما فيش حاجة .. ما فيش لعنة فراعنة .. أول ما تنتهى العاصفة نشتغل فورًا " .

وانتهت العاصفة وعاد العمال والباحثون إلى العمل من جديد، وأخرجوا المومياء الشهيرة إلى خارج المقبرة لتركيب جهاز الأشعة السينية وهو جهاز فى غاية الدقة أرسلته جمعية (ناشيونال جيوجرافيك) الأمريكية .

وفجأة توقف الجهاز عن العمل لمدة ساعة ونصف وكان هذا غريبا جدا فالجهاز جديد .

وبدأت نظرات العاملين للدكتور زاهى تحمل كلاما كثيرا . ولكنه قرر أن يتجاهل نظراتهم مستغرقًا فى العمل لكشف غموض مصرع الملك (توت عنخ آمون) شابًا دون العشرين وما يمثله هذا الكشف من أهمية وإضافة تاريخية كبرى .

رن جرس التليفون المحمول فى جيب د. زاهى كان صوت شقيقته تبكى بحرقة: زوجى مات !! ويبدأ يشعر بانقباض وتشاؤم وبعد انتهاء العمل قرر أن يسافر إلى بلدته دمياط للمشاركة فى جنازة زوج شقيقته وصديق عمره.

وقبل أن يركب سيارته اتصل بالوزير الفنان فاروق حسنى يبلغه بضرورة سفره لحضور الجنازة . قال له سكرتيره : سيادة الوزير شعر بإرهاق مفاجئ وعدم انتظام لضربات القلب، وقد قرر الطبيب دخوله مستشفى القلب بمدينة أكتوبر للاطمئنان عليه وسقط التليفون من يده .

المعروف أن د. زاهى حواس واحد من العلماء الذين يرفضون فكرة لعنة الفراعنة ويعتبرونها خرافة أطلقها الصحفيون وصدقها العالم . فهل قررت مومياء الملك الشاب أن تلقنه درسًا ؟

وقد وسألته إعلامية ما فى أحد المؤتمرات: هل مازلت تعتقد أنها خرافة.

أجاب ضاحكا: هل تعلمين أننا اكتشفنا مقبرة فى الهرم وعندما حددنا موعدًا لإعلان الكشف قام زلزال عام ١٩٩٢ وبعدها بشهر اتفق معى الفنان فاروق حسنى وزير الثقافة أن يتم الإعلان عنها فى مؤتمر صحفى وأنا فى طريقى للمؤتمر فاجأتنى أزمة قلبية ونقلنى السائق فورًا إلى المستشفى وتأجل الافتتاح . وبعدها أصابتنى صدمة كهربية من إحدى مقابر العمال ولكنى لا أحب أن تسيطر على هذه الأفكار فأنا اعشق التاريخ الفرعونى وملوكه العظام.

سألته الصحفية : هل لعنة الفراعنة موجودة أم مجرد أسطورة؟ قال يبدو أنى مضطر للاعتراف بذلك حاليا وحتى اثبت عكس ذلك!!

أيضا كان الدكتور محرز المدير العام لمصلحة الآثار القديمة فى المتحف المصرى فى القاهرة من المعارضين لفكرة لعنة الفراعنة، وعندما سئل عن ذلك أجاب : " أنا ببساطة لا أؤمن بهذا، انظروا إلى، فأنا منهك فى قبور ومومياء الفراعنة طيلة حياتى،

ومع ذلك فأنا برهان حى على أن كل هذه اللعنات هى من قبيل المصادفات " . لكن بعد أربعة أسابيع من هذا التصريح وجد الدكتور محرز ميتًا وهو فى الثانية والخمسين من العمر وشخص الأطباء أسباب الوفاة أنها انهيار فى جهاز دوران الدم فى جسمه .

والغريب أن موته كان فى نفس اليوم الذى نزع فيه قناع توت عنخ أمون للمرة الثانية .

الغريب أن العالم بدأ يعترف بوجود لعنة للفراعنة مع اكتشاف مقبرة (توت عنخ آمون) فى البر الغربى بالأقصر عام ١٩٢٢ وقد عرف المهتمون بالآثار أن ملوك الفراعنة كانوا يكتبون دائمًا أمام مقابرهم تحذيرًا شديد اللهجة من وجود لعنة ستصيب كل من يقترب من المومياء المدفونة أو الكنوز والأموال والمأكولات الموجودة معها فى رحلتها الأبدية للخلود .

وفى عام ١٩٧٧ تولى الأثرى محمد مهدى رئاسة هيئة الآثار، ووافق على أن يسافر معرض لكنوز (توت عنخ آمون) إلى أوربا، وقام بتوقيع العقد وعند خروجه من مكتبه بميدان التحرير صدمته سيارة مسرعة فمات على الفور وتولى بعده الأثرى محرز الذى فاجأته أيضا أزمة قلبية صباح موافقته على سفر القطع الأثرية للخارج .

ومنذ اكتشاف مقبرة الملك (توت عنخ آمون) لم يهدأ اهتمام العالم بها لأنها أول مقبرة يتم العثور عليها كاملة دون أن تمتد إليها يد اللصوص، وقد تكون قضت عليهم اللعنة، ولأنها تحوى كنوزًا من الذهب الخالص قمة فى الفن والنحت والثراء، ولأن بطلها هو ملك تولى العرش فى سن الثامنة، ومات قبل أن يصل إلى سن عشرين سنة وكانت حياته مليئة بالمآسى والتراجيدى، ويقال أنه مات مقتولًا وأن هناك إصابة فى جمجمته تدل على ضربه بهراوة ضخمة .

وهذا العام تقدمت جمعية (الناشيونال جيوجرافيك) الأمريكية بطلب لفحص مومياء الملك الشاب التى بقيت فى مقبرته بالأقصر منذ اكتشافها وحتى الآن، ولأهمية هذه الدراسة لمعرفة الأسباب الحقيقية وراء وفاة الملك شابًا مما يكشف جزءًا من حقبة تاريخية هامة . ووافق د. زاهى حواس أمين عام المجلس الاعلى للآثار.

وبالفعل نشرت الصحف المصرية والعالمية الحدث الذى سوف تشهده القاهرة، وأنه سيتم نقل مومياء الملك من الأقصر إلى المتحف المصرى بميدان التحرير بالقاهرة، وقامت قيامة أبناء الأقصر وبعض الأثريين العاملين هناك، وتساءلوا لماذا يأخذون مومياء الملك من مدينته .

فاستجاب فاروق حسنى وأصدر قرارًا ببقاء المومياء فى مكانها وأن تذهب إليها البعثة الأمريكية وعلماؤها بصحبة العلماء المصريين مادام ذلك الأمر هامًا علميًا وتاريخيًا حفاظًا على المومياء، وبالفعل انتقل فريق العمل إلى هناك . والغريب أن د. صالح بدير عميد كلية الطب الأسبق ومدير مشروع فحص المومياوات اعتذر عن عدم المشاركة فى فحص المومياء وانسحب مؤكدًا أنه لا يستطيع إكمال هذا المشوار، وأعلن أنه يعارض تجارب الـ A.N.D التى تقرر إجراؤها لأن نسبة نجاحها لا تتعدى ٦٠ ٪ وطلب ضرورة الاستعانة بفريق طبى متخصص فى قراءة الأشعة، وأن القاعدة الأساسية فى كل هذه الأبحاث هو الحفاظ على تراثنا واحترامنا لملوكنا من الفراعنة القدماء وتقديرنا للتاريخ . وكان انسحاب د. بدير علامة استفهام كبيرة وصرح للصحف أنه طلب استبعاد العالم الأمريكى (دى ميللر) من التجارب أو قراءة الأشعة، وأوصى أن يستكمل أبحاثه التى جاء من أجلها على المومياوات غير الملكية!!

المهم أن نتائج الأشعة المقطعية التى أجريت لمومياء الفرعون سوف تظهر بعد حوالى شهر من إجرائها، إلا أن العلماء أكدوا إن النتائج الأولية أظهرت مفاجأة

تاريخية فقد أكدت أنه لا يوجد آثار لجروح أو خبطات فى جمجمة المومياء وهذا يغير العديد من النظريات التى اعتمدت على أن الفرعون الشاب مات مقتولًا قبل سن العشرين بسبب مؤامرة أحبكت ضده أو بسبب سقوطه من فوق العجلة الحربية وأن هناك شقًا في جمجمته يوضح أنها تلقت ضربة بعصا أو بهراوة، ولكن يؤكد علماء الآثار الذين شاركوا فى البحث أن (كارتر) عندما استخرج المومياء وكانت ترتدى القناع الذهبى الشهير قام بتعريضها لأشعة الشمس حتى تجف وينزع القناع ثم قام بتركها لمدة سنة فى مقبرة (سيني) واكتشف الباحثون أنها مفككة إلى ١٣ قطعة ثم جمعت داخل قماش الكفن.

وكانت هناك نظرية أخرى يؤكد فيها العلماء أن الملك (توت عنخ آمون) كان مريضًا وموته كان طبيعيًا، وهذا ما أكدته النتائج الأولية للأشعة المقطعية، بينما أمراضه أو أنواعها فمن المنتظر أن تكشف عنها الأبحاث القادمة.

كل هذه الأحداث تؤدى إلى المزيد من الأسئلة ؟ هل هذه اللعنة حقيقة أم خيال. ؟ وماهى كينونة هذه اللعنة ؟ هل بإمكان إنسان ما حتى لو ادعى الإلوهية أن يؤثر على حياة البشر الآخرين ؟ هل توصل قدماء المصريين إلى معرفة شيء يؤدى إلى التأثير فى إيقاع حياة الآخرين ؟ وإذا كان هذا الفرض صحيحًا فهل توصلوا إلى ذلك بفضل عقائدهم الخفية، أم اعتمادًا على معارف علمية متطورة اندثرت ولم يصل إلينا خبرها ؟

أم أن الأمر مجرد صدفة ؟ والصدفة هنا كما عرفها العلماء أنها اتفاق الظروف.

لقد مات ٢٢ شخصًا من الذين حضروا فتح مقبرة (توت عنخ آمون) ميتات غامضة، فهل هذا من قبيل الصدفة ؟ وإذا كان كذلك فهل هناك قانونًا وراء هذه الصدفة ينفى عنها صفة العشوائية ويكشف عن أشياء جديدة لم ينتبه إليها الباحثون حتى الآن ؟ أم إنه يرجع إلى إجراء وقائى دفاعى قام به الكهنة لحماية المقابر .

هل عرف قدماء المصريين من أصحاب العلم والحكمة ما لم يصل إليه علماء اليوم ؟ لقد كانوا على دراية بعلوم الطاقة والهندسة والفلك فهل استطاعوا من خلالها توليد قوى خاصة يمكن أن تنهى حياة البشر الذين يتعرضون لهذه القوى؟ وهل هذا ما يطلق عليه لعنة الفراعنة ؟

لقد وصل الفراعنة إلى معارف علمية مبهرة كانت وقفًا على الكهنة والحكماء . وبالتالى فقد ضاعت وتبددت هذه المعارف العلمية المتفوقة بعدهم ولم تصل إلينا .

ونتيجة للعقيدة التى كانت سائدة والتى تقول بعودة الحياة إلى الجسد مرة ثانية إذا ما أحسن تجهيزه لاستقبال الحياة الجديدة، لم يكن غريبًا أن يركز كهنة مصر القديمة كل جهودهم، وأقصى علمهم لحماية المومياء .

عجائب تشريح مومياء الفرعون الصغير:

فى محاولة للبحث عن سر ما يدعى بلعنة الفراعنة، اتجه البحث إلى دراسة مومياء الفرعون الذى أثار ظهوره هذه اللعنة، وبدأت أغرب عملية تشريح فى لتاريخ بعد أن توفى صاحبها بـ ٣٣ قرن .

قام بعملية التشريح دكتور (دوجلاس ديري) أستاذ التشريح بكلية الطب بجامعة القاهرة في١١ نوفمبر ١٩٢٥م، وكان ذلك فى معهد التشريح فى جامعة القاهرة، فى الساعة التاسعة وخمسة وأربعين دقيقة . بصحبة (هوارد كارتر) وعدد من المساعدين منهم السيد (لوكاس) الكيماوى فى دائرة الآثار .

وقد كانت تنتاب (ديري) الشكوك حول إنجاز التشريح وكان خائفًا فقد كان الحدث عظيمًا فهو أول تشريح لجثة قديمة جدًا . ويبدو خوفه وقلقه فى نغمة الاعتذار الرقيق فى مذكراته : " يمكننى أن أقول كلمة هنا حول الدفاع عن عملية كشف جسم (توت عنخ آمون) وفحصها ، فهنالك كثير من الأشخاص يعتبرون أن

مثل هذا الفحص لا يخلو من طبيعة تدنيس للمقدسات وأنه كان من الواجب أن يترك الفرعون فى مثواه الأخير دون أى إزعاج . ولكن إذا أخذنا فى الاعتبار السرقات المتكررة للقبور ؛ فيجب أن لا يغيب عن بالنا أنه عندما تحدث مثل هذه الاكتشافات ؛ فإنه إذا تركت أى أشياء ذات شأن فى القبر فإنها تكون دعوة صريحة للصوص، وإن معرفة الناس أن هنالك أشياء ذات قيمة مخبوءة تحت الأرض لمسافة بضعة أقدام سوف تكون حافزًا لمحاولات كثيرة للحصول على هذه الأشياء، بينما نجد أن استخدام الحراسة القوية يمكن أن يكفى ولكن لمدة من الزمن لمنع هذه المحاولات إلا أنه عند حدوث أى إهمال فى اليقظة فذلك يؤدى إلى استغلاله فى الحال " .

نقلت مومياء (توت عنخ آمون) بشكل طارئ إلى القاهرة من أجل عملية التشريح، كما نقلت جميع مومياوات الفراعنة ولكنه دفن ثانية فى ناووسه فى وادى الملوك وهو راقد قرب الأقصر حتى اليوم .

توجه (ديري) و(كارتر) إلى الجثة المغطاة بالملاءات البيضاء، وبدأ فى إزالة الزينات الخارجية والأغطية المزركشة بالذهب حتى ظهرت المومياء عارية وعليها فقط الأغطية البسيطة والقناع الذهبى . وكانت الأغطية الأخرى تتألف من غطاء كتانى مثبت فى موضعه بواسطة ثلاث شرائط طويلة مصنوعة من الكتان، موضوعة بالطول واحدة فى الوسط واثنتان فى كل جانب وأربع شرائط أخرى موضوعة بالعرض أيضًا من الكتان يتراوح عرضها بين ٢.٥ و ٣.٥ بوصة موضوعة فوق بعضها البعض بشكل مضاعف، وكان الشريط الأوسط يبدأ من منتصف البطن وبالأدق من أسفل الزور، وكان يمر تحت الشرائط العرضية ويمتد فوق القدمية ثم تحت الأخمص وينعطف راجعًا تحت الطبقة السفلى للشرائط العرضية، وكانت المومياء تضطجع على زاوية طفيفة وهذا يوحى بأنها تعرضت لصدمة ما عندما أنزلت إلى الناووس، وهنالك دلائل على أن بعض المراهم قد



شكل رقم (١٧)
مومياء توت عنخ آمون



شكل رقم (١٨)
مومياء توت عنخ آمون

صبت فوق المومياء والتابوت قبل إنزالها إلى الناووس، وكان السائل يستقر فى مستويات مختلفة على الجانبين مما يوحى بميلان التابوت .ونتيجة للحالة الرثة المتضخمة للأغلفة الكتانية المحيطة بالجسم فقد طلى جميع السطح الظاهر بشمع البارفين الذائب فى درجة حرارة كافية لعمل غلاف رقيق على السطح، وعندما تجمد البارافين مع اختراق طفيف للأغلفة البالية تحته وأصبح باردًا شق الدكتور (ديري) شقًا بالطول فى أسفل وسط الربائط الخارجية إلى العمق الذى اخترقه زيت البارافين . وهكذا استطاع أن يزيل الطبقة القاسية بكتل كبيرة، ومع ذلك فلم تنته متاعب التشريح فقد كانت الربائط واللفائف الكبيرة الملتفة قد أصبحت فى حالة سيئة من التفحم والتلف، فلم يتمكن دكتور (ديري) من إزالة الطبقة الرقيقة الخارجية من أربطة المومياء وذلك بتحريرها من النقاط التى تلتصق بالتابوت حتى يمكن إزالتها بالتدريج .

لكن محاولته فشلت لأن الكتان تحت الجثة والجسم نفسه كان مشبعًا بالمراهم التى كونت كتلة تشبه الزفت فى أسفل التابوت بحيث التصقت الكتلة بالتابوت وأصبحت جزءًا لا يتجزأ منه، وأصبح من المستحيل دفعها إلا بالمخاطرة بإحداث ضرر جسيم بالمومياء، وحتى بعد إزالة القسم الأعظم من الربائط بحرص كان من الضرورى نزع المواد القاسية بواسطة الأزميل من بين أعضاء الجسم والجذع قبل أن يصبح بالإمكان رفع بقايا الملك .

عند فك الأربطة التى حول المومياء عثروا على ١٤٣ قطعة من الحلى والجواهر بين طبقات القماش، ولقد وضعت كل قطعة على وسادة صغيرة من الحرير حتى لا تؤثر على الشكل الخارجى للمومياء، وقد ظهرت المجوهرات بين طيات الربائط .

وكلما اقتربت الربائط من الجسم كلما ظهر فسادها وانحلالها، ويظهر بوضوح أن جذع المومياء كان ملفوفًا بشكل صليبى عرضى فقد كان الذراعان والرجلان

وعضو التناسل ملفوفة كل منها لوحدها أولاً، وبعد ذلك تشد وتلتحق ببقية الأربطة العامة الرئيسية فى الجسم . وكانت اليد اليمنى موضوعة على الورك لأيسر واليد واليسرى على أضلاع الصدر اليمنى بشكل يجعل اليدان على شكل صليبى، وأما أصابع الرجلين فكانت ملفوفة بالقماش وعلى كل منها غلاف من الذهب مشدود عليها . ويحيط بالرأس قطع مستطيلة ومستقيمة من الكتان وتحتها وجدت وسائد تاج يشبه تاج أوزريس أو تاج (أنتيف) . ويبدو أن الوسائد صممت لحماية وجه المومياء من القناع الذهبى الموضوع فوقه، وهنالك على وسادته تميمة بشكل نصف دائرة ولها عنق يمثل دعامة أو سنادا للرقبة، والغريب أنها مصنوعة من معدن الحديد الذى لم يظهر له أى وجود فى أنحاء المقبرة . والأعجب أن المعنى الرمزى من وجود الحديد فى هذه التعويذة يعتمد على أحد نصوص كتاب الموتى، والذى يقول " استيقظ من سباتك الذى أنت فيه، إنك سوف تنتصر على كل شئ يعمل ضدك، لقد انتصر الإله بتاح على أعدائك فلم يعد لهم وجود " . وبسبب هذه التعويذة افترض علماء الأشعة احتمالا أن يرجع التأثير الذى يطلق عليه لعنة الفراعنة إلى نوع من الإشعاعات القاتلة تصدر من بعض عناصر المقبرة .

ولكن من المذهل أن نلاحظ أن حكم الإعدام المذكور فى كتاب الموتى قد تحقق لاثنين من العلماء الذين حضروا عملية تشريح المومياء .

كان كلما قام دكتور (ديري) بحل اللفائف ظهر المزيد من التعاويذ والتمائم حتى بلغت إحدى وعشرون تميمة حول رقبة (توت عنخ آمون) وهى تعاويذ دلالتها تتعلق بعملية الدفن وهى ليست فقط تتعلق بعملية الزينة ولكنها عبارة عن وسائل تقنية .

والغريب أن كلما كشف دكتور (ديري) طبقة جديدة من شرائط الكفن المستطيلة، كانت تظهر تعويذات جديدة ترمز إلى (إيزيس)، ورمزان ذهبيان من

رموز (أوزيريس)، وصولجان من الفلسبار الأخضر، وبعدها ظهرت ثلاثة أقراط ذهبية بشكل ورق النخيل أوالثعبان المقدس ثم تمثال لإله الحكمة والسحر من الفلسبار، ثم رأس حية من العقيق الأحمر، ثم قرط يمثل الإله حورس من اللازورد الأزرق، ثم تمثال لـ (أنوبيس) من الفلسبار وصولجان من نفس المادة، أما التمائم على الملاءة السفلية فكانت تشمل ثعبانًا مجنحًا نه رؤوس بشرية وثعبانًا ملكيًا مزدوجًا وخمسة عقبان وهذه التعويذات حول رقبة الفرعون الميت حسب العقيدة الفرعونية تحمى فرعون وهو فى طريقه إلى عالم الموتى . وكان الشعب يثق ثقة عظيمة فى هذه التمائم والتعاويذ .

والسؤال الذى يطرح نفسه هنا : هل كان الكهنة الذين يمثلون الطبقة العليا المثقفة من العلماء فى مصر القديمة يؤمنون بالقوى السحرية الخارقة لتلك التعاويذ ؟ أم إنهم كانوا يعلمون بعجز هذه التمائم فى هذه الأمور وكانوا يستخدمون معارفهم الغزيرة، وعلمهم الوفير الذى يحتكرونه فى إعطاء هذه التعاويذ بعض التأثيرات الكيميائية أو الإشعاعية لدعم قوة هذه التعاويذ ؟ مع العلم أنه لا يشترط فى سبيل إيجاد هذه القوة الخارقة أن يطبق الإنسان نظرية عملية كنظرية الإشعاع او الفيروسات فالمهم هنا هو التأثير فقط .

وبالتالى ومن خلال ذلك المفهوم يمكن تفسير الأمور الغامضة التى يستعصى على العقل تفسيرها وفهمها . لكن بالرغم من تلك الخوارق فى العلوم المصرية القديمة والطقوس الغامضة التى استعملها الكهنة فذاك لم يمنعهم من استعمال الاكتشافات العظيمة فى العلوم الطبيعية .

ويقول (كارتر) فى دراسته لاكتشاف القبر والتى ظهرت فى ثلاث مجلدات : " وجدنا كلا الساعدين مكسورين بكثافة من المرفق حتى المعصم بالأساور الذهبية الرائعة ؛ سبعة على الساعد الأيمن وستة على الساعد الأيسر وهى تتألف من العقيق الأحمر، وظهر من حجم هذه الأساور أنها كانت تطوق ذراعا صغيرًا جدًا،

ولم يدل أى واحد منها على أنه خصص للدفن مع الميت بل كانت تبدو جميعًا وكأنها أدوات شخصية تُلبس خلال الحياة، وكان كل أصبع وكل إبهام ملفوفًا بقطع من الكتان الناعم ومغلفًا بغلاف ذهبي، وعلى كل من الإصبع الثانى والثالث لليد اليسرى خاتم ذهبي. وهنا نصل إلى الأحشاء حيث وزعت عشرة أشياء وكأنها بشكل طبقات فى الجانب الأيسر للربائط الخارجية القليلة كان هنالك تميمة بشكل Y مؤلفة من صفيحة ذهبية ثمينة ومعها صفيحة بيضاوية ذهبية أيضًا وهما موضوعتان فوق بعضهما رأسًا، وإن دلالة هذه التميمة بشكل Y ليس واضحا فهنالك جسم مشابه مصور على توابيت الدولة الوسطى، يحمل كلمة تبدو أنها تعطى معنى (العصا) ولكن ربما أن الرمز يشكل قسمًا من الكلمة الهيروغليفية بمعنى (الكتان) أو (الملابس)، ولهذا فمن المحتمل أن تشير هذه الكلمة إلى الأربطة أو ربائط المومياء، ولا تختلف عن هذه الكلمة المعانى التى ترمز إليها الصحيفة المعدنية البيضاوية التى وجدت معها فقد كان المقصود منها تغطية الفجوة فى جانب المومياء اليسرى التى كان المحنطون قد نزعوا منها الأحشاء الداخلية لحفظها وحدها".

بعد ذلك وصلوا إلى تعويذة لم يفهموا لها وظيفة أو رمزًا، كانت هذه التميمة كبيرة على شكل حرف T الإنجليزى. ويقول عنها كارتر فى كتابه: "والشيء التالى الذى يلى هذه هو رمز بشكل T وهو مصنوع من صحيفة ذهبية تشبه رقعة الرسام كانت موضوعة على الرباط فوق الجانب الأيسر من البطن وامتدت حتى الجزء العلوى من الفخذ الأيسر ليس لها مثيل ولا يعرف معناها تمامًا".

وبالإضافة إلى ذلك فقد وُجدت أشياء نموذجية للزينة مثلًا ثمانى حلقات ذهبية حول البطن والفخذ والعضد. ثم وُجدت طبقات من الربائط البالية تمامًا وأيضًا ظهر حزام ذهبى مرصع بالجواهر وتحت الحزام ثبت بشكل مائل أظرف خنجر من أجمل ما رأته عين بشر فقد كان مقبض ذلك الخنجر مزخرفًا بالذهب الأصفر

الحبيبى وكانت شفرته من الذهب المقسى وبعد ذلك رفع الأستاذ (ديري) آخر الربائط حيث كان كل من حوله يراقب ما يفعله باهتمام وبأعصاب متوترة . يقول (ديري) : " كان جلد الرجلين شأن بقية الجسم ذا لون أبيض رمادى، وكان هشًا وتظهر عليه تشققات متعددة وبعد فحص قطعة منه وحد أنها لا تحتوى على الجلد فحسب بل على جميع الأجزاء اللينة حتى العظم الذى كان يظهر عاريًا بعد نزع تلك القطعة عنه ولم يزد سمك الجلد والأنسجة تحته فى هذه الحالة على مليمترين أو ثلاثة مليمترات " .

ويتابع (ديري) وصف الأطراف فيقول : " ظهرت الأطراف منكمشة وهزيلة ولكن حتى لة سمحنا بإسقاط مناسب لانكماش الأنسجة ظهور النحول والهزال الذى أنتجه هذا الانكماش فلا يزال من الواضح أن (توت عنخ آمون) كان ذا بنية ضئيلة، وربما لم يكن قد تم نمو جسمه عند موته . وعند القياس وجد طوله خمسة أقدام و ٤.٥ بوصة ولكن طبقا لتقديرات الأستاذ (كارل برسون) وجد أن قامته كانت ١.٦٧٦ متر أي٥ أقدام و٦ بوصات، وهذا رقم قريب جدا من الحقيقة ".

لقد تعرف (ديري) على الحقيقة وهى أن (توت عنخ آمون) مات وهو صغير السن وذلك عندما كشف القسم السفلى من عظم الفخذ فوجد أن العظم التام الضخم كان منفصلاً عن الساق ويتحرك بحرية (والعظم التام الضخم هذا هو جزء من العظام التى تتحجر وتتحول إلى عظم بشكل منفصل أى قبل العظام الأخرى وقبل أن يلتحم بالقسم الرئيسي) وفى عظام الأطراف يؤلف العظم التام الضخم الجزء الرئيسى فى الأطراف العلوية والسفلية وفى سن الطفولة تكون هذه العظام متصلة بالعظام الأخرى بواسطة غضاريف تتحول إلى عظام صلبة أخيرا ويتوقف النمو . أى أن حالة الغضاريف والتحامها تعتبر مقياسا للعمر، فعظم الفخذ السفلى يلتحم بالساق عادة فى حوالى سن العشرين أما فى النهاية العليا لعظم الفخذ فإن البروز المعروف بالرضفة الكبرى (نتوء فى الجزء العلوى من عظم

الفخذ) كان ملتحمًا بالعظمة الرئيسية ولكن فى الجانب الداخلى كان من السهل رؤية فجوة صغيرة تظهر سطوح الغضاريف الناعمة حيث لا يزال الالتحام غير تام وهذا العظم الكبير يلتحم فى حوالى سن الثامنة عشرة، وبالتالى وطبقًا لما ظهر من عظام الأرجل فإن (توت عنخ آمون) كان فوق الثامنة عشرة ولكن أقل من العشرين عند وفاته .

وأما تشريح الذراع فقد تم بعناية لا تقل عن العناية التى بذلت فى تشريح الرجل وأظهرت نفس النتائج التشريحية، فالجلد يميل إلى اللون الرمادى والتحامات غضروفية . وقد كتب (ديري) فى تقريره عن تشريح الجثة يقول : " كانت رؤوس العضد التى تلتحم فى حوالى سن العشرين لا تزال غير ملتحمة ولكن النهايات السفلية كانت ملتحمة . وإن نهايات عظمى الكعبرة والزند فى المصريين الأحياء تظهر التحاما قليلًا أو حتى عدم التحام فى معظم الأحوال حتى سن الثامنة عشرة، وبعد هذا السن تبدأ بالالتحام بسرعة تقريبًا . ويبدأ الالتحام الداخلى بعظم الزند ويتقدم بشكل عرضى (جانبي) وبالتدريج يغلف الكعبرة، وفى حالة (توت عنخ آمون) ظهر أن الالتحام بدا فى عظم الزند ولكن الطرف الأقصى للكعبرة ظهر أنه غير ملتحم، وكان يتحرك بحرية فمن وضع العظام الكبيرة هنا ظهر أن الملك كان فى الثامنة عشرة عندما توفى فلم تكن أى عظمة كبيرة من التى يجب أن تلتحم فى العشرين من العمر تظهر أى دلالة على الالتحام، وهناك دلائل تشير بأنه فى مصر تميل العظام الكبيرة إلى الالتحام فى زمن أقرب مما هو الحال فى أوروبا .

وجد (ديري) عند فحص مومياء (توت عنخ آمون) أن جلد البطن أقل تماسكا من جلد رجليه وذراعيه وقد قرر ما يلى :

" لقد كان الجدار البطنى منتفخًا من الجهة اليمنى وقد وجد أن سبب ذلك يعود إلى إدخال مواد لحفظ الجثة عبر تجويف البطن من الجانب الأيسر حيث يوجد شق

التحنيط، وهذه الفتحة التى لها مظهر مهلهل تبلغ فى طولها ٨٦ مليمتر تقريبًا، وقد سحبت أحشاء الفرعون من خلال ذلك الشق ولم تحنط هذه الأحشاء مع الجثة ولكنها حفظت منفصلة فى القبر .

اعتقد المصريون القدماء أن الإله (أوزيريس) يزن قلب كل إنسان فى يوم الدينونية ولهذا فيجب أن يحفظ القلب فى قارورة خاصة . وبدلًا من القلب كان الكهنة يضعون أحيانًا جعرانا وهذا يمثل خنفساء الروث وهى الحشرة التى اعتقد المصريون بقداستها، وكان السبب ور ء إخراج الأعضاء خوفًا من أن يصيبها الفساد والتلف بسرعة، والسبب الآخر أنهم بنظرون بعين الاعتبار للرمزية التى تمثلها هذه الأعضاء فهى المنبه والمثير للجوع والعطش، ولم يكن يسمح للأموات أن يصطحبوا هذه المثيرات فى رحلتهم إلى العالم السفلى وهذا هو السبب فى وضع تلك الأعضاء فى أربعة قرارير منفصلة وكانت أغطية هذه القوارير منحوتة بشكل رؤوس أبناء الإله (حورس) الأربعة وهم (أمست)، (هابي)، (دوموتيف)، (كيبخسينف)، وصممت بحيث ترد غائلة الجوع والعطش . وكانوا يعتقدون أن إزالة الأعضاء الداخلية من البطن تحسن درجة حفظ الجسم وتحنيطه . وفى زمن (توت عنخ آمون) كانت أجسام الموتى تفتح وتزال منها أعضاؤها الداخلية قبل عملية التحنيط ولكن لم يكن دومًا يتم الأمر بهذا الشكل فإن مومياوات معبد (أمنحوتب) فى الدير البحرى لم يظهر بها ى شق أو فتح فى البطن، لكن عملية شق الجثة وإزالة محتويات البطن صار مألوفًا ابتداءً من الأسرة الثانية عشرة فصاعدًا .

وبالعودة لتشريح المومياء فقد وجد (ديري) أنه من الصعوبة تعرية (توت عنخ آمون) لذا فقد كان عليه أن يتقدم بالعمل بحذر لكى يتأكد من عدم تشويه الوجه، بدأ فى إزالة ربائط الرأس، كان (توت عنخ آمون) يمتلك قذالًا (مابين الأذنين من مؤخر الرأس) تام النمو وهذا ما لاحظه علماء الآثار بالنسبة لقذال إخناتون .

وبعد إزالة بضع لفائف من الأربطة كشف إكليل من قماش مرصع بالجواهر يحيط برأس الفرعون تماما وهو غاية فى الجمال عصابة بسيطة حول الرأس، أما تصميمه فهو عبارة عن شريط ذهبى دقيق الصنع مزين بحلقات متماسة متصلة بعضها ببعض وهى من العقيق الأحمر وبها أزرار رقيقة من الذهب مثبتة فى وسطها وفى مؤخرته قرص بشكل قوس من الأزهار تدلى منه ناتئان بشكل شريطين ذهبيين مزينين بنفس الطريقة، وقد جاء فى وصف هذا الإكليل فى إحدى البرديات " هذا الذى يظهر مخيفًا على حاجب الشمس الإله، وعلى حاجب الملك الأرضى، يجلب الخراب على أعدائهما ".

وعلى جانبى العصابة توجد زوائد من نوع اعرض، ولكن عليها أقراص ضخمة متصقة من الجوانب الأمامية، ثم وجدت شارة السلطة على مصر العليا ومصر السفلى منفصلة على الفخدين الأيمن والأيسر بالتوالى ولما كان جسم الملك مسجى فى الناووس من الشرق إلى الغرب بحيث إن رأسه كان متجهًا إلى الغرب، وهكذا فقد كان ثعبان بوتو المقدس على يساره ونسر (نخيبين) على يمينه . وهاتان الشارتان كانتا فى وضع يمثل الشكل الجغرافى تماما (مصر العليا ومصر السفلى) .

ومن المعروف أن قدماء المصريين كانوا يُولون الأكاليل اهتمامًا خاصًا، مما يرجع إيمانهم بالقوى السحرية لهذه الأكاليل . كما أن الأفعى التى كانت تظهر على الإكليل الذى يضعه فرعون حول رأسه من المفترض أن لها القوة على تحطيم الأعداء، لكن ما طبيعة هذه القوة ؟ هل يمكن أن يكون الإكليل مصدرًا لنوع من الإشعاع ؟ وهل لهذا الإشعاع صلة بتعدد حالات الوفاة بين الذين شاركوا فى اكتشاف قبر (توت عنخ آمون) ؟ خصوصًا لأن (توت عنخ آمون) هو الوحيد الذى وجد ذلك الإكليل على رأسه عند فتح المقبرة.

فى الواقع لم يكن الأكليل تاج الملك الذى كان جميع الفراعنة يلبسونه ولكن كان من النوع الذى يصنع لكل فرعون على حدة . ولم يكن مجرد زينة فوق رأس الملك،

فأوراق البابيروس التى ترجع إلى عهد سحيق وتحتوى على تر تيل تمجد الإكليل شى أقدم وثائق مكتوبة وقد استعملها المصريون منذ الألف الثالث قبل الميلاد .

خلال عملية تشريح الجثة عثر الدكتور (ديري) على قبعة كتانية دقيقة الصنع، وعليها غرز من الذهب واللؤلؤ وكانت مناسبة ليرتديها رأس حليق الشعر هنا يكتب (كارتر) : " إن إزالة الربائط النهائية التى كانت تحمى وجه الفرعون احتاجت لأقصى درجات العناية والانتباه ؛ وذلك لأن حالة الرأس المتفحمة كانت تهدد بإحداث أعظم الأضرار بتقاطيع الوجه، وقد كنا ندرك مدى الأهمية والمسؤولية الملقاة على عواتقنا، وبعد لمسة فرشاة ناعمة سقطت آخر قطع بالية هشة من القماش فإذا بوجه هادئ صاف عليه سمات الشباب، ويبدو أن المراهم التى صبت فوق المومياء قد أحدثت تفاعلات كيماوية وهذه بدورها أنتجت حرارة، ولهذا فإن جلد الفرعون قد أصبح محترقًا وعليه بقع سوداء " .

وقد ورد فى تقرير (ديري) لتشريح الجثة ما يلى : " كانت السداداتان اللتان تسدان فتحتى الأنف مصنوعتين من قماش منسوج ومنقوع (بالراتنج) وكانت العينان مفتوحين جزئيًا ولم تمسا أبدًا، وكانت رموش العين طويلة جدًا، وقد أصبح الجزء الغضروفى من الأنف منبسطًا جزئيًا بفعل ضغط الربائط، وكانت الشفة العليا مرتفعة قليلًا إلى الأعلى حتى ظهرت القواطع الوسطى، وكانت الأذنان صغيرتين وحسنتى التكوين وشحمتا الأذنين مثقوبتين بثقوب قطرها حوالى ٧.٥ مليمتر، وجلد الوجه لونه رمادى وهو مشقق وهش وفجوة الجمجمة فارغة ما عدا بعض الراتنج الذى أدخل إلى الجمجمة من خلال الأنف على طريقة التحنيط فى تلك الأيام بعد أن أخرج الدماغ من نفس الطريق .

ولقد ظهرت موجة من الانفعال فى تلك الأيام بسبب الاعتراف بوجود إصابة فى وجنة الفرعون اليسرى والغريب أن (كارتر) لم يذكر شيئًا عن هذه الإصابة إلا أن الدكتور (ديري) كتب يقول :

" هناك على الوجنة اليسرى تمامًا أخدود مستدير يشبه أخاديد الحرب وحول محيط هذا الأخدود المنتفخ من طرفيه يبدو الجلد فاقدًا لونه وليس من المستطاع معرفة طبيعة هذا الشق ".

لغز موت الفرعون :

لم يحل لغز جرح رأس (توت عنخ آمون) إلا بعد أربعين سنة عندما فحص (رونالد هارسون) أستاذ التشريح فى ليفربول المومياء بواسطة الأشعة السينية، وقد فحصها بشكل كامل وصور لها خمسين صورة أظهرت ما يلي: لقد مات الفرعون ميتة عنيفة فقد كان الجرح فى الجانب الأيسر من جمجمته نتيجة لسقوط أو ضربة وكان سبب الموت الحقيقى هو جلطة دموية حدثت تحت السحايا (الأغشية الدماغية) .

وقد استطاع الدكتور (كونوللي) مساعد الأستاذ (هاريسون) أن يحدد الزمرة الدموية لـ (توت عنخ آمون) وذلك بمساعدة نسيج خلوى بقدر الدبوس وقد وجد أن زمرته الدموية A٢ من الزمرة الثانوية N.M وهذا يظهر أن دم (توت عنخ آمون) كان من الزمرة النادرة وأنه انحدر من عائلة قديمة عريقة فى الأرستقراطية . وقد استنتج (كارتر) أنه ابن غير شرعى لاخناتون وذلك لشدة الشبه بينهما، مع أنه لم يكن يعلم أنهما يحملان نفس الزمرة الدموية .

وعندما اختبر (ألفريد لوكاس) رئيس قسم الكيميائى بمصلحة الآثار المصرية المومياء وقد اشترك مع (ديري) فى فحص الجثة، وصل إلى بعض النتائج التى قد تلقى ضوءًا على أسطورة لعنة الفراعنة، منها الفطريات التى وجدها بالمقبرة والتى لها أثرًا كيميائيًا على الجزيئات العضوية بنسيج جسم وعظام المومياء .

ونتيجة دراسته لهذا الفطر الكثيف النامى على حوائط المقبرة، والحشرات الكثيرة الميتة التى وجدت على أرض المقبرة، اتخذت أساسًا يساند النظرية القائلة بأن

لعنة الفراعنة مصدرها وجود نوع من السموم فى المقبرة يؤثر على كل من يدخلها .

وقد وجدت ثقوب فى التابوت الخشبى تشبه الثقوب الناتجة عن سوس الخشب كما وجدت عناكب خلفت وراءها أنسجة كبيرة .

والذى بقى بلا تفسير هو وجود نبات لا ينمو فى مصر داخل المقبرة هى نبتة أليبروح أو اللفاح وكان العرب يسمونها (تفاح الجن)، وقد وجد أيضا فى مقابر أخرى لفراعنة آخرين . سيتم الحديث عنها فى الفصل الرابع .

فى الواقع لم تؤدى الفحوص الكيماوية ولا التشريحية لمومياء اخناتون إلى أى درجة من اليقين لحقيقة ما يمسى لعنة الفراعنة .

ومرة أخرى كانت لعملية التشريح نتائجها المأساوية فقد مات الكيميائى (ألفريد لوكاس) فى أعقاب ذلك نتيجة لنوبة قلبية، وبعد قليل توفى دكتور (دوجلاس ديري) نتيجة لهبوط فى الجهاز الدورى .

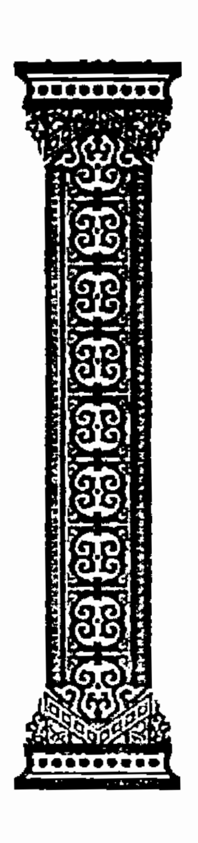
وكان لحادث وفاة العالمين الكبيرين فى أعقاب تشريحهما للمومياء أثره فى استعادة ترديد الحديث عن لعنة الفراعنة فى الأوساط العلمية العالمية واستمر الحديث عن القوى السحرية التى تنبعث من مومياء عمرها آلاف السنين . وانتشر الذعر بين العلماء فى جميع أنحاء الكرة الأرضية وكانت وفاتهم الفجائية سببًا فى جعل المتشككين فى لعنة الفراعنة ويعتبرونها على سبيل الصدف يعيدوا حساباتهم .

وجب هنا الإشارة إلى تلك المؤامرة التى قام بها الكاهن (آي) للاستيلاء على العرش، وفى اليوم السابق لجنازة (توت عنخ آمون) أعلن نفسه وريثًا للعرش، ومن ثم تولى مراسم الجنازة ، لكنه مات بعد أربع سنوات واستطاع (حور محب) أن يصل إلى العرش خاصة أنه كان يتمتع بثقة كهنة آمون فتحول إلى ديكتاتور، وفعل كل ما فى طاقته ليحفر اسمه عميقًا فى سجل التاريخ، وتفرغ لتحطيم تماثيل من سبقه من الفراعنة وتخريب صورهم ونقوش أسماءهم، وقد أوفد عماله إلى كل مكان

فى مصر يمحون اسم (توت عنخ آمون) من كل مكان نقش عليه، كما أنه خرب الكثير من قبور أتباع (توت عنخ آمون) وقبر الكاهن آى حتى يمحو من الوجود كل ما يُذكِّر الناس بحكم (توت عنخ آمون) والكاهن (آي)، لكن وبالرغم من كل ما فعله لم يهدم قبر (توت عنخ آمون) .

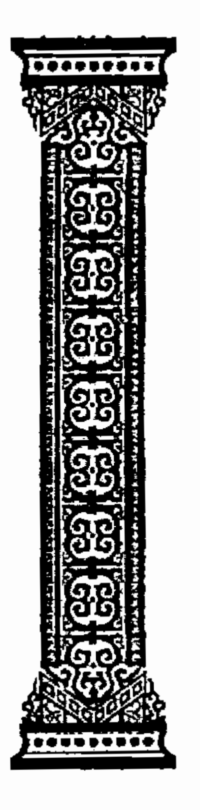
والسؤال المحير لعلماء المصريات لزمن طويل : لماذا امتنع (حور محب) عن تخريب قبر (توت عنخ آمون) رغم كل ما فعله لطمس ذكراه بالإضافة إلى تخريب الكثير من القبور . وكيف وهو يعرف الكثير عن الكنوز المتراكمة فى مقبرة (توت عنخ آمون) لم يقم بنهبها وهو الذى كان يغتصب كل ما يقع تحت يده من كنوز وثروات، وقد الكهنة فى صفه فلماذا لم يقدم على نهب هذه المقبرة ؟ لماذا تهيَّب ذلك الأمر ؟

والإجابة الوحيدة التى توصل إليها العلماء هى أن الكهنة قبل إغلاق مقبرة (توت عنخ آمون) قاموا بتأمين المدفن بالاعتماد على قوى سحرية غامضة لا يمكن التغلب عليها، ولا شك أن (حور محب) كان يخاف أن تصيبه تلك القوى بأذاها . ويكمن وراء هذا التأمين حقيقة سر لغز لعنة الفراعنة .



الفصل الرابع

اللعنة بين مؤيد ومعارض



الفصل الرابع

اللعنة بين مؤيد ومعارض

حسابات حديثة للعنات:

لم تُفك رموز اللغة الهيروغليفية حتى بداية القرن التاسع عشر على يد (چان فرانسو شامبليون) لذلك فإن أى تبليغات عن لعنات تسبق ذلك التاريخ كانت تصنف فى نطاق سوء الحظ المرتبط بالتعامل مع المومياء والقطع الأثرية الأخرى من القبور.

كتب (لويس بينشر) سردًا فى العام ١٦٩٩ حيث سجل كيف اشترى مسافر بولندى اثنان من المومياء وبدأ رحلة بحرية مع هذه المومياوات فى عنبر الشحن. يتحدث عن ما تعرض له من انزعاج من قبل الرؤى المتكررة لاثنين من الأشباح والعاصفة البحرية التى لم تهدأ حتى ألقت المومياوات فى البحر.

وذكر زاهى حواس عالم الآثار والتنقيب فى كوم أبو بيلو أنه نقل عدد من القطع الأثرية من الموقع اليونانى الرومانى. وفى اليوم الذى فعل به هذا توفى ابن عمه، وفى ذكرى ذلك اليوم توفى عمه وفى الذكرى الثالثة له توفيت عمته.

بعد سنوات عندما حفر المقابر الخاصة ببناة الأهرامات فى الجيزة واجه هذه اللعنة: " كل من يقوموا بدخول هذا القبر أو يقومون بأعمال شريرة تجاهه أو يدمروه فسيكون التمساح خصمهم فى الماء، والثعابين خصومهم على الأرض. قد يكون فرس النهر ضدهم فى المياه، والعقرب ضدهم على الأرض"

على الرغم من أنه لم يكن مؤمن بالخرافات، قرر عدم تعكير صفو المومياوات.

على كل حال، فقد شارك لاحقًا فى نقل اثنين من أطفال المومياء من الواحات البحرية إلى المتحف ثم ذكر فيما بعد أنه كان يتعرض لهجوم من قبل الأطفال فى أحلامه.

ولم تتوقف هذه الظاهرة حتى تم إعادة ضم والد المومياوات مع الأطفال فى المتحف.

ثم توصل إلى الاستنتاج ان المومياء لا يجب أن تعرض على الرغم من أن ذلك أقل ضررًا من السماح لعامة الناس بالدخول إلى المقابر.

وسجل حواس حادثة أخرى تتعلق بصبى مريض كان يحب مصر القديمة ثم خضع لمعجزة شفاء فى المتحف المصرى عندما كان ينظر إلى عينى مومياء الملك (أحمس الأول). أصبح الفتى بعد ذلك قادرًا على قراءة كل شيء يجده فى الآثار المصرية القديمة، خاصة المرتبطة بفترة الهكسوس.

حقيقة أم خيال :

أما بعيدًا عن التهويل والإثارة، فأن السجلات الرسمية تعطينا أرقامًا أخرى لعدد حوادث الموت المرتبطة بالفرعون (توت)، فهى لا تشير سوى إلى موت ثمانية أشخاص من أفراد بعثة (كارتر) خلال السنوات العشر التالية لاكتشاف القبر، ماتوا لأسباب مختلفة، مرضًا وقتلًا وانتحارًا . (هاورد كارتر) نفسه لم يمت إلا بعد ١٦ عاما على اكتشاف القبر. وهو الأمر الذى دفع المشككين بقصة اللعنة إلى اعتبارها مجرد خرافة لا أساس لها من الصحة .

أما المؤمنين فيقولون بأنها حقيقية متحججين بموت اللورد (كارنرفون) الغريب، فاللورد كان الشخص الأكثر أهمية فى بعثة (كارتر)، بل أهم من (كارتر) نفسه، فلولا تمويله لبعثة (كارتر) لما استطاع هذا الأخير أن يكتشف القبر أبدا.

فقد توالت المصائب وبدأ الموت يحصد الغالبية العظمى إن لم نقل الجميع الذين شاركوا في الاحتفال، ومعظم حالات الوفاة كانت بسبب تلك الحمى الغامضة مع هذيان ورجفة تؤدى إلى الوفاة. بل إن الأمر كان يتعدى الإصابة بالحمى في أكثر من الأحيان . فقد أصيب الكثيرون من الذين ساهموا بشكل أو بآخر في اكتشاف المقبرة بالجنون، وبعضهم انتحر دون أى سبب . الأمر الذى حير علماء الآثار الذين وجدوا أنفسهم أمام لغز لا يوجد له أى تفسير، والجدير بالذكر أن العديد من علماء الآثار صرحوا بأن لعنة الفراعنة هذه مجرد خرافة وحالات الوفاة التى حدثت لا يمكن أن تتعدى الصدفة والدليل على ذلك هو (هاورد كارتر) نفسه صاحب الكشف عن مقبرة الفرعون (توت عنخ آمون) والذى لم يحدث له أى مكروه، وبالرغم من ذلك إلا أن الكثيرين منهم لا يجرؤون على اكتشاف قبور فرعونية أخرى . ولا حتى زيارة الآثار الفرعونية . كما قام معظم الأثرياء الذين يقتنون بعض الآثار والتماثيل الفرعونية الباهظة الثمن بالتخلص منها خوفًا من تلك اللعنة المزعومة .

ولكن الحقيقة التى يعتقدها بعض الناس هى أنه لا وجود للعنة الفراعنة بدليل أن المقابر التى تفتح ويموت بها أحد الناس تكون مغلقة لآلاف السنين، فلا بد أن يفسد الهواء بها مما يسبب الاختناق ثم الموت عند استنشاق هذا الهواء.

وهناك من يقول أنه لا يوجد إلا لعنات قليلة معروفة فى عهد الأسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة، أى قبل عهد (توت عنخ آمون) وبعده بقرن أو اثنين، على أن الغرض من اللعنات إرهاب لصوص المقابر حتى لا يعتدوا على الموميء وهم يبحثون عن الحلى والذهب، وحتى لا يفقد الميت شخصيته فيخسر بذلك سعادة روحه فى العالم الآخر.

والبعض الآخر يزعم أن هذه الحوادث والانتحارات كانت بسبب الجن بدليل

أن من المعروف عن الفراعنة أنهم كانوا من أقوى سحرة العالم فربما يكونوا قد دافعوا عن المقابر بتسخير الجن للدفاع عنها، ولكن العلماء لم يجدوا حتى الآن تفسيرًا علميًا لهذه الظاهرة .

المؤيدون أكَّدوا أن الفراعنة عاشوا عالمًا عجيبًا غريبًا، ترك لنا الكثير من الغوامض والأسرار، التى لم يمكننا كشفها بعد، فليس من المستبعد إذن أن يُخَلِفوا وراءهم لعنة ما، تصيب كل من يدنس قبورهم، حتى ولو كان هذا بحجة تحقيق كشوف أثرية جديدة .

فقد كان المصريون يعتقدون أن المومياء والقبر هما مسكن الروح ؛ فتخريبهما تشريد للروح وتضييع لاسمها، أما دخول القبر لتجديد ذكرى الميت فعمل حميد، وقد وجدت كتابات على جدران القبور تنبئ بأن أناسًا دخلوا القبور لإصلاحها وترميمها وتجديدها .

والسؤال هنا هل لعنة الفراعنة هى أرواح شريرة تطاردنا ؟ ولماذا لم تصيبنا اللعنة ونحن نعيش حول قبورهم وبين أرواحهم ؟ هل هى غازات سامة تخرج من الأعشاب والخشب عند فتح المقبرة ؟ أم الخفافيش التى فى المقابر تصيب الناس بالهذيان حتى الموت ؟ أم هذه اللعنة خاصة فقط بـ (توت عنخ آمون) دون غيره من الفراعنة؟

لعنة الملك توت عنخ أمون:

إذا كانت لعنة الفراعنة صادقة بالنسبة لـ (توت عنخ آمون) وهو ملك مات صغيرًا وهو فى الثامنة عشرة وكانت نهايته عنيفة ومؤثرة، ولم يكن فى وسعه فعل الكثير لمثواه الأخير فهذا يعنى بالضرورة أنها قضية تهم الكهنة والسحرة .

أما سبب الإيمان باللعنة فكان بسبب حالات الوفاة الغامضة لبعض أعضاء

فريق (هاورد كارتر) وزوار آخرون بارزون للقبر بعد ذلك بفترة وجيزة والذى أثار اهتمام العديد من الناس .

فتح فريق (كارتر) قبر (توت عنخ آمون) (٦٢KV) فى العام ١٩٢٢م، مطلقين بذلك العصر الجديد لعلم المصريات.

عمل عالم المصريات الشهير (چيمس هنرى بريستد) مع (كارتر) بعد وقت قصير من فتح المقبرة لأول مرة.

أبلغ كيف أن (كارتر) أرسل رسولًا لقضاء حاجة لمنزله . وفى طريق عودته إلى منزله، ظن بأنه سمع صوتًا خافتًا شبيهًا ببكاء أحد ما، رأى عند وصول المدخل قفص الطيور محتلًا من قبل الكوبرا، رمز النظام الملكى المصري. توفى كنارى (كارتر) بعد أن التهمته الكوبرا وهذا ما غذّى الشائعات المحلية للعنة.

نقل (آرثر ويجل) المفتش العام السابق للآثار المصرية الحكومية أن هذا كان مفسرا بأن منزل (كارتر) أقتحم من قبل نفس الكوبرا الملكية التى تُحمى رأس الملك لضرب الأعداء فى نفس اليوم الذى كسر قبر الملك . ذكرت تقارير عن هذه الحادثة فى صحيفة نيويورك تايمز فى ٢٢ من ديسمبر فى العام ١٩٢٢ م أن أول حالات الوفاة الغامضة كانت للورد (كارنرفون). فقد تعرض للدغة بعوضة، ولاحقًا بينما كان يحلق جرح مكان اللدغة بطريق الخطأ. ثم أصبح مصابًا حيث أدى ذلك إلى تسمم فى الدم.

قبل أسبوعين من وفاة (كارنرفون) كتبت (مارى كوريلي) رسالة خيالية إلى مجلة (نيويورك وورلد)، أوردت فيها اقتباسًا من كتاب غامض كان يؤكد على أن العقاب الرهيب سيلحق بمقتحم القبر المختوم.

وتبع ذلك ثورة فى وسائل الإعلام، مع تقارير بأن اللعنة وُجدت على قبر الملك، ولكن هذا غير صحيح.

(آرثر كونان دويل) مؤلف شخصية شارلوك هولمز، اقترح ذلك الوقت أن وفاة (كارنرفون) حدثت بسبب وجود عناصر وضعها كهنة (توت عنخ آمون) لحماية القبر الملكي، وهذا ساهم فى زيادة اهتمام وسائل الإعلام.

وذكر (آرثر) أنه وقبل ٦ أسابيع من وفاة (كارنرفون) شاهده يضحك ويلقى النكات عندما دخل إلى قبر الملك وشاهده يقول لمراسل قريب (ه. ف. مورتان) : " أنا سأمنحه ستة أسابيع ليعيش " وجد التشريح لأول لجثة الملك (توت عنخ آمون) من قبل الدكتور (ديري) ندبًا ملتئمًا على الخد الأيسر للملك، ولكن بما أن (كارنرفون) كان قد دُفِن قبل ستة أشهر من هذا فلم يكن ممكنًا تحديد ما إذا كان موقع الجرح فى الملك متطابقًا مع لدغة البعوضة القاتلة لـ (كارنرفون) .

فى عام ١٩٢٥ م، زار الأنثروبولوجى (هنريفيلد) برفقة (برستد) ضريح وأشار إلى لطف وود (كارتر).

وأفاد أيضًا كيف يمكن لثقالة الورق المعطاة لصديق (كارتر) السير (بروس إنجهام) من يد محنطة مع المعصم وسوار والتى تحمل علامة " ملعون من يحرك جسدى يجب أن تأتى له النار والماء والأوبئة ".

بعد تلقى الهدية بوقت قصير، أحترق منزل (انجرام)، ثم تلاه بعد ذلك طوفان عندما تم اعادة بناءه.

كان (هوارد كارتر) يشكك تمامًا باللعنات . لكن بالرغم من ذلك نقل فى مذكراته أنه فى مايو ١٩٢٦ م قد رأى ابن آوى من نفس نوع (أنوبيس) شكل رقم (١٩)، حارس الموتى، للمرة الأولى منذ أكثر من خمسة وثلاثين عامًا من العمل فى الصحراء .

وأشار المشككون أن العديد من الذين زاروا القبر أو ساعدوا فى اكتشافه عاشوا حياة طويلة وصحية. وأظهرت الدراسة أن من بين ٨٥ شخص والذين كانوا



شكل رقم (١٩)
تمثال أنوبيس

موجودين عندما تم فتح القبر والتابوت، قُتِل منهم ثمانية فقط خلال عشر سنوات. وكان الآخرون جميعًا على قيد الحياة، بما فى ذلك (هوارد كارتر)، الذى توفى فى وقت لاحق بسبب سرطان الغدد الليمفاوية فى سن ٦٤ فى عام ١٩٣٩ م.

لم ينتبه أحد إلا العالم (كارتر) مكتشف المقبرة إلى العبارة المكتوبة عند مدخل غرفة الملك التى تقول:

" إن الموت يضرب بجناحيه السامين كل من يعكر صفو الملك"

فقد مسحها خوفًا من يراها العمال فيتوقفوا عن الحفر.

بالرغم من ذلك فإن الشخصيات التي ارتبطت بالمقبرة أصابتها اللعنة :

-اللورد (كارنرفون) ممول المشروع، أصابته حمى مفاجئة وأصيب بالهذيان وكان يقول أنه يرى أناس يعصرون النار في فمه، ثم مات.

-مات (واترميس) الذي كان يساعد (كارتر) في الحفر، وجاءت وفاته بسبب إرتفاع شديد في درجة الحرارة .. فانفجرت رأسه.

-طبيب الأشعة (أرشيبالدرون)، الذي قطع خيوط التابوت ليصور الجثة، أصيب بحمى وتوفى بلندن بعد أيام.

- ثلاثة عشر شخصًا ممن دعاهم (كارنرفون) إلى يوم الإفتتاح، ماتوا جميعًا.

-توفى الطبيبان العالميان اللذين شرحوا جثة (توت عنخ آمون) في ١١ نوفمبر عام ١٩٥٢م.

والاستفسار الذي يطرح نفسه هنا مفاده أن : التاريخ يؤكد لنا أن الفراعنة كانوا على علم عظيم بما يجرى في الكون بين السماء والأرض، كما عرفوا أثر المادة على الإنسان، وبرعوا في صناعة العقاقير، فهل من الممكن أن يكونوا توصلوا النوع من عقاقير الهلوسة التي تصيب العلماء بالهذيان بعد اكتشاف المقابر ؟!

ومن هؤلاء العلماء الذين أصيبوا بالهلوسة والهذيان :

-العالم الإنجليزي (إيمري) الذي كان يحفر في مقبرة (أمنحتب) ذلك الحكيم والفيلسوف والفلكي والطبيب العبقري، ذهب العالم (إيمرى) في يوم ليغتسل فسمعه أستاذ علم المصريات على الخولي يموء كالهرة وينبح كالكلب ثم يعوى كالذئب ثم سقط وأصيب بشلل نصفي ثم مات في اليوم التالي.

-العالم (هينريش بروجش)، كان يدرس المقابر وينام فيها، أصيب بالهذيان

وكان يمشى عاريًا فى الشارع واضعًا تاجًا من الورق يشبه تاج الملك (مينا) فوق رأسه، ثم مات مشلولًا.

-العالم الفرنسى (شامبليون) الذى قام بفك رموز حجر رشيد وظل عاكفًا عليه واحد وعشرين عامًا، و بعد ذهابه إلى مصر، أصيب بالهذيان والشلل حتى توفي.

-الطبيب الألمانى (بلهارز) مكتشف مرض البلهارسيا، الذى أصيب به معظم أفراد الأسرة العشرين الفرعونية، كان يحلل الجثث الفرعونية حتى اهتدى إلى المرض التاريخى للفلاح المصري، فكانت نهايته الهذيان لمدة خمسة عشر عامًا انتهت بالوفاة.

ولا يستبعد أن يكون الكهنة لجؤوا فى حماية المقابر إلى استخدام السموم أو الغازات المهلكة للأعصاب، فعندما تفتح المقبرة تخرج الأبخرة، فيصاب مستنشقها بالهذيان ثم الموت.

حالات وفاة تنسب إلى لعنة توت عنخ آمون:

فُتِح القبر فى التاسع والعشرين من نوفمبر ١٩٢٢ م، باختصار كل شيء كان يسير فى أفضل صورة، ولكن ما حدث بعد ذلك كان أمرا غريبًا تحول مع مرور الوقت إلى ظاهرة خارقة للطبيعة واحدة من الأمور الغامضة التى أثارت الكثير من الجدل والتى لم يجد العلم تفسيرًا لها إلى يومنا هذا .

ففى يوم الاحتفال الرسمى بافتتاح المقبرة أصيب اللورد (كارنرفون)، هو الداعم المالى لفريق التنقيب، وقد كان حاضر أثناء فتح القبر ، توفى فى ٥ أبريل ١٩٢٣ م ، بعد أن لدغته بعوضة فأصابته بالعدوى ، توفى بعد فتح القبر بـ ٤ أشهر، و٧ أيام.

والأغرب من ذلك أن التيار الكهربائى قد انقطع فى القاهرة دون سبب واضح فى نفس لحظة الوفاة، وبعد ذلك توالت المصائب وبدأ الموت يحصد الغالبية العظمى ؛ إن لم نقل جميع الذين دنسوا المقبرة أو شاركوا فى الاحتفال، وكأن التهديد بالموت الذى وجد فى المقبرة كان صادقًا، ومعظم حالات الوفاة كانت بسبب تلك الحمى الغامضة مع هذيان ورجفة تؤدى إلى الوفاة

ولقد كانت وفاة (كارنرفون) سببا فى قدوم أحد محبى التاريخ المصرى وهو (جورج جولد Gould Jay George)، توفى فى الريفيرا الفرنسية يوم ١٦ مايو، ١٩٢٣ م بعد أن أصابته حمى فى الصباح التالى لزيارته للقبر مات على أثرها فى المساء . ولم يستطع الأطباء تشخيص المرض المميت ولكنهم استنتجوا أنه (الطاعون الدبلي) وهو مرض سببه ورم فى الغدة اللمفاوية.

أما عالم الآثار الأمريكى (آرثر ميس) والذى طلب منه (كرتر) أن يساعده فى فتح المقبرة، وهو الذى قام بنزع آخر قطعة من الجدار الذى سد المدخل إلى المقصورة الرئيسية، لقد شكا هذا الرجل من الإعياء المتزايد بعد وفاة (كارنرفون) وأخيرا استغرق فى سبات عميق لم يستطع الأطباء أن يشخصوه وأخيرا توفى فى نفس الفندق الذى كان قد توفى فيه اللورد (كارنرفون) .

أيضا (چول ود) رجل الصناعة البريطانى الذى قام بزيارة المقبرة وبعد عودته إلى انجلترا بحرا توفى بالحمى العالية .

أما السير (ارشيبالد دوجلاس زيد Reid–Douglas Archibald) وهو الطبيب الذى قام بعمل الأشعة السينية لـ مومياء (توت عنخ آمون)، الذى كان أول من قطع الخيوط حول جسم مومياء الفرعون الميت وذلك لكى تصور الجثة تحت الأشعة السينية، هذا الرجل بدأ يقاسى من نوبات الوهن والضعف وبعد وقت قصير إِثر رجوعه مباشرة إلى انجلترا أدت إلى وفاته فى ١٥ يناير ١٩٢٤ م.

بـل إن الأمـر كـان يتعـد الإصـابة بـالحمى فى الكثـير مـن الأحيـان فقـد توفى (ريتشارد بيثيـل) سكرتير (هـاورد كـارتر) دون أى سبب عـلى الإطـلاق عـام ١٩٢٩ يقـال أن وفاتـه نتيجـة لقـصور قلـب احتقـانى وتبعتـه سلـسلة مـن الحـوادث المشئومة المنحوسة، فقد انتحر والده حزنًا عليه بعد علمه بوفاته حيث ألقى بنفسه من الطابق السابع .

وفى أثناء تشييع جنازة هذا السكرتير داس الحصان الذى كان يجر عربة التابوت طفلا صغيرا فقتله .

وتوفى الأمير المصرى على كامل فهمى فى ١٠ يوليو ١٩٢٣ قتلًا بالرصاص من قِبل زوجته .

العقيد المحترم (أوبرى هربرت)، عضو فى البرلمان، وهـو (أخ كـارنرفون) الغير شقيق، أصبح اعمى تمامًا وتوفى فى الـ ٢٦ من سبتمبر عام ١٩٢٣ م ، وذلـك بـسبب تسمم فى الدم عن طريق عملية أسنان تهدف إلى استعادة بصره .

(ولـف چويـل) مليـونير وزائـر للقـبر مـن جنـوب أفريقيـا قُتِـل بالرصـاص فى جوهانسبرج بتاريخ ١٣ نوفمبر ١٩٢٣ م، قتله المبتز (بـارون كـورت فـون ڤلتـايم) والذى كان اسمه الحقيقى (كارل فريدريك موريتز كرتزي) .

تـوفى الـسير (لى سـتاك Stack Lee ، الحـاكم العـام للـسودان، فى ١٩ نـوفمبر ١٩٢٤ م ، اغتيل أثناء القيادة فى القاهرة .

(آرثـر كراتنـدن مـيس (Mace .C .A – Mace Cruttenden Arthur) وهو عضو فى فريق كارتر لتنقيب توفى عام ١٩٢٨ م بسبب تسمم الزرنيخ .

المحترم (ميرفين هربرت) وهو الأخ الغير شقيق لـ (كارنـارفون) والأخ الـشقيق لـسابق ذكـره (أوبـرى هربـرت)، تـوفى فى ٢٥ مـايو ١٩٢٩ م ، حـسب مـا جـاء فى التقارير بسبب (ملاريا الالتهاب الرئوي) .

القائد المحترم (ريتشارد بيثل (Bethell Richard، السكرتير الشخصي لـ (كارتر)، توفى فى ١٥ نوفمبر ١٩٢٩ م بعد العثور عليه مخنوق فى سريره.

(ريتشارد رتشرال بيلكنتون باثال)، البارون الثالث لمدينة ريستبري، وهو والد الذى ورد ذكره بالأعلى، توفى فى ٢٠ فبراير ١٩٣٠ م، يفترض أنه ألقى نفسه من الطابق السابع لشقته.

لم يأتى عام ١٩٢٩ حتى توفى اثنان وعشرون شخصا من الذين كانت لهم علاقات مباشرة أو غير مباشرة بـ (توت عنخ آمون) ومقبره، كل هؤلاء توفوا قبل أوانهم وقد كان ثلاثة عشر منهم قد اشتركوا فى فتح القبر وبين المتوفين كان الأستاذان (دنلوك) و(فوكرات) وعلماء الآثار (جارى دافس) و(هاركنس دوجلاس ديري) والمساعدون (أستور) و(كالندر) وزوجة (كارنرفون) بسبب لدغة حشرة ، وكذلك (رتشارد بيثيل) أمين سر (كارتر) .

فتح (هوارد كارتر (المقبرة فى ١٦ فبراير ١٩٢٣م، وتوفى فى وقت لاحق بعد أكثر من عقد فى يوم ٢ مارس، ١٩٣٩ م ومع ذلك لا يزال البعض يوعز سبب وفاته إلى لعنة .

وفى الطائرة الحربية البريطانية التى شحنت بها آثار (توت عنخ آمون) لعرضها فى لندن عام ٧٢ ركل انضابط الفنى لاتسدون بقدمه الصندوق الذى يضم القناع الذهبى وهو يقول متفاخرا لزملائه: ركلت أغلى شيء فى العالم وبعد فترة كان يصعد سلمًا انهار تحته فجأة وكسرت رجله وظل فى الجبس ٥ شهور.

وتبادل خمسة من ضباط وجنود الطائرة الجلوس فوق صندوق القناع متتابعين وهم يضحكون ساخرين ولكن ملاح الطائرة الملازم (چيم ويب) قد دمر بيته فى حريق أفقده كل ما يملك، ومضيفة أجريت لها عملية جراحية فى رأسها أدت بها إلى الصلع الكامل ارتفع عدد ضحايا اللعنة إلى ٤٠ شخصًا لأن اللعنة لم تقتصر على

الوفيات التى وقعت بعد العثور على قبر الملك (توت عنخ آمون) بل التصقت اللعنة بقبور الفراعنة ومومياواتهم جميعًا قبل الاكتشاف وبعده.

وفى بريطانيا يشعر الكثيرون ممن يزورون المتحف البريطانى فى لندن بنذير شؤم عندما ينظرون إلى المعروض رقم ٢٢٠٥٤٢ وكثيرا ما تسمع نصائح المرشدين السياحيين فى المتحف للزوار بعدم المكوث طويلا أمام تابوت فى صندوق زجاجى يحمل الرقم ٣٥ وذلك بسبب شهرته بوجود لعنة مصدرها المومياء الموجودة بداخله . وهى لكاهنة معبد (آمون رع) وهى اللعنة التى أودت بحياة ١٣٠ شخصا منذ عام ١٨٨٠ .

ويحرص عالم المصريات البريطانى (دومنيك مونتسرات) على تهدئة بال الزوار حيث يؤكد أن اللعنة ليست سوى اختراع من نسيج خيال الكاتبة الصحفية جين لاودن ويب لفقتها قبل ١٨٠ عاما مضت .

وقال (مونتسرات) وهو باحث فى الجامعة المفتوحة المصريون القدماء أنفسهم لم يكونوا على علم بذلك .

ويضيف عالم الآثار المصرية البريطانى إن المؤلفة قد زارت معرضًا أقيم فى المتحف عام ١٨٢١ كانت تعرض فيه مومياء مصرية مكشوفة للزائرين مما أثار حماس (لاودن ويب) التى كانت تبلغ فى ذلك الوقت ٢٥ عامًا لكتابة قصة خيالية علمية تخيلت فيها عودة مومياء إلى الحياة حيث انتقمت من عالم الآثار (إدريك) بخنقه حتى الموت، وكانت الرواية قد نشرت عام ١٨٦٩ تحت عنوان لعنة المومياء، ونالت القصة شعبية طاغية وانتشرت على نطاق واسع فى عام١٩١٢ لدرجة أن الصحفيين فى ذلك الوقت أرجعوا حتى غرق سفينة الركاب البريطانية الفاخرة الضخمة والشهيرة (تيتانيك) إلى وجود التابوت الخاص بكبيرة كهنة معبد (آمون رع) عليها. وهو ما نفاه لنا الدكتور زاهى حواس عن وجود مومياء على سفينة تيتانيك حيث قال أن المومياء تركها صاحبها فى جامعة نيويورك قبل إبحار السفينة.

وقد أصيب الكثيرون من الذين ساهموا بشكل أو بآخر فى اكتشاف المقبرة بالجنون وبعضهم انتحر دون أى سبب يذكر ؛ الأمر الذى حير علماء الآثار الذين وجدوا أنفسهم أمام لغز لا يوجد له أى تفسير .. لغز أطلقوا عليه لعنة الفراعنة .

وبعد أربع سنوات من تلك الحوادث توفى عالم الآثار (والتر ايمري) دون سبب أمام عينى مساعده فى نفس الليلة التى اكتشف فيها أحد القبور الفرعونية، وهناك الطبيب (بلهارز) مكتشف دودة البلهارسيا الذى توفى بعد يومين من زيارته لآثار الفراعنة الموجودة فى الأقصر .

الحديث عن أسطورة الفراعنة لا ينتهى ويحتاج إلى مجلدات كاملة لذكر جميع حالات الوفاة الغامضة وكتابة التقارير الكاملة بشأنها، وفى أغلب الأحيان يكون الضحايا علماء أو شخصيات لها مكانة فى المجتمع، الأمر الذى لا يدع مجالًا واسعًا لقوانين الصدفة .

يحكى دكتور زاهي حواس حكاية الأثرى المصرى زكريا غنيم أمين جبانة سقارة الذى اكتشف هرم الفرعون (سخم – خت) من ملوك الأسرة الثالثة عام ١٩٥٢، هذا الهرم يقع خلف هرم الملك (زوسر) المدرج بسقارة وقد صمم ليكون على شاكلته إلا أن العمل فيه لم يكتمل سواء فى داخله أو مصاطبه .

وكان من المدهش أن يختفى هرم فالأهرام من البنايات التى ليس من السهل اختفاءها أو فقدها .

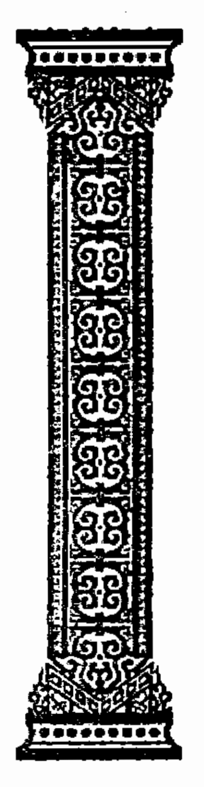
واصل دكتور غنيم العمل والتنقيب داخل الهرم حتى وصل إلى حجرة دفن الملك، وعثر على تابوتًا اعتقده تابوت الملك (سخم خت). واتجهت كل الأنظار الى سقارة وإلى الأثرى المصرى الذى اكتشف هذا الهرم وكان مثار اهتمام وسائل الإعلام العالمية والمحلية.

وفى ٩ مارس ١٩٥٤ وبحضور كبار الدولة ووسائل الإعلام العالمية والمحلية كانت المفاجأة أن التابوت خالى من المومياء.

وبعد حوالى ثلاث سنوات فى ١٢ بناير ١٩٥٩ تحديدًا وحين أجرى جرد لعهدة زكريا غنيم الأثرية فى سقارة تمهيدًا لتوليه أمانة المتحف المصرى بالقاهرة وجهت إليه تهمة ضياع بعضها وتحديدًا هذه المومياء .

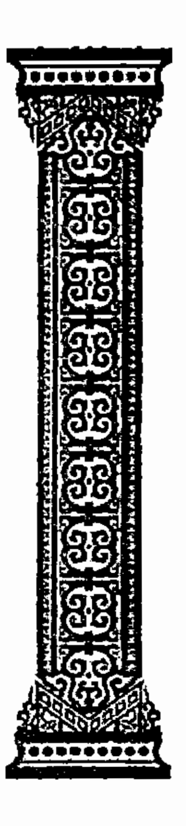
أحس غنيم أن مستقبله المهنى انتهى عندما اتُهِم بسرقة وتهريب الآثار، ولم تتحمل نفس زكريا غنيم وقع الصدمة فألقى بنفسه فى نهر النيل، وعلل البعض حادث انتحارة بلعنة الفراعنة ولعنة مومياء الملك (سخم خت) المختفية .

أما أغرب ما حدث على الإطلاق فهى قصة مفتش الآثار المصرى الذى طلب منه المسؤولون فى مصر أن يرسل بعضًا من كنوز الفراعنة إلى باريس لتعرض فى المتاحف لفترة بسيطة ثم ترجع بعد ذلك للقاهرة إلا أن المفتش توسل إليهم ألا يجبروه على فعل هذا فقد كان يسمع كثير عن لعنة الفراعنة، وقد حاول كل جهده أن يمنع عملية انتقال الآثار من مصر إلى باريس إلا أنه فشل فى ذلك، وبعد بضعة أيام كان المفتش يعبر الشارع فدهسته سيارة مسرعة ومات بالمستشفى .



الفصل الخامس

الآراء العلمية عن أسباب اللعنة



الفصل الخامس

الآراء العلمية عن أسباب اللعنة

تفسيرات محتملة :

السؤال الآن ما مدى صحة لعنة الفراعنة وما يصيب المقابر الفرعونية أو داخليها لأول مرة ؟

وللإجابة على هذا السؤال علميًا لابد لنا أن نتعرف على بعض الأشياء المهمة والتى تكون فى المقابر عند فتحها لأول مرة منذ آلاف السنين حتى الآن، ومنها الفطريات والبكتريا والإشعاعات والفطريات التى تخرج والسموم وغيرها من الأشياء المرة والتى تؤثر على صحة الإنسان لو تعرض لها تعرضًا مباشرا ؟

وفيما يلى استعراض للأسلحة الخفية التى استخدمها المصرى القديم فى الحفاظ على مقبرته من السرقة، وكذلك بقاء المومياء فى حالة جفاف تام حتى لا تتأثر بالفطريات وغيره مما دعاهم لاستخدام مواد وأشعة تضر بصحة الحى والذين ظنوا أنها لعنة من لعنات الفراعنة .

السحر والفطريات ومفتشين الآثار :

أعلن الدكتور عز الدين طه وهو طبيب وعالم بيولوجى أنه قام بالفحص الطبى على المدى الطويل من الزمن لكل علماء الآثار والمستخدمين فى المتاحف، فوجد أن

كثيرًا من هؤلاء يقاسون من فطر كان يسبب التهابات فى الجهاز التنفسى مصحوبًا بحمى، وكان علماء الآثار قد لاحظوا أعراضا غريبة تعرف (بالحكة القبطية)، تلك الحكة التى كان يصاحبها طفح جلدى وصعوبة فى التنفس، ولكنهم لم يهتموا بهذه الحالات لأن تلك الأعراض كانت تظهر أيضا على أولئك الذين يتعاملون بشكل مكثف مع أوراق البردى المصرية القديمة .

وقد أوضح الدكتور طه خلال مؤتمره الصحفى بجامعة القاهرة وجود سلسلة من العناصر المعدية الخطيرة من بينها الفطر الذى يطلق عليه (اسبيرجيللاس نيجر).

وفى مؤسسة علم الأحياء المجهرى فى جامعة القاهرة، برهن الدكتور طه أن ذلك الفطر قادر على مواصلة البقاء فى المومياوات وحجرات الدفن والأهرامات على مدى ثلاثة أو أربعة آلاف سنة .

ولكن العجب كل العجب هنا ما حدث بعد المؤتمر مباشرة، وبعد إعلانه لهذا الاكتشاف وما ذكره عن قضاءه كليًا على تلك الخرافة التى تقول أن المستكشفين الذين اشتغلوا فى العصور القديمة ماتوا نتيجة لنوع من أنواع اللعنة وتوضيحه أنهم كانوا ضحايا عوامل مرضية يواجهونها لدى العمل، وأن ما يعتقده بعض الناس من أن لعنة الفراعنة ترجع إلى القوى الخارقة ما هو إلا قول يندرج تحت (قصص الجنيات)، وذلك بعد إعلانه أن المضادات الحيوية سوف تبطل وتقضى على لعنة الفراعنة ؛ حدث ما لم يكن فى الحسبان، حيث أنه وهو يسير فى طريق صحراوى منعزل بين السويس والقاهرة يقع على قطعة من الأرض المغطاة بالأسفلت الأسود، وبالرغم من عدم وجود حركة مرورية كثيفة على ذلك الطريق، وعند الكيلو ٧٠ شمال القاهرة انحرفت السيارة إلى اليسار وأصبحت فى مسار سيارة قادمة فاصطدمت السيارتان وتوفى الدكتور طه هو ومن معه فى السيارة فورًا.

ترى ما سبب الحادث ؟ وهل كان للعنة الفراعنة دخل فى هذا الحادث المروع؟ والغريب فى الحادث أيضًا أن الطب الشرعى شخص الموت على أنه هبوط حاد فى القلب وليس ما ينتج من الحدث من تكسير ونزيف وغيره . فهل كان الدكتور طه الذى طالما استخدم أثناء حياته المضادات الحيوية هو نفسه كان ضحية جديدة للعنة الفراعنة ؟ وهل كانت أبحاثه تسير على الطريق الخاطئ؟

لم تكن الاكتشافات التى قام بها الدكتور طه تحت المجهر الإلكترونى هى الحل النهائى لمعضلة اللعنة . فالأمراض لم تكن السبب الوحيد لوفيات كثير من العلماء . ولكن اكتشافه قد وضع النقاط على الحروف بالنسبة لعمق وعرض المعرفة العلمية للمصريين القدماء .

الفطريات والبكتريا فى مقبرة توت عنخ أمون :

توقع البعض كما ذكر سلفًا أن تكون هناك فطريات قاتلة زُرِعت فى المقابر المغلقة وتم إطلاقها فى الهواء عندما فُتِحت.

يفضل (آرثر كونان دويل) هذه الفكرة، ويتوقع أن الفطريات قد وُضِعت عمدًا لمعاقبة سارقى القبور. فى حين أنه لا يوجد أى أدلة على أن مُسببات الأمراض هذه قد قتلت اللورد (كارنرفون)، إلا أنه لا يوجد شك بأن هناك مواد خطيرة تتراكم فى القبور القديمة.

عندما اختبر (ألفريد لوكس) رئيس قسم الكيمياء بمصلحة الآثار المصرية مومياء (توت عنخ آمون) لأول مرة وكان ذلك فى عام ١٩٢٥، وصل إلى نتائج ربما تلقى الضوء على موضوع لعنة الفراعنة، فقد كتب على سبيل المثال عن الفطريات التى وجدت فى المقبرة، وعن آثارها الكيميائى على الجسيمات العضوية بنسيج جسم وعظام المومياء، وأعلن فى نفس الوقت عن خلو المقبرة من الجراثيم .

ومع ذلك فإن التركيزات الموجودة عادة ما تكون مسببات للأمراض الخطيرة فقط للأشخاص ذوى المناعة الضعيفة.

وأظهرت عينات الهواء المأخوذة من داخل فتحات التابوت مستويات عالية من الفورمالدهيد والأمونيا وكبريتيد الهيدروجين، وهذه الغازات كلها سامة، ولكن تم اكتشافها بسهولة عن طريق روائحها القوية. كبريتيد الهيدروجين قابل للاكتشاف فى تركيزات منخفضة (حتى ١٠٠ MPP) والتى تكون بمثابة عامل عصبى على حاسة الشم، الـ (١٠٠٠ PPM) قادرة على قتل الشخص لأول استنشاق .

ونتائج دراسة (لوكس) حول الفطر الكثيف النامى على حوائط المقبرة والحشرات الكثيرة الميتة التى وجدت على أرض المقبرة، اتخذت كأساس يساند النظرية القائلة بأن لعنة الفراعنة مصدرها وجود نوع من السموم فى المقبرة يؤثر على كل من بداخلها .

البكتريا :

مما لا شك فيه أن السموم العادية تفقد تأثيرها بفعل الضوء والهواء والتعرض للشمس لسنوات والسموم القوية تحتفظ بمفعولها لعدة قرون ؛ خاصة لو كانت محفوظة فى فراغ محكم لا يتسرب منه أو إليه الهواء، ومقابر الفراعنة الصخرية تعتبر معامل تفريخ مثالية للبكتريا، فهناك أشكال من البكتريا تتطور وتنمو بشكل جيد دون أوكسجين .

معظم البكتريا تتغذى على مواد نباتية ومواد حيوانية كالدهن وماء الفحم (النشويات) والبروتينات .

وظاهرة التفحم أو الاحتراق التى نلاحظها على أغلب المومياوات

الملكية تجيء نتيجة للعمليات البكتربولوجية، فتحلل الدهون والزيوت والراتنج الذى يغطى المومياء يولد طاقة حرارية تؤدى إلى تضخم المومياء وحرق جزئى لها، وقد تسآل الأثريون على مدى الأجيال سر اللون الأسود الموجود على المومياء الفرعونية، والإجابة عن هذا تتلخص فى كلمة واحدة وهى البكتريا . فإن مظاهر هذا الاحتراق كانت نتيجة لعمليات جرثومية .

والسؤال هنا : كم من الزمن تستطيع البكتريا أن تعيش ؟ وهل يمكنها أن تتجاوز آلاف السنين ؟ وهل لعنة الفراعنة هى مرض حيوى كيماوى فى القبور الملكية ؟

يعتقد الكيماويون وعلماء الجراثيم أن هذا سبب مقبول ظاهريا للعنة الفراعنة، فهناك أنواع من البكتريا التى إذا تهيأت لها ظروف خاصة مواتية فإنها تبقى حية عدة قرون من الزمان، وهناك أنواع أخرى من البكتريا تصبح خطرة فقط بعد موتها، وعندئذ تفرز سمومًا فيها أنواع عديدة من الأمراض خصوصًا التهاب السحايا، وبعض البكتريا الحية تفرز سمومًا تسبب أمراضًا مثل مرض (الخانوق) . وهذه السموم هى مواد قاتلة تشبه الأسلحة الكيماوية والبيولوجية فى عصرنا هذا .

وقد كان المصريون يعلمون عن نوع من تسمم الأعصاب، فقد كانت مصر مخزونا لحبوب العالم، وكان فطر (ايرجوت) ينشر مرض (النار الباردة) واعراض هذا المرض الحكة والإحساس بالوخز فى الجسم والتشنج فى العضلات ثم الشلل والخبل العقلى . فالتأثيرات الكيماوية تعمل على تعطيل نظام الأعصاب المركزى . كما أن هناك سموم أخرى تقفل النهايات العصبية لأعصاب الحركة وبالتالى تتوقف العضلات عن إبداء أى رد فعل حركى مهما حاول الدماغ اثارتها للعمل، وبالتالى يتوقف نظام الأعصاب المساعدة على النمو والذى يسيطر على نشاط القلب والرئتين نهائيًا .

إن أقل كمية من غاز الأعصاب يمكن أن تقتل إنسانا فى بضع ثوانى، حتى اقترابه منه يكفى لانهيار أعصابه وسقوطه مغمى عليه وتؤدى إلى إصابته بالوهن، وقد كان (كارتر) يعانى من هذا الوهن باستمرار . وأيضا هناك العديد من الشخصيات التى اشتركت فى التنقيب عن (توت عنخ آمون) وقد أصيبت بذلك الوهن، منهم على سبيل المثال لا الحصر صديق (كارتر) الحميم الدكتور (إيفلين وايت) الذى كان يعانى من وهن عصبى فظيع وبالرغم من خطورة حالته لم يسمح لأى طبيب بفحصه لأنه كان يعلم السبب وراء ما يعانيه . كذلك انتحار الدكتور زكريا غنيم المفتش الأول لمصلحة الآثار بعد تعرضه لنوبات من الوهن لعدة سنوات .

لم يكن لص المقبرة يعلم بأمر الفطريات التى تُنتج مواد مخدره، لكن اعتقاده كان أن التنفس الصادر عن الشيطان الحامى للقبر سوف يلمسه ويؤذيه حال دخوله القبر، وبالتالى فهذا الاعتقاد كان يساعد على إعاقة دخول اللص ويمكن أن يمنع دخوله نهائيا .

السموم :

مما سبق فإن الاحتمال كبير فى إصابة الأثريين بالطفيليات خلال عملهم الطويل تحت الأرض، ولكن إذا أخذنا فى الاعتبار أن لعنة الفراعنة كان المقصود بها حماية مقابر الملوك فلن يعتمدا فقط على تلك الطفيليات، ومن ثم فالنظرية التى تكسب أنصارا فى هذا المجال هى نظرية الاعتماد على السموم .

لقد عرف الفراعنة الكثير من أنواع السموم سواء ذات الرائحة أو التى ليس لها رائحة، والسموم التى تغلى عند درجة ٢٦ وتكون لها أبخرة، والسموم التى تقتل باللمس، والتى تقتل بالرائحة، والتى تقتل إذا لامست الأوكسجين، وعرفوا السموم المسحوقة والسموم النباتية المائية، والسموم التى فى الحشرات الميتة فى

للقابر، والسموم التى تخرج من فتحات المقابر فى نفس اللحظة التى يقترب منها اللصوص .

فالسموم قديمة قدم الجنس البشرى، ومن المعروف أن (مينا) أول فرعون لمصر كان يزرع النباتات السامة، ومن المعروف أن فى عهود تالية استخدم قدماء لمصريين الأفيون والشوكران البنج الأسود والزرنيخ، بل أنهم عرفوا حامض البروسيك الذى كان يُستخدم فى تنفيذ أحكام الإعدام عن الإغريق من ٢٥٠٠ سنة.

لقد عزل المصريون القدماء هذا السم من نواة الخوخ، وكانوا ينقعون رباط المومياء بمزيج من حامض البروسيك وبعض الزيوت المتطايرة، وهذا سبب من أسباب تفسخ المومياوات الملكية، وقد ساعد على ذلك أن القبور كانت مختومة لا يدخل إليها الهواء . فقد كان المصريون يعلمون أن مادة البنزلاد تحتوى على حامض البروسيك المركز من ٢ إلى ٤ فى المئة، وأن حامض البروسيك يتبخر عند ملامسته بالأكسجين .

ومن المدهش ما قام به المصريون الأذكياء لحل مشكلة ختم المقبرة حيث أن الدين المصرى يتطلب وجود فتحة فى القبر لتدخل منها (الكا) وتخرج لذا فقد قاموا ببناء أبواب كاذبة ترسم على الجدران أو تبنى بالحجارة .

كان للمصريين القدماء معرفة واسعة بالسموم لاسيما الكهنة والأطباء وكانوا يستفيدون منها بجانب قواهم السحرية، فمثلا السم الذى يخرج من العقرب كان يمكن أن يقتل رجلًا، وكانت أعراضه التى يعرفها الفراعنة جيدًا هى تشجن فى العضلات وشلل وضعف فى النبض وصعوبة فى التنفس، وتذكر لوحة بردى (إيبرس الطبية) تحذيرًا من مخاطر لدغة العقرب، وتوحى باستعمال العسل وبراز فرس البحر كعلاج، وأيضا الثعابين والعناكب كان لها استعمال فى استخراج السم

الزعاف، وسم نوع من العنكبوت كان يشل النظام العصبى، ويؤدى إلى تكوين الجلطة الدموية .

وسم الحيات قريب من السم النباتى، ويذكر عالم السموم الدكتور (مارتيني) أن ذبول الغدد السمية أو جفاف السموم ذاتها لا ينقص من فاعليتها وقوتها، وحتى تغيير درجة الحرارة لا يُضعف سم الكوبرا، حتى أن السم إذا تعرض لدرجة حرارة عالية يظل السم فى أتم قوته وحدته . عكس سم الثعابين ذو الأساس البروتينى وأيضا سموم الحشرات فإنها لا تمتلك هذه المقاومة لدرجات الحرارة العالية وتخسر قوتها .

كذلك الزئبق أحد المواد السامة المحاطة بالأسرار فى مصر، وإن كان غير مؤكد استعماله فى الدولة القديمة إلا أن هناك وثائق تؤكد استعماله من القرن الخامس عشر ق.م، وقد كان الزئبق شديد السمية يؤلف جزءًا من مادة (الزنجفر) وهى صبغة كبريتور الزئبق، وهى مادة مفضلة لدى الكيماويين لقدرتها على التبخر حتى فى درجات حرارة منخفضة جدًا جعلها سامة قاتلة، وذلك لأن أبخرة الزئبق تحدث أضرار بليغة بالجهاز العصبى وخطرها يكمن فى أنها عديمة الرائحة بعكس الزرنيخ .

ومن الغريب أن (كارتر) الذى قضى نصف عمره فى مقابر الفراعنة لم يتأثر بهذه اللعنة، فلربما أخذ جسمه مناعة ضد تلك السموم، بالرغم من أنه لم يسلم من بعض الأعراض فقد كان يشكو من الدوار والضعف وكان أحيانا يشعر أن الدم يندفع ويتجمع فى رأسه، مع بعض الهلوسة والصداع، ويرجع علماء السموم هذه الأعراض إلى التسمم الحيوانى .

فلا شك فى أن المصريين القدماء قد استخدموا السموم فى حمية مقابرهم وقتل كل من تسول له نفسه الاعتداء على الأموات فى مرقدهم الأخير، هذا إلى جانب

الوسائل الأخرى التى استخدمت فى حراسة المقابر والدفاع عنها من السرقة؛ بل وكانت المقابر بجانب الوسائل العلمية أو السحرية فى حراستها استخدموا نظام الحراسة البشرية بإنشاء دركات للحراسة على المقابر ليلًا ونهارًا حتى لا يسطوا عيها اللصوص وقتها .

ومن الأمور التى أشارت إلى استعمالهم للأبخرة السامة كوسيلة لحماية المومياوات من لصوص المقابر، قيام هؤلاء اللصوص بحفر ثقب ضيق بحجم ذراع الإنسان فى كل قبر تم مهاجمته، وضيق هذا الثقب الذى لم يكن يسمح بإخراج الكنوز منه يؤكد على أنهم قاموا بتلك الفتحات لتسهل خروج الغازات السامة من القبور أو على الأقل التخفيف من حدتها من خلال إدخال الهواء النقى . وربما أدرك اللصوص خطر تلك السموم بعد أن لقى أصدقائهم حتفهم فى قبور أخرى .

درجات الحرارة يمكن أن تخفف من خطورة بعض السموم كما ذُكر سلفا، كذلك الأشعة فوق البنفسجية تستطيع أن تبطل مفعول السموم لكن قبور الفراعنة لا يمكن لهذه الأشعة اختراقها، لذا فقد كانت أماكن مثالية لمثل هذه السموم دون أن تتأثر فعاليتها مطلقًا .

ولو لم تكن هذه السموم والبكتريا هى المثير الواضح والمنبه للعنة، وهى التى كانت تحرس قبر (توت عنخ آمون) وكنوزه ضد لصوص القبور لما تورع مثلا (حور محب) – كما ذكر سلفًا – من اقتحام تلك المقبرة .

السموم التى تخرج من الجثث :

من المعروف أن الكهنة والسحرة كانت لديهم دراية فى مجال السموم وتحضيرها، وكان هذا العلم من العلوم السرية جدًا، وقد عرفوا آثار هذه السموم من تقلصات فى العضلات وشلل بالجسم وضعف فى النبض وصعوبة فى التنفس وقدرتها على قتل الإنسان .

وبالرغم من تعدد أنواع السموم التى عرفها المصريون، حتى أن علم الصيدلة والسميات بلغ أوجًا عاليًا فى الإمبراطورية المصرية القديمة، وقد أضاف امحوتب وزير الملك (زوسر) إلى ذلك الرصيد اضافات كبيرة، إلا أنه وبالرغم من هذا العلم الغزير، فقد كان هناك ما يخشاه القدماء المصريين من بين السموم وهو ما أطلقوا عليه اسم (سم الميت) وكانوا يشيرون بذلك إلى السموم التى يفرزها الجسم أثناء تحلله بعد الوفاة، وقد ورد فى أوراق البردى ما يفيد أن أطباء مصر القديمة كان لديهم وسيلة للتخلص من السموم الموجودة فى جسم الميت، وكانوا يعتقدون فى ذلك على الزيت والعسل وفضلات الفتيات الصغيرات والقطط والحمير والخنازير، وقد يُنظر إلى مثل هذا ببعض السخرية.

ولكن الثابت أن تلك الأشياء تحتوى على أجسام مضادة تقاوم الكميات الصغيرة من السموم التى يمكن أن تصل إلى جوف الإنسان كل يوم. والذى لا شك فيه أن السموم القوية تحتفظ بمفعولها لعدة قرون، خاصة إذا كانت محفوظة فى فراغ محكم لا يتسرب منه أو إليه الهواء .

لم يكن من الضرورى أن يحصل تناول للسم عن طريق الفم بالنسبة لعلماء الآثار الذين استكشفوا قبور الفراعنة بل يكفى أن تمس السموم الجلد مسًا خفيفًا وبذلك تخترق طبقات الجلد وتسبب التسمم، فالجدران فى مقاصير القبور وكل الأدوات المصنوعة كانت تدهن بدهانات ممزوجة بسموم قوية مثل سم الأكونايت والزرنيخ والكونيوم، وجميع هذه السموم لا تفقد فاعليتها حتى لو جفت .

وفوق ذلك فإن قبور الفراعنة كنت تحتوى على أبخرة سامة وغازات سامة بأشكال مترسبة، وكان استعمال السموم عادة شائعة فى القرون الوسطى لأجل التخلص من أولئك الأشخاص غير المرغوب بوجودهم .

وأسهل هذه الطرق هو نقع ذبالة شمعة بالزرنيخ، فعندما تضاء مثل هذه

الشموع تحدث النتيجة المرغوبة . وفى مقاصير قبور الفراعنة الحصينة التى لا يدخل إليها الهواء فإن مثل هذه الأبخرة يمكن أن تترسب ولا تختفى أبدًا وتظل ذات مفعول أكيد . فهل كانت الشموع السامة تشتعل فى القبور بينما كان العمال يقفلون مدخل القبر نهائيًا ؟

ومع أنه لم يكن هناك أنواع وأصناف كثيرة من النباتات تنمو فى مصر القديمة، فالرسوم المدهونة التى كانت تزين القبور استعملت بها المواد النباتية للدهان بشكل مذهل، وقد ظهرت صور (مين) و(أمون) ترافقهما شجرة، ويعتقد بعض العلماء أنها شجرة السرو، ومن المحتمل ألا تكون هى لأنه لا تزرع فى طيبة لكن هذا لا ينفى هذا الافتراض، فربما كانت الأشجار والنباتات تستورد من الخارج وتستخدم فى الأصبغة والدهانات .

فى حقيقة الأمر لم تكن هذه الجراثيم والسموم المسبب الوحيد للعنة الفراعنة، فمن المؤكد وعلى مر القرون أن الكهنة قد اكتسبوا معارف جديدة جعلتهم يغيرون الأنظمة الوقائية، ويضيفون وسائل أخرى لحماية القبور الملكية وذلك حتى يقطعوا الطريق على لصوص القبور، مع الأخذ فى الاعتبار أن نظم الحماية هذه لم تكن معروفة لأحد غير الكهنة وأن مجرد امتلاك مثل هذه التقنيات كان له نتائج خطيرة ومميتة .

نبات تفاح الجن :

الشيء الذى بقى بلا تفسير هو وجود نبات لا يزرع فى مصر داخل مقبرة (توت عنخ آمون)، وقد وجد أيضًا فى مقابر أخرى لفراعنة آخرين وهو النبات الذى يطلق عليه اسم اللفاح أو اليبروح (ماندريك)، وهو من الفصيلة الباذنجية، وهو نبات سام يدخل فى تركيب لبعض الأدوية، كما وجدت رسوم لتلك النباتات فى مقابر الأسرة الثامنة عشر تمثل عشرة سلاسل من هذه الفاكهة اللامعة الصفراء

اللون الصغيرة الحجم ، وكانت هذه الفاكهة معروف أنها مثيرة للشهوة الجنسية، وأقرب البلاد الذى ينمو فيها هذا النبات هو فلسطين، وقد عرف العرب هذا النبات وأطلقوا عليها اسم (تفاح الجن) وعرفوا أن كمية منه تعمل على تنشيط الجسم، ولكن تناول جرعات كبيرة منه يؤدى إلى غيبوبة، وإلى آثار أشبه بهلوسة وهذيان .

ويعتقد الأستاذ (ثيوبري) أن فاكهة الجن الموجودة فى رسومات مقابر الفراعنة تطابق الفاكهة المعروفة باسم (ديدي) والتى تسمى بالعبرية (دوديم) والتى نجد لها ذكر متكرر فى العهد الجديد، وقد استخدمت كمخدر فى جزيرة فيله بالقرب من أسوان .

بمناسبة ذكر العهد الجديد فقد ذكر فيه قصه إحدى النساء قد زنت أو سرقت وبسؤالها أنكرت الحادث، فقد قدم إليها أحد الكهنة مشروبًا، فشربته ومن بعدها اعترفت بكل شيء، فظن العامة الموجودين أن هذا سحرًا مع أنه هو ما يعرف الآن باسم كشف الكذب هى مواد كيميائية تستخرج من نباتات معينة تعمل على إثارة المخ لقول الحقيقة، وهذا النوع من العقار كان يستخدم فى أجهزة المخابرات قديمًا، ولعله قائم إلى الآن مع بعض التطوير والتحديث بما يناسب مع الثورة العلمية الهائلة التى حدثت فى القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين .

المضادات الحيوية فى مصر القديمة :

العجيب فى الأمر استخدام الفراعنة لبعض النباتات السحرية مثل البصل والثوم والفجل والكرات كمضادات حيوية، وقد وجد ذلك فى أوراق البردى الطبية .

وقد كان الفراعنة يطعمون مئات الألوف من العمال المستخدمين فى بناء الهرم فى

الجيزة هذه الأطعمة، وذلك لمنع الأوبئة والأمراض السارية . وقد اكتشف العلم الحديث مادة تسمى الرافاين وهى تؤثر فى جميع أنواع الجراثيم، وقد وجدت نفس خصائص هذه المادة فى عصير الفجل والكرات والبصل .

فى الحقيقة لم يكن الفراعنة يعرفون البكتريا ولو باسم آخر، ولكنهم فهموا تأثيرها الفسيولوجى، وقد كان المصريون يعالجون كل الأمراض الناتجة من البكتريا مثل تسمم الدم والحمى القرمزية وإصابات تقيح الجلد .. إلخ بواسطة عقاقير مأخوذة من عالم الطبيعة . فقد بلغ علم الصيدلة وعلم السموم القمة فى الدولة القديمة، وكان لـ (امحوتب) الطبيب الحكيم الذى يعتبر إله الشفاء فضل كبير فى هذا المضمار . وكان يُنظر لأعماله على أنها معجزة لكونها خارقة للطبيعة وبالتالى فقد أصبح فى منزلة الإله، ومن العجيب أنه أدرك شيئًا لم يعرفه أحد فى عصره وهو وجود ديدان لا ترى بالعين المجردة وبذلك يكون قد تعقب علم البكتريا الذى لم يعرف إلا بعد اختراع المجهر والكشف عن البكتريا والفيروسات وذلك بعد عصره بأربعة آلاف سنة .

كما استطاع المصرى القديم - كما ورد فى بعض أوراق البردى - طرد سموم الموتى واخترعوا بعض الأدوية لإيقاف مفعولها، وذلك بعد أن توصلوا إلى أن الأحياء تنتج مضادات حيوية تقاوم الكميات الصغيرة من المواد السامة التى يصدف أن يمتصها الجسم كل يوم، لكن ليس من المؤكد أن هذه الأدوية قادرة على إزالة هبوط القلب .

ولكن السموم الخارجة من الجثث أثناء تعفنها وفسادها هى سموم قاتلة، ومن المعروف أن المواد السامة تفقد قدرتها بتأثير النور والهواء والشمس بمرور السنين، لكن السموم الأقوى فاعلية تستطيع أن تحتفظ بقدرتها عدة قرون خصوصًا عندما تكون مخزونة فى حيز ضيق .

ســر اليورانيوم ومدى علاقة الكهنة به :

الرادون : هو عنصر غازى مشع موجود فى الطبيعة. وهو غاز عديم اللون، شديد السمية، وإذا تكثف فإنه يتحول إلى سائل شفاف، ثم إلى مادة صلبة معتمة ومتلألئة.

والرادون هو أحد نواتج تحلل عنصر اليوارنيوم المشع الذى يوجد أيضًا فى الأرض بصورة طبيعية، ولذلك يشبهه العلماء بالوالد بينما يطلقون على نواتج تحلله التى من بينها الراديوم والرادون بالأبناء

يوجد ثلاثة نظائر مشعة لليورانيوم فى التربة والصخور، تتفق جميعها فى العدد الذري، ولكنها تختلف فى العدد الكتلى، ولقد وجد أن كل العناصر ذات النشاط الإشعاعى تتحلل بمعدل زمنى معين، وبالرغم من أن غاز الرادون غاز خامل كيميائيًا وغير مشحون بشحنة كهربائية فإنه ذو نشاط إشعاعي؛ أى أنه يتحلل تلقائيًا منتجًا ذرات الغبار من عناصر مشعة أخرى، وتكون هذه العناصر مشحونة بشحنة كهربية، ويمكنها أن تلتصق بذرات الغبار الموجودة فى الجو، وعندما يتنفسها الإنسان فإنها تلتصق بجدار الرئتين، وتقوم بدورها بالتحلل إلى عناصر أخرى، وأثناء هذا التحلل تشع نوعًا من الإشعاع يطلق عليه (أشعة ألفا) التى تسبب تأيّن الخلايا الحية، وهو ما يؤدى إلى إتلافها نتيجة تدمير الحامض النووى لهذه الخلايا ويكون الخطوة الأولى التى تؤدى إلى سرطان الرئة.

ولكن لحسن الحظ فإن مثل هذا النوع من الأشعة (أشعة ألفا) عبارة عن جسيمات ثقيلة نسبيًا، وبالتالى تستطيع أن تعبر مسافات قصيرة فى جسم الإنسان، أى أنها لا تستطيع أن تصل إلى خلايا الأعضاء الأخرى لتدميرها؛ وبالتالى يكون سرطان الرئة هو الخطر المهم والمعروف حتى الآن الذى يصاحب غاز الرادون، وتعتمد خطورة غاز الرادون على كمية ونسبة تركيزه فى الهواء المحيط بالإنسان،

وأيضًا على الفترة الزمنية التى يتعرض لها الإنسان لمثل هذا الإشعاع، وحيث إن هذا الغاز من نواتج تحلل اليورانيوم؛ لذا فهو موجود فى التربة والصخور، بالذات الصخور الجرانيتية والفوسفاتية، وتكون نسبة تركيزه عالية جدًا فى الأماكن الصخرية أو الحجرية المغلقة، مثل أقبية المنازل والمناجم وما شابه ذلك مثل قبور الفراعنة المبنية فى وسط الأحجار والصخور، وهذا بالفعل ما وجد عند قياس نسبة تركيز هذا الغاز فى هذه الأماكن.

وهكذا يؤدى مكوث الإنسان فترة زمنية طويلة بها إلى استنشاقه كمية كبيرة من هذا الغاز الذى يتلف الرئتين، ويسبب الموت بعد ذلك، فهل بلغ العلم بهؤلاء الفراعنة ما جعلهم يعرفون ذلك، ويبنون مقابرهم بهذه الطريقة فى هذه الأماكن؟ أم أن بناءهم المقابر بتلك الطريقة كان صدفة؟ أم أنه السحر كما فسره البعض؟ وأخيرا أهى لعنة الفراعنة أم لعنة الرادون؟

فى عام ١٩٤٩م أثار عالم الذرة المعروف بروفيسور (بلجاريني) دهشة علماء الآثار عندما قال : " اعتقد أن المصريين القدماء فهموا قوانين التحليل الذرى وأن اليورانيوم كان من المسائل المألوفة لدى كهنتهم وحكمائهم. ومن المحتمل أنهم استخدموا الإشعاعات الذرية لحماية أماكنهم المقدسة " .

قد ساند رأى العالم الذرى الكبير أن الصخور المحتوية على اليورانيوم جرى استخراجها من مناجم مصر الوسطى . فهل يعنى هذا أن الفراعنة اعتمدوا على حزام قاتل من الإشعاعات المميتة ؟؟ وهل لعنة الفراعنة هى عبارة عن هذا الحزام المهلك من الأشعة القاتلة ؟؟

إن الموت بالإشعاع هو موت رهيب، فتأثيراته يمكن أن تكون بطيئة ولا يلاحظها الشخص الغريب، وقد حدثت عدة حوادث من هذا النوع فى السنوات السابقة، وعند فحص هذه الحوادث بدقة تبين وجود تشابه كبير مع حوادث موت كثير من علماء الآثار .

فقد كانوا يشكون من تعب شديد قبل موتهم بوقت قصير، وبما أن المرض الغامض المسؤول عن موتهم لم يكن له أعراض خارجية ظاهرة، فإن احتمال وجود الإشعاع احتمال كبير .

ومن دلائل نظرية الإشعاع أن المرض الغامض كان يختلف اختلافًا عظيمًا من شخص لآخر فبعض العلماء كانوا يقاسون من تغيرات الأخطار . ومن المعروف أن علماء الآثار الذين ماتوا، كان موتهم فى ظروف غامضة دون أن يعرف سبب الموت، وكانت الأعراض هى الإرهاق الزائد وعطل فى الدماغ .

ونسبيًا يمكن لكميات صغيرة من الإشعاع أن تسبب ضررًا للصحة العامة وبعكس السموم الكيماوية فلا يمكن إبطال مفعول الإشعاع، فالمواد المشعة لا يمكن تغييرها إلى مواد أخرى ولا يمكن إزالتها أيضًا، إذ عندما يمتص جسم الكائن الحى هذه الإشعاعات تبقى فى داخله فالتعرض الجديد يزيد فى الكمية المخزونة .

أما الأعراض التى تنتج عن الإشعاعات لا تعمد على كمية الإشعاعات فى وقت معين، فيمكن أن تبدأ بعد وقت قصير من بدء العمل فى القبور، أو مع المومياوات ، وفى حالات أخرى لم تظهر أى أعراض لمدة شهور أو سنو ت، بعضهم مات بسرعة وبشكل غير منتظم، والآخرون كانوا تعساء بسبب عطل فى الدماغ .

ويقول العالم (بلجاريني) والذى لا يستبعد هذا الاحتمال : " من الممكن أن أرضية المقابر غطت باليورانيوم، أو أن تكون القبور نفسها كسيت بصخور مشعة . مثل هذا الإشعاع يمكن فى يومنا هذا أن يقتل إنسانا، أو على الأقل تأثير سيئًا على صحته ".

وقد اكتشف فى المعبد الجنائزى لهرم سقارة المدرج بمنطقة سقارة بالجيزة حجران بها أحجار تشع موجات كهرومغناطيسية شافية للأمراض وأخرى تطلق موجات اللون الأخضر السالب القاتلة للحيوية .

لقد استخرج الفراعنة اليورانيوم الذى كان فى نفس الطبقات الصخرية مع الذهب فى نفس المنجم .

فى الواقع لا يوجد أى إثبات عن استخراجهم له فى أوراق البردى ولا فى النقوش الجدارية، وربما كانوا استعملوا القدرة الموجودة فى هذين العنصرين دون معرفة اسم أو مصدر هذه القدرة .

أما الغريب ما فى الأمر هو وجود كتابات هيروغلوفية منقوشة على الصخور تحت الأرض، وقد وجد المنقبون عن الذهب فى أحد الأنفاق جدارًا من الحجارة الثقيلة وعليه كتابة هيروغلوفية ماثلة، والأعجب أن علماء الآثار لم يتمكنوا من حل رموزها، ولم يعرفوا شيئًا عنها سوى اسم المؤلف فى آخر سطر (أمنحوتب) الكاتب.

لا أحد يعرف ماذا كان يصنع (أمنتحوتب) الكاتب فى المنجم، وما الذى دعاه لكتابة هذه السطور فى الصخور تحت الأرض، وأيضًا لم يتوصل أحد للأسباب التى جعلت الفراعنة يسورون المناجم ويضعون الكتابات المنقوشة فيها .

كالعادة لا يوجد جواب شافٍ لهذه الاسئلة، ولا توجد أدلة يقينية تثبت أن المصريين قد عرفوا تأثير النشاط الإشعاعى والإشعاع الذرى، لكن فى نفس الوقت لا يوجد ما يثبت العكس بأنهم لم يكتشفوه ويعرفوا خواصه ؟ ويستفيدوا من قدراته فى حفظ مقابرهم .

وأوضح الدكتور سمير يحيى الجمل : " أن قدماء المصريين رفعوا أشعة اللون الأخضر السالب، واستخدموا هذه الأشعة فى كافة اعمالهم السحرية، وذكر أن هذه الأشعة تنطلق أيضًا من قاعدة الهرم الأكبر طبقا للنتائج التى أظهرتها أجهزة القياس الإشعاعى، وأشار إلى أن هذه الأشعة موجودة فى كافة المضادات الحيوية .

وقد أعلن الخبراء المصريين أنهم تمكنوا من تسجيل إشعاعات نووية صادرة من

بعض المومياوات أثناء مرورهم بجهاز قياس الأشعة بقاعة المومياوات بالمتحف المصرى . وقد تبين للعلماء أن قدماء المصريين كانوا يشحنون جثث موتاهم عند تحنيطها بشحنات من الأشعة الخضراء لحفظها من التحلل وقتل البكتريا التى تعمل على سرعة تحللها .

وقد اثبت العلم الحديث أن الكميات الصغيرة من الإشعاع يمكن أن تسبب سرطان الدم لأنه بمجرد دخول العناصر المشعة إلى الجسم يتأثر نخاع العظام وهو المادة الأساسية فى تكوين الكرات الحمراء فى الدم لعدة سنوات، بينما تظل الكرات البيضاء تتكاثر، لذلك فإن سرطان الدم لا يمكن علاجه والموت محقق للمصاب به هى فقط مسألة وقت .

شحن الأثاث الجنزى بالأشعة القاتلة :

وقد أكد الدكتور سيد عبد الكريم عالم المصريات أن لعنة الفراعنة التى تم نسبها إلى السحر لم تكن فى الواقع إلا شحن بعض المومياوات بأشعة الموت الخضراء القاتلة بالإضافة إلى شحن بعض متعلقات المومياوات من أدوات منزلية وأدوات زينة ومصاغ وتمائم بنفس الأشعة، وهذا ما دع سارقى بعض المقتنيات من كنوز (توت عنخ آمون) وسارقى بعض المومياوات إلى إعادتها إلى أماكنها الأصلية مرة أخرى أو التلخص منها للخلاص من هذه اللعنة .

المجال المغناطيسى :

هناك عدة تساؤلات لا يوجد لها إجابة قطعية : لماذا وضع المصريون مومياء أجدادهم بشكل عمودى فى غرفة المعيشة وغالبًا ما تدوم تلك الوقفة عدة سنوات ؟ لماذا كان المصريون يدفنون الفراعنة فى أماكن بعيدة عن أماكن السكن فى مدن الموتى الكبيرة، وقد جعلت مقابر موتاهم فى وادى الملوك فى العاصمة طيبة،

وفى سقارة فى العاصمة ممفيس، فهل يمكن أن تكون هذه الأماكن المخصصة للموتى معرضة بصفة خاصة للأشعة الكونية وتأثيرها .

إن نظام الكواكب بأجمعه يخضع لعلاقات متبادلة كهرومغناطيسية، وإشعاعية تتعرض لها جميع الكائنات الحية، فالمجال المغناطيسى يلتقط الأشعة الكونية، وهذا هو السبب الذى يجعل جزئيات الإشعاع الكهروماغنطيسى لا تستطيع السير على خط مستقيم بل إنها مجبرة على السير فى ممرات حلزونية تسير على طول خط المجال المغناطيسى .

وقد أتَّبع الفراعنة الظواهر العلمية التى لم ينتبه لها حتى علماء العصر الحالى، ولم يتركوا ظاهره فى الكون إلا وتأملوها بملاحظتهم الدقيقة للسماء .

ومن مثل هذه الظواهر أن المجال الغناطيسى الأرضى يتضاعف فى جميع الأجسام التى تحتوى على الحديد، فالمطارق الحديدية المستعملة فى نصف الكرة لشمالى ينشأ على جوانبها مجال مغناطيسى جنوبى ويتكون مجال مغناطيسى شمالى على مقبض مظلة عندما تدار المظلة نحو الأرض، وهذه القوى المغناطيسية تعمل على الأرض وقد تنبه الفراعنة لهذه الظاهرة فى حين لم يعيرها العلماء أى اهتمام لأنها لا تبدو ذات أهمية عملية تطبيقية .

الفراعنة ومساحيق الهلوسة :

من المؤكد علميًا وتاريخيًا أن الفراعنة عرفوا العقاقير، وكانوا قادرين على خلطها وتركيبها واستخدامها، والطب الحديث يقول لنا أيضًا أن تلك المساحيق ممكن أن تحدث أثرها عن طريق الأنف أو الفم، وأحدث هذه المساحيق عن طريق ذرات هذا العقاقير إذا دخلت عن طريق العين .

حيث أنه من المحتمل جدًا أن يكون الفراعنة قد وضعوا تلك المساحيق من مادة

الهلوسة فى مقابرهم بكميات كبيرة حتى يتأثر الداخل للسرقة ويصاب بالجنون أو الهلوسة أو يسقط فى غيبوبة فيخاف من بعده من الدخول ويفر هاربًا، وهذا ما يفسر وجد هياكل عظمية فى دهاليز أو غرف المقابر فيحتمل أن يكونوا لصوصًا أثرت فيهم المواد التى حفظ الفراعنة مقابرهم من السرقة .

وهذه الحالة من الهذيان والهلوسة قد أصابت عددًا كبيرًا من علماء الآثار فمثلا العالم (يوهاتس ديمتش) الذى جاء إلى الصعيد والنوبة وكتب ونقل مئات النقوش أصيب بحالة من الهذيان المستمر، فسرها الأطباء على أنها انفصام فى الشخصية وقد دفع له الناشرون ليؤلف كتابًا ولكنه جلس فكتب ٣٥٠ صفحة لم يستطع أحد أن يفسر جملة واحدة منها .

ومن أهم التفسيرات لتلك اللعنة التفسير العلمى الذى جاء به البروفيسور الألمانى (فيليب ڤاندبنرج) فى كتابه والذى يعد موسوعة كاملة ومتكاملة عن (لعنة الفراعنة).

ولقد اهتم (فاندبنرج) كثيرًا بتسجيل معظم الحالات، التى أصابتها لعنة الفراعنة من وجهة نظره، ثم توقف طويلًا عند تلك الحمى، التى أصيبت بها معظم الحالات، والتى أدت إلى الهذيان والهلوسة، ثم الموت فيما بعد .

ومن هنا، وضع العالم الألمانى نظريته، ونظرية (فاندبنرج) تربط لعنة الفراعنة بثلاثة احتمالات علمية، تبدو فى جانب منها منطقية ومعقولة، إلى حد كبير.

الاحتمال الأوَّل هو أن تحوى مقابر الفراعنة وملوكهم على وجه الخصوص غازات سامة، أو عقاقير وأتربة بطيئة المفعول من ابتكار الكهنة الذين أخفوا دومًا علومهم عن العامة، وإن تركوا لنا دلائلها من خلال سر التحنيط الذى حار فيه علماء الكيمياء حتى يومنا هذا.

ومن وجهة نظر العالم الألماني ؛ أن الكهنة قد ابتكروا نوعًا من السموم شديدة البطء أشبه بعقاقير الهلوسة، ومزجوها بأتربة المقابر الخاصة بالملوك، كوسيلة لعقاب كل من تسول له نفسه نبشها أو سرقتها.

وربما كانت تلك العقاقير أكثر تأثيرًا في الماضي، وأسرع مفعولًا، إلا أن خواصها قد تغيرت تمامًا، عبر آلاف السنين من التخزين، ولكنها وفي كل الأحوال تترك أثرها في دماء كل من يقتحم المقابر الفرعونية، ويستنشق ترابها، ثم يبدأ تأثيرها بعد عدة سنوات على شكل حمى، وهذيان، وهلوسة .

والاحتمال قد يبدو منطقيًا للوهلة الأولى، إلا أن قليل من التفكير فيه، يجعلنا ندرك عقمه تمامًا، إذ أن العلم قد قطع شوطًا ضخمًا، في السنوات العشر الأخيرة، وأصبح من السهل تحليل أتربة المقابر، ومعرفة كل ما تحويه، بل إنه هناك مراكز متخصصة لأبحاث التربة، يمكنها تحديد مكونات أية عينة من الأتربة بمنتهى الدقة، وبمنتهى السرعة أيضًا.

والكشوف الأثرية ما زالت مستمرة، ولم تتوقَّف حتى الآن، ولو أن احتمال السموم بطيئة المفعول هذا وارد، لتوصل إليه العلم الحديث فورًا.

ولكن (فاندبنرج) نشر كتابه في سبعينات القرن العشرين، وقبل أن يبلغ العلم هذا الحد، أو تظهر أجهزة وبرامج الكمبيوتر، التي قلبت كل الموازين، رأسًا على عقب .

ولكن دعونا لا نتوقف طويلًا عند الاحتمال الأوَّل، ولننتقل منه إلى الاحتمال الثاني، والأقرب إلى المنطق.

الفيروسات : فالبروفيسير الألماني يفترض أنه كان هناك فيروس قديم، كامن في أتربة مقابر ملوك الفراعنة. فيروس ساد في القرن القديمة، أو استخدمه الكهنة أيضًا في فترة ما، أو أنهم قد ورثوه من حضارة سابقة!!..

وذلك الفيروس ينتقل إلى أجساد من يقتحم المقابر، ويسرى فى دمه وأنسجته، ليقضى فيها فترة حضانته، التى تبلغ سنوات وسنوات، وترتبط بالقابلية الشخصية للإصابة، وبقوة مناعة الجسم، التى تختلف من شخص إلى آخر.

وعندما يبدأ ذلك الفيروس المفترض نشاطه، يصاب الإنسان بالحمى، التى تهاجم المخ على الأرجح، مسببة الهذيان والهلوسة.

والاحتمال هذه المرة منطقى وعلمى تمامًا، ويمكننا هضمه واستيعابه، إلى حد كبير، وخاصة بعد ظهور فيروس (الإيدز)، الذى يكمن فى الأجساد لسنوات طويلة بالفعل، قبل أن تبدأ أعراضه فى الظهور.

ثم أن فكرة الفيروس هذه تتناسب مع الحمى المخيَّة، والهذيان، والهلوسة، والوفاة أيضًا، وكذلك تتفق مع عجز الأطباء عن تشخيص المرض، فى عصر لم تكن الأبحاث الطبية قد تطوَّرت إلى الحد الكافى، لكشف مثل هذه الكائنات الدقيقة، واستيعاب طبيعتها وأعراضها .

ولكن تعود بنا الخيوط إلى السؤال الأوَّل لماذا لم يعد ذلك الفيروس يظهر، فى الكشوف العلمية والأثرية الحديثة؟! هذا السؤال نتركه للبروفيسير الألمانى، ونتركه لعقولنا، تدرسه، وتناقشه، وتحلله، ثم تتوصل إلى نتائجه.

أما نحن، فسننتقل إلى الاحتمال الثالث، فى نظرية (فاندبنرج) والاحتمال الثالث مدهش، ومثير للحيرة، ويبدو من خلاله أن العالم الجليل كان إيمانه بالفراعنة يتجاوز كل الحدود .

فذلك الاحتمال هو أن ترتبط لعنة الفراعنة بنشاط إشعاعى ذرى، ظل مختزنًا داخل مقابر الملوك لآلاف السنين، لينطلق فى وجه كل من ينبشها.

وقد أكد الألمانى (فيليب فاندبنرج) أن المصريين القدماء عرفوا الذرة وأنتجوا غازًا للأعصاب يحمى القبور ووضعوا نظمًا دفاعية لحماية القبور بهذه الغازات.

وربما يتفق الاحتمال مع بعد التأثير، ومع أعراض الحمى والهلوسة والهذيان، والموت فى نهاية المطاف، كما يتفق أيضًا مع عجز الأطباء القدامى عن تشخيص الحالات، وحيرتهم فى مواجهتها، إلا أنها تضعنا أمام احتمال جديد، يبدو أكثر خيالًا من كل ما سبقه وهو احتمال أن الفراعنة كانت لديهم معرفة دقيقة بالنشاطات الإشعاعية .

حتى لو افترضنا أنهم قد توصلوا إلى تراب اليورانيوم مثلًا، وأن الكهنة قد أدركوا أنه يختلف عن التراب العادى، وأن له تأثيرات فتاكة على كل من يلمسه أو يستنشقه، فسنتساءل بدورها، كيف أمكنهم اتقاء تأثيره عليهم، دون أن تكون عندهم أبحاث، ودراسات، ووسائل مقاومة؟!..

ولو افترضنا أن هذا قد حدث بالمصادفة، ودون وعى منهم، وأن بعض المواد، الداخلة فى مساحيق التحنيط، كانت مواد مشعة فتاكة، فأين ذهبت هذه المواد، ولماذا غاب تأثيرها، واختفت من المقابر، على الرغم من أنها قد بقيت لآلاف السنين؟!.. ثم لماذا تواجدت فى الكشوف القديمة، ولم تتواجد فى الكشوف الحديثة؟!

الوطاويط الخطرة :

هناك تفسير لفكرة اللعنة ترجع إلى الفطريات والمواد المتعفنة التى تنتج من براز الوطاويط، وقد استنتج الجيولوجى الدكتور (چون وايلز) هذا عندما كان فى رحلة اكتشافية فى أحد الكهوف ووجد بها الآلاف من الوطايط يتدلون من السقف دون حراك . وبعد زيارته هذه بدأ دكتور (وايلز) يشكو من أعراض عسر الهضم بالإضافة إلى ألم فى العضلات وحمى عالية شخصها الأطباء على أنها نزلة صدرية أو داء (ذات الجنب) ولكن الأدوية لم تأتى بنتيجة فعاله، وعندما فشل الأطباء فى التوصل إلى تشخيص لمرضه، نقل للمستشفى وقام بفحصه دكتور (دين) رئيس

المستشفى، عندها تذكر أن الأطباء الأمريكيين قد اكتشفوا حديثًا مرضًا انتشر بين الذين اشتغلوا فى صخور (الأنكا) فى البيرو، فأرسل عينة من دم دكتور (وايلز) إليهم، وكانت النتيجة تؤكد نفس المرض المُسبب من الفطريات التى تنمو فى براز الوطاويط والمواد المتعفنة الأخرى، ووفقا لذلك فقد اعتقد دكتور (دين) أن هذا المرض هو سبب الوفيات المحيرة التى لها علاقة بقبور الفراعنة .

الدودة السامة :

أيضا من ضمن التفسيرات التى حاول العلماء من خلالها فهم أسباب الوفيات وما يعانيه من أصابتهم اللعنة من أعراض مرضية غريبة، تذكر 'الأطباء الأوربيون أثناء دراسة لهذه الأمر ظهور مرض غريب أصاب العمال الذين كانوا يشتغلون فى نفق سانت جوثارد وتدعى فقر دم العمال وكانت أعراضه الإغماء فقر الدم، وقد اكتشفوا أن سبب المرض هو بيوضة دودة الأنسيلوستوما فى براز أحد الضحايا وكذلك الديدان الخيطية . فهل كانت هناك ديدان فى المقابر أدت إلى هذه الأعراض.

الضفادع البرية :

بالرغم من بشاعة الضفادع البرية لكن الفراعنة اعتبروها مقدسة واحترموها، والغريب أن هناك أحد الصيادلة حلل السم الموجود فى الغدد حول أذنى الضفدع البرى فوجد أن هذه الغدة تنتج عشرين نوعًا من السم وله نفس تأثير نبات الديجيتالس السام، ويمكن أن يكون هذا هو السبب وراء معاملة الفراعنة للضفادع بهذا الاحترام .

السؤال هنا هل أى من هذه الأمور تأثير فى أى الحالات التى ترفت بعد دخول المقابر الفرعونية ؟ وهل هى السبب الحقيقى وراء ما يسمى بلعنة الفراعنة ؟ وهل وجودها يؤكد على تلك اللعنة أم يدمر الفكر من الأساس ؟ وهل كان وجودها عن

قصد أم أنها عوامل طبيعية لا دخل للفراعنة فى تواجدها بالمقابر ؟

فى النهاية ستظل الإجابات على هذه الأسئلة مبهمة ولم تصل حتى وقتنا هذا إلى مرحلة اليقين .

علماء الآثار يختلفون:

كثرت أقاويل الأثريين حول تلك الظاهرة بعضهم يؤكد أن المصريين القدماء مارسوا تقاليد سحرية وركزوا قوة ديناميكية لمنع إزعاج الموتى .

وفى عام ١٩٤٩ قال عالم الذرة (لويس بولجارين) بأن هناك احتمالا بأن قدماء المصريين استعملوا الإشعاعات النووية لحماية أماكنهم المقدسة وربما تكون أرض المقابر قد غطيت باليورانيوم أو أضيفت بها مادة مشعة من اليورانيوم والذهب إلى صخور المقابر يمكن أن تقتل الإنسان.. وأكد الألمانى (فيليب فاندتيرج) فى موسوعته الكتابية (لعنة الفراعنة) أن المصريين القدماء عرفوا الذرة وأنتجوا غازًا للأعصاب يحمى القبور ووضعوا نظمًا دفاعية لحماية القبور بهذه الغازات.

واحتار العلماء الأثريين فى تفسير هذه الظاهرة العجيبة التى أصابت كثيرا من الناس بالخوف وجعلتهم يحاذرون من الاقتراب من مقابر الفراعنة أو ممتلكاتهم فيتحدث الأثرى عاطف أبو الدهب رئيس الإدارة المركزية للآثار المصرية يؤيد بشدة الحذر من لعنة الفراعنة مستدلًا ببراعتهم فى السحر من خلال اكتشافه تمثال بالمتحف المصرى يسمى (جدحر) ومعناه المنقذ . وهذا التمثال مغلف بالكامل بالأدعية والتعاويذ السحرية من جميع جوانبه، وله القدرة على علاج حالات السحر وشفاء الأمراض وحماية المولود بل القتل لو اقتضى الأمر . ويرى أن السحر فى الحضارة الفرعونية أمر مغلف بالغموض وتخافه الناس . خاصة بعد حادثة الرجل البولندى (لكسة) الذى ترجم جميع

النصوص السحرية فى مصر، ولكنه مات بعدها فجأة قبل أن يعلق عليها، فشعر الناس بأن هناك محاذير من الدخول فى سحر الفراعنة لأنه أصبح أمرًا محفوفًا بالمخاطر.

من جانبها ترى الدكتورة وفاء صادق مديرة المتحف المصرى أن التعاويذ والأدعية والرقى فى التماثيل والمقابر والتمائم والبرديات، لا تعنى لعنة فرعونية، ربما كانت تمثل قوة سحر فى زمانها وليس لها أثر الآن بعد آلاف السنين، رغم ما تذكره من تعرضها للعديد من المواقف الغامضة أثناء عملها إلا أنها لا تستطيع الجزم بوجود لعنة فرعونية.

تحدث الدكتور عز الدين طه عن الفطريات وعن السموم التى نثرها الفراعنة فوق مقابرهم وعن البكتيريا التى تنشط فوق جلد المومياء المتحلل لكن هذا لم يكن يفسر حالات الجنون والوفاة المفاجئة أو الانتحار بدون سبب بل أن الدكتور عز الدين نفسه لقى مصرعه بعد تصريحه هذا بأسابيع قليلة فى حادث سيارة، وظلت أسطورة لعنة الفراعنة معلقة لا تجرؤ أى جهة مسؤولة على الاعتراف بها .

أما بالنسبة لعلماء الآثار فعلى الرغم من تصريحاتهم بأن لعنة الفراعنة هذه مجرد خرافة وحالات الوفاة التى حدثت لا يمكن أن تتعدى الصدفة والدليل على ذلك هو (هاورد كارتر) نفسه صاحب الكشف عن مقبرة (توت عنخ آمون) والذى لم يحدث له أى مكروه إلا أن الكثيرين منهم لا يجرؤون على اكتشاف قبور فرعونية أخرى ولا حتى زيارة الآثار الفرعونية كما قام معظم الأثرياء الذين يقتنون بعض الآثار والتماثيل الفرعونية الباهظة الثمن بالتخلص منها خوفًا من تلك اللعنة .

ذكر بعض الباحثين والعلماء المسلمين أن حالات الوفاة التى حدثت لا يمكن أن تفسر على أنها لعنة لأن هذا يتعارض مع العقيدة الإسلامية بشكل مباشر، كما أنها ليست صدفة ؛ فالصدفة لا تتكرر بهذا الشكل، بل أن لكل هذا تفسير ما قد يتضح مع مرور الأيام أو قد تظل الأسطورة متأرجحة بين الحقيقة والخيال .

ملخص الآراء العلمية :

مما سبق فإن لعنه الفراعنة باختصار هى ظاهرة موت العلماء والباحثين العاملين فى مجال البحث والتنقيب عن الآثار الفرعونية هذه الظاهرة فسرت تفسيرًا خرافيًا بعد البردية التى كتب فيها "من يقترب من ملوك الفراعنة سوف يلقى مصير الحياة الأبدية الأخرى " .

وقد قيل أنها عبارة عن لعنة تحل بكل من يحاول اكتشاف هذه القبور فيموت غالبا أما إذا كان سعيد الحظ فإنه يجن، واحترامًا لعقل البشر حاول العلماء اكتشاف السبب الحقيقى وراء الظاهرة وبعد سرد آراء بعض العلماء سلفًا من خلال الاكتشافات التى توصلوا إليها يمكن تلخيصها فيما يلى :

١ - أن هناك فطر يدعى (injure jellies Speer) يسبب التهاب الجهاز التنفسى وضيق التنفس وهو ينتشر على أوراق البردى القديمة والأماكن المغلقة بإحكام لفترات طويلة.............(اكتشفه د.عز الدين طه-جامعة القاهرة..مصر) .

٢ - مرض (plasmoses Hesto)يتسبب فيه بعض الطفيليات وفضلات الخفافيش وبعض المواد المتعفنة من المعروف أن المقابر مليئة الكائنات المتعفنة لذلك يكون وجوده محتمل.

٣ -برع المصريون فى تحضير السموم و اكتشفوا أنواع عديدة منها ربما لم نكتشفها بعد وقد اكتشفوا نوعًا من السموم يوثر عن طريق الاستنشاق ومن انطبيعى أن يستخدموه فى حماية المقابر، وبما أنها مغلقه فإن مفعول تلك السموم يستمر إلى أزمان بعيده فيأتى الباحثون اليوم ويدخلون ليستنشقوه ثم يودعوا العالم.

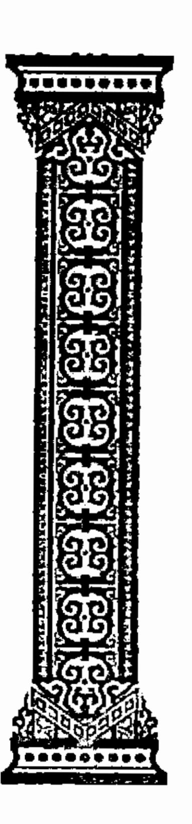
٤ - تم اكتشاف بعض الإشعاعات القاتلة من أهمها اليورانيوم وكان ذلك فى أوائل القرن الماضى ولكن بعض البرديات توضح أن المصريون استخدموا مواد

مشعه لحماية أنفسهم من اللصوص ومن الطبيعى استخدامها للحماية قبور الملوك ويؤكد بعض الباحثين أن تلك المواد هى على الأرجح اليورانيوم وغيره من المواد المشعة مع العلم أنها لا تؤثر فى الإنسان مباشره ففى عام ١٦٥٤م توفى بحار يابانى البالغ ٤٠ عام بعد ٦ أشهر من التفجيرات الأمريكية على هيروشيما ويؤكد الأطباء أن الرماد المشع هو السبب وراء وفاته.

قد لا تكون هذه هى كل الأسباب وراء الظاهرة الغريبة ولا يزال البحث جاري..........

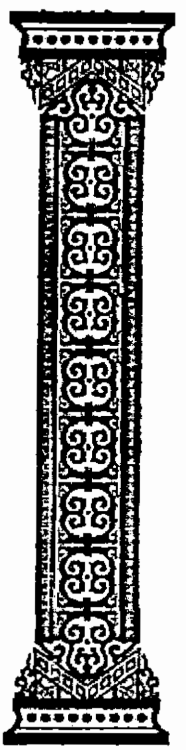
لكن ما علينا تذكره أنه عندما يموت الإنسان تنقطع صلته بالحياة على سطح الأرض حقيقة لا يمكن إنكارها.

وفى النهاية هل فعلا يتم الكشف عن هذا اللغز الغريب الذى حير العلماء حتى يومنا هذا.. و هل تتوصل هيئة الطاقة الذرية لمعرفة أسرار فراعنة مصر.. نحن فى انتظار العثور على مقبرة وكشف جديد حتى تقول هيئة الطاقة الذرية رأيها للغز الغامض.



الفصل السادس

حوادث غريبة



الفصل السادس

حوادث غريبة

هناك طرق كثيرة لبلوغ الذروة فى التأثير على من يعمل فى الحفر والاستكشافات، ويبدو كما لو أن لعنة الفراعنة قد مارست بعض التأثيرات والقوى السحرية على ضحاياها، وهناك الكثير من العلماء البارزين انتحروا لأجل العلم أو رجعوا من مصر إلى بلادهم وهم فى حالة جنون .

إن القاسم المشترك فى حياة كثير من علماء الآثار هو الهوى والانفعال العاطفى تجاه مهنتهم، لكن ما كان يميزهم عن بعضهم البعض هى قضية الأخلاق والفروق الشخصية والمعتقدات الفكرية فمنهم من يصرف النظر تمامًا عن فكرة لعنة الفراعنة ويعتبرونها مجرد هراء مثل علماء الآثار الألمان، ومنهم من يقدس حرمة القبور ويرفض تمامًا حتى أن يطأ بقدمه قبر لفرعون .

لكن اللعنة فى حقيقة الأمر لم تكن بسبب من ماتوا بشكل غامض بعد اكتشاف مقبرة (توت عنخ آمون)، فقد مات الكثيرون من علماء الآثار قبل اكتشاف المقبرة . فقد بدأت لعنة الفراعنة فى التأثير قبل قرن ونصف وكانت تصيب دائما الرجال الذين قضوا سنوات طويلة فى مصر وكان لهم علاقة بطريقة ما بالتنقيب. وقد دوّن القليل من الثمين النادر عن حياة هؤلاء العلماء المرموقين فى سجلات الاكتشافات الأثرية والنظريات .

أسباب الوفيات الأساسية :

إن قائمة وفيات علماء الآثار الذين ماتوا بشكل غامض فى القرن الماضى تبدو وكأنها لا نهاية لها، ولكن بعد الفحص الدقيق تبين أن هناك ثلاثة أسباب محتملة للموت :

الحمى مع الأوهام وتوقع الموت ثم الاضطرابات التى صحبها انهيار فى الجهاز الدورانى للدم، أو سرطانات مفاجئة قاضية على الحياة بسرعة .

وفيما يلى بعض الوقائع الغامضة لوفاة الأثريين والمستكشفين الذين كانت لهم صلة دائمة ومباشرة بالآثار المصرية القديمة والتى تثير الكثير من التساؤلات . إنها سلسلة من الضحايا منها الانتحار وفقدان لعقل والتصرفات الشذة والغريبة .

هنريك بروجش

من هؤلاء الأثريين (هنريك بروجش ١٨٢٧-١٨٩٤) أحد أفضل علماء الآثار المصرية فى برلين، كان قادرا على قراءة النصوص الديموطيقية وهو فى السادسة عشرة من عمره .

كان (بروش) يتبجح باعترافه أنه قد عثر على رأس ملك (سايس)، مع أن كل معارفه كانوا يعلمون أنه قد اشترى ذلك الرأس من إحدى حوانيت الآثار القديمة.

كما أنه كان يهذى دوما بما كان يملكه من الكنوز الفرعونية، مع أن المقربين منه كانوا يؤكدون على أنه لم يجد شيء له قيمة، وأنه كان يدعم أعماله العلمية بإدعاءات مختلفة كاذبة، ويمكن أن يكون هذا نوع من الاضطراب العصبى فقد ظهر الخلل الحقيقى فى تصرفاته بعد أن أمضى سنوات فى مصر، انقطع عن العالم وكان يعامل المومياوات كما لو كانت بشرا على قيد الحياة . وكلما كانت تطول إقامته فى مصر كانت تصرفاته تبدو أكثر غرابة وشذوذً . حتى أنه اقترح نظريتين متعارضتين بكل ما فى الكلمة من معنى وذلك بالنسبة لما يدعى (شعوب البحر) فى عملين من أعماله.

لقد كان (بروش) أحد علماء الحضارة المصرية المعترف بهم بالرغم من ميوله الفصامية ومع أنه كان ينسى كل ما حوله من العالم عندما يتتبع مشكلة تاريخية. لكنه كان ضحية من ضحايا لعنة الفراعنة . لقد وجده الناس يمشى عاريًا فى الشارع وقد وضع على رأسه تاجًا من الورق يشبه تاج الملك (مينا)، ثم مات مشلولًا .

جيوفانى باتيستا:

أيضًا من هذه الوقائع ما حدث للمستكشف الإيطالى (جيوفانى باتيستا بلزوني) الذى ولد فى عام ١٧٧٨م ومات فى ١٨٢٣، وقد بدأ عمله فى مصر باحثًا عن الكنوز الدفينة، وتولى العديد من المهام منها نقل المسلات الضخمة من صعيد مصر إلى الإسكندرية . وأيضًا التنقيب فى مدينة الموتى بطيبة عند بداية ١٨٠٠م

كلن ينبش المقابر وهو الذى اهتدى إلى مقبرة (سيتى الأول)، كما أنه شحن إلى أوربا الكثير من الآثار المصرية التى اهتدى إليها وهربّها .

بعدها أصبح شغوفًا بهرم (خفرع) الذى لم يكن عرف بعد الطريق إلى غرفة الدفن التى بداخله . وبعد طول العمل المضنى فى محاولة الوصول إليها لم تكلل العملية بالنجاح . لذا استمر فى عمله فى التنقيب عن القبور وجنى مال كثير من بيع أحد المومياوات .

وعندما عاد إلى لندن وفى طريقه إلى طنجه متجهًا إلى السودان ظهرت عليه اعراض مرض غامض أشبه بذلك الذى أصاب غيره من الأثريين الذين عملوا بمصر .. (الحمى المزقة)، وما يصاحبها من غيبوبة وهذيان . وهنا قال (بلزوني) : " أشعر بيد الموت تمتد إلى " وأصبح يهذى بحديث مختلط مفكك حتى فاضت روحه فى ٣ ديسمبر ١٨٢٣م .

وقـد روى فى مذكراتـه عـن إحـدى الليـالى التـى قـضاها تحـت الأرض " كان الدهليز طويلًا، وكانت تتساقط فوق رأسى أشكال وألوان وأحجام من الأذرع والسيقان، وكان التراب يملأ أنفى، وكنت اعطس وأسعل أذرف الدموع، وفى إحدى الممرات كدت أختنق، وفجأة وجدت أمامى أشباحًا عجيبة، ولم أكن فى حالة من الخوف، وظننت أن للدهليز بابًا آخر، وخيل إلىّ أن الذين أراهم بوضوح أمامى هم بعض العمال المصريين، لولا أن وجوهم لم تكن واضحة ".

هذيان دوميشين :

ولد (جوهانس دوميشين) عام ١٩٣٣م، وهو ابن قسيس من سيلزيا، كان أستاذ فى جامعة ستراسبورج، وقد تنقل بصورة واسعة بين مصر وبلاد النوبة، وقام بنسخ الكثير من المخطوطات من الهياكل، وكان يقضى الأسابيع بين الخرائب تحت الأرض، مما أدى إلى تغير شخصيته تدريجيًا، فقد ظهرت عليه أعراض بداية انفصام شخصية، فكان يتحدث لعدة ساعات حول تجارب فى علم لآثار فى مواقع غير موجودة، وكان يخبر أى شخص يستمع إليه عن حفرياته فى قبر فى طيبة حيث كانت رائحة الوطاويط النتنة تنتشر حتى إنه لم يستطع إلا أن يربط قطعًا من قشور البرتقال حول فمه أثناء العمل .

والحقيقة أنه لم يُحفظ أى سجل يشير إلى أن (دوميشين) قد اشتغل فى قبر كالذى وصفه، وعندما رجع إلى ألمانيا كان قد أصبح فى حالة لا يرثى لها فلم يكن بوسعه أن يتم عبارة واحدة من الكلام، وكان يقفز من فكرة إلى فكرة بعصبية، والأسوأ من ذلك أن كتابته كانت بهذه الطريقة أيضًا.

وعندما تعاقد معه أحد الناشرين لكتابة الجزء المختص بالتاريخ المصرى ضمن سلسلة من مجلدات تاريخ العالم، لكن الناشر انتابه الذعر عندما اكتشف أن (دوميشين) بعد كتابة ٣٠٠ صفحة لم ينته حتى من كتابة المقدمة .

هذه الأعراض تشبه الأعراض التى تنتج عن تعاطى المخدرات والتى تسبب السلوك الانفصامى، وهذا لا يستبعد فقد عرف المصريون القدماء الكثير عن المخدرات، وقد توصل العلم الحديث أن أقل تماس للمخدرات مثل مسح الإنسان فمه بظهر يد ملوثة بالمخدر فإن ذلك يسمح للمخدر أن يدخل ويؤثر على الكائن الحى .

ولا يستبعد العلماء أنه قد لمس بأصابعه النقش ساعات طويلة، وانتقلت أصابعه إلى وجهه وشفتيه، كما انتقل غبار القبور إلى أنفه وعينيه فأصيب بهلوسة مستمرة .

رتشارد لبسيوس

لقد عمَّر عالم الآثار الألمانى (رتشارد لبسيوس ١٨١٠-١٨٨٤) أكثر من أى من زملائه وهو الذى نقل مقابر بأكملها من وادى الملوك وبينها عمود مقبرة (سيتى الأول)، ولكنه أخيرًا أصيب بضربة تركته نصف مشلول، وكان تشخيص الأطباء أن السرطان كان السبب الرئيس فى موته .

جورج مولر :

إن عالم الحضارات المصرية (جورج مولر ١٨٧٧-١٩٢١) الذى وجه أعمال الحفريات فى قبر ما قبل التاريخ فى أبى صير، ومدينة الموتى فى طيبة (قرب دير المدينة)، كان خبيرًا بطقوس دفن الموتى فى مصر القديمة، وقد قضى وقتًا طويلًا داخل المقابر .

استطاع حل بعض الرموز الهيروغليفية وهو فى المدرسة، ومثل بقية علماء الحضارة المصرية أصبح مفتونًا بمهنته، لكنه مات وهو فى الرابعة والأربعين من العمر بينما كان فى رحلة إلى (أبسالا) وكان سبب الموت القشعريرة والحمى .

جيمس هنرى براستد:

كان (جيمس) أستاذ فى جامعة شيكاغو، وعالمًا متمرسًا اشترك فى كثير من البعثات المصرية، وكانت أبحاثه ناجحة منذ أن وصل إلى مصر لأول مرة وهو شاب فى عام ١٨٩٤م .

لم يمض وقت طويل حتى بدأ يعانى من الحمى، وفى كل مساء كانت تبتليه هجمه مؤلمة بحنجرته وقشعريرة متناوبة، وكأن دمه يشتعل فى أوردته ويخفق فى رأسه، وكان يظن أن نوبات من الملاريا انتابته، ولكن الفحوص المخبرية التى أجراها الطبيب الإنجليزى فشلت فى تشخيص المرض فضلا عن أن مادة الكينا فشلت فى تسكين حدة المرض، وقد أمره الطبيب أن يلزم فراشه حيث بقى أكثر من ستة أسابيع استمر المرض يعاوده بانتظام كل يوم ظهرا، وينحسر فى ساعات الصبح الأولى .

وقد سمح له أن ينهض فقط عندما يطلبه (كارتر) لاستشارته حول أمور مستعجلة حول المقبرة .

وفى ذاك الوقت كان يقوم بتلك الرحلة التى تبلغ عشرة أميال إلى الوادى وهو فى عربة مفتوحة كانت تنقله عبر النهر وهو متشح بقناع من الكتاذ ليحمى نفسه من الغبار، وكان يعود وهو منهوك القوى كليًا يرتجف من الحمى .

وكان (براستد) قد خطط للقيام بحملة إلى شبه جزيرة سيناء، ورغم مرضه أخذ يشتعل بجد فى أوراق البابيروس المختصة بالتشريح والحقيقة أنه كان واثقًا بمقدرته على القيام بتلك الرحلة، فقد قال : " إنه سوف يقوم بها حتى ولو محمولًا . ولكن عندها تدخل القضاء والقدر بشخص أستاذ من كندا للأدب يدعى (لافلوير) . كانت غرفة هذا الرجل بجوار حجرة براستد، وكان يحمل رسائل إلى (هوارد كارتر) . لكن سرعان ما انتابه مرض الأنفلونزا وقبل أن يشفى منه وهو

مازال فى الفراش محموم استدعاه كارتر ليرى المقبرة، فنهض وزار القبر، وفى تلك الليلة اشتد المرض على (لافلوير)، وفى الليلة التالية وفى الساعة الثالثة صباحًا توفى (لافلوير) . عندئذ عدل (براستد) عن مغامرة سيناء والتى لم تتم أبدا .

وبالرغم من أن (براستد) كان قد حطمته الحمى إلا أنه استمر فى العمل مع (كارتر) فى ناووس (توت عنخ آمون) الذى لم يكن قد فتح بعد . ولقد مضى مدة فى داخل المقبرة لم يقضها سوى (كارتر) نفسه .

فى هذه الآونة توفيت زوجة (براستد) التى كانت تصحبه فى حملاته بعد أن انتابتها حالة من النوم المتكرر لم تستفق منه أبدا .

بقى بعدها (براستد) حيًا مدة سنة ونصف فقط بعد أن أصيب بالتهاب حاد فى حنجرته حسبه عودة للملاريا، صاحبته حرارة، تبين بعدها أنه فقر دم انحلالى خبيث وكان هذا المرض فى وقتها يعتبر مرض مميت .

حوادث السيد آرثر ويجال :

هذا ملخص لما كتبه السيد (آرثر ويجال) — من علماء الآثار المصرية — نفسه فى كتابه المسمى (توت عنخ آمون)، والذى تُوفِّى بعد أن أصيب بمرض غريب، ومن قبله وبعده تُوفِّى كثيرون غيره ممن حضروا مثله فتح مقبرة الملك (توت عنخ آمون)، وكلما مات واحد قالت الصحف الإنجليزية والأمريكية إن الوفاة من لعنة الفراعنة .

١- مومياء القط

يقول (آرثر) : " فى سنة ١٩٠٩م كان اللورد (كارنرفون) ينقِّب فى طيبة فعثر على تابوت خشبى لجثمان قط محنط له أشباه فى متحف القاهرة، وكان مطليًّا بطبَقة سميكة من القطران اللامع وله عينان صفراوان وضَّاءتان، وشوارب صفراء

شائكة، ولم نهتدِ فى أول 'لأمر إلى مجرى الخط الفاصل لشِقَّى التابوت، ولكنا كنا نعرف بالتجربة أنه يجرى من الأنف إلى الرأس وعلى طول الظهر ويلف من البطن إلى الصدر، وقد حُمل هذا التابوت الصغير إلى بيتى فى القاهرة ، ووضعه خادمى المصرى فى غرفة نومى، فلما عدت فى الليل ألفيته فى وسط الغرفة على الأرض، فدققت الجرس فلم يجبنى أحد، فمضيت إلى المطبخ فإذا الخدم ملتفون بأحدهم لأن عقربًا لسعه، وكان يهذى ويتوهم أن قطًّا كبيرًا يطارده، فلم يدهشنى ذلك لأنه كان ممن حملوا التابوت الصغير إلى غرفتي.

ورقدت على السرير لأنام، وكان ضوء القمر يدخل من النافذة ويغمر القط — أو تابوته — فلبثت لحظة أنظر على عينيه المحدقتين فى الجدار، وقدَّرت عمر التابوت بأكثر من ثلاثة آلاف عام، وعجبت لهذا الشعب فى ذلك الزمن البعيد ولصنع هذا التابوت الغريب ليكون نعشًا للقط، وكان النسيم يداعب أغصان الشجر فتهتز فيرتمى ظلها على وجه القط فيبدو كأنه يفتح عينيه ثم يغمضهما، وثقل رأسى وخُيِّل إلى أن القط حرك رأسه لينظر إلى، وأخيرًا نمت، وإذا بمثل المسدس يوقظنى فاعتدلت على السرير، وإذا بقط يثب من حيث لا أدرى إلى السرير فوق ركبتى، ومن ثَمَّ إلى النافذة فالحديقة وأرانى ضوء القمر أن نصفَى التابوت قد انشقَّا، وأنهما يهتزان على الأرض كأنهما صدفتان كبيرتان فارغتان، وبينهما جثمان القط المحنط وقد تمزق الكفن مما يلى العنق، فوثبت إلى الأرض وتأملت النصفين، وأدركت أن الرطوبة هنا قد أحدثت فى الخشب تمددًا سبَّب هذا الانشقاق الذى كان مصدر الصوت الذى أزعجنى وأطار نومى، وأَدَعُ للقارئ أن يقول أكان القط الذى قفز إلى النافذة من فوق سريرى روحًا شريرًا سبَّب للخادم لسع العقرب، أم كان قطًّا حقيقيًّا واغلًا متطفلًا أزعجه صوت الانشقاق فوثب مذعورًا ؟

إن المصادفة عامل قلما نوليه الكفاية من البحث والتأمل . وليس فى هذه القصة ما يتعذر تأويله على وجه معقول .

٢- المومياء الشريرة :

ويلهج كثير من الناس بالمومياء الشريرة التى فى المتحف البريطانى، على أنها ليست مومياء وإنما هى جزء من غطاء تابوت، وقد أُرسلتْ إلى المتحف بعد أن عاثت فى كل مكان ذهبت إليه، ويقال الآن: إنها تقصر أذاها على الزوار الذين لا يولونها الاحترام الواجب، وقد أخبرتنى سيدة أنها لم ترعَ واجب الأدب حيالها؛ فكانت النتيجة أن زلَّت قدمها وهى نازلة فانكسرت ساقها.

وكتب عنها صحفى بلهجة المزاح والتَّهكم فمات بعد أيام، وقد أخبرنى المرحوم المستر (دوجلاس مري) أنه اشترى هذه المومياء فى العقد السادس من القرن الماضى، ولم يكد يفعل حتى فقد ذراعه، وتحطمت السفينة التى حملتها إلى إنجلترا، وكذلك تهشمت المركبة التى أقلتها من الميناء، أما البيت الذى أواها فاحترق وصار كومًا من التراب، وأما المصور الذى رسمها فانتحر — أطلق على نفسه الرصاص — وكانت لسيدة صلة ما بها، ففقدت كثيرين من أسرتها وتحطمت بها سفينة ركبتها بعد ذلك، ولم ينقذها — على ما روت لى — إلا أنها تشبثت بصخرة طول الليل، ولا آخر للحوادث والنكبات المقرونة بذكر هذه المومياء أو غطائها، على أنى أرى أننا نستطيع أن نفوز برضى المومياء إذا أَبَيْنَا أن نصدق هذا السوء المعزُوَّ إليها.

٣- تابوت الكاهن :

والحكاية الآتية لا سبيل إلى الشك فيها؛ فإن الدليل على صحتها صورة فوتوغرافية عندي، وخلاصتها أننا كنا نُنقِّب فى مقبرة وزير مات حوالى ١٣٥٠ ق.م فعثرنا على تابوت كاهن تدل صنعته على أنه يرجع إلى ما بعد هذا التاريخ بنحو مائتى عام، فيظهر أن الذين دفنوه هنا كسلوا عن حفر قبر له، وقد يرى بعضهم أن هذا العمل من شأنه أن يثير غضب الوزير — أعنى روحه — لأن المسئولين عن ذلك يرجح أن يكونوا قد أقصوا الوزير عن مكانه ليفسحوا للكاهن، فبات الكاهن قلقًا فى مضجعه لا تهدأ روحه ولا تستقر.

ولم تكد المومياء والتابوت يستقران فى مخزنى حتى بدأت أشعر باضطراب غريب كلما وقفت أمامهما، وما فتحت الباب عليهما مرة إلا رأيت عينى تنثنى إلى الجثة المحنطة كأنها أتوقع أن يصيبنى منها سوء، وكان هذا الشعور جديدًا لأنى أَلِفْتُ أن تحيط بى الجثث المحنطة، وكثيرًا ما نمت فى المقابر بين رفات الأقدمين، وقد يتفق لى أن أتناول طعامى من أطباق موضوعة فوق تابوت فارغ، ولكن هذه الجثة كانت تجتذب إليها لَحَظِى لسبب لا أفهمه، فكنت كلما جلست للعمل فى هذا المخزن أرانى أدير وجهى إلى حيث الجثة.

وأخيرًا حَلَلْتُ الأربطة وحسرت عن وجه الجثة ليتيسر لى بعد الفراغ من تدوين الملاحظات وأخذ الصور، أن أبعث بها وبالتابوت إلى متحف القاهرة، ثم وضعناها فى الصندوق لتذهب إلى مصر، وكان بعض النسيج الذى يغطى الوجه آية فى الجمال ؛ فأخذته ليراه أصدقاء لى كانوا فى ذلك الوقت يقيمون معى فى البيت، واتفق أن خادمًا وضع هذا النسيج على رف خزانة فى غرفة النوم وكانت مفردة لسيدة وابنتها، فبعد يومين من تجهيز الجثة للترحيل ووضع النسيج على الرف أصيبت الفتاة بمرض شديد، واشتدت وطأته عليها فقلقنا وجزعنا، وفى صباح يوم زارنا الطبيب وتركنا مشردى الذهن، فأقبلت أم الفتاة وفى يدها هذا النسيج وصاحت بى بصوت حاد: " خذ هذا واحرقه، وأستحلفك أن تعجل بترحيل هذا التابوت وإلا ماتت الفتاة".

وذهب الصندوق بما فيه إلى القاهرة ومضت الأيام بطيئة وانية، وشُفيت الفتاة، وبعد شهرين أو نحو ذلك عدت إلى الصور التى أخذتها للجثة لأُخرج منها الرسوم اللازمة، فإذا بى أجد أن خيال وجه قد اعترض بين آلة التصوير وبين الجثة! وقد يكون من المحتمل أنى رسمت صورتين على زجاجة واحدة، على أنى لا أذكر، فقد كانت أعصابى مضطربة من كثرة العمل.

٤- السيدة سميث:

ومما يرويه المستر (ويجال) أيضًا فى كتابه هذا أنه هو وأصدقاء له خطر لهم أن يمثلوا رواية يضعونها عن (إخناتون)، فاشتغلوا فى الأقصر بإعداد العدة لهذه الرواية ووكلوا إلى المستر (ويجال) أن يكتبها لهم ؛ ففعل، واتفقوا على يوم التمثيل وعلى أن يكون المكان وادى مقابر الملكات فى طيبة وانتقلوا قبل الموعد ببضعة أيام على الصحراء حيث نصبوا الخيام وأقبلوا على الأدوار يحفظونها ويجربون تمثيلها، وهنا يقول المستر (ويجال) :

" ولم تكد المسز سميث تنطق بالجمل الأولى من دورها حتى أحسَّت بألم فظيع فى عينيها، وبعد ساعتين اثنتين كانت محمومة تهذى ؛ فنقلناها فى فحمة الليل الدامس إلى الأقصر، وفى اليوم التالى قررنا أن نرسلها إلى القاهرة للتداوى من الرمد الصديدى الحاد الذى أصابها، والذى كان يُخشى أن يُفقدها البصر، وفى اليوم نفسه مرضت زوجتى مرضًا شديدًا فبعثنا بها كذلك إلى القاهرة، وفى صباح اليوم التالى أصيب المستر (سميث) بالحُمَّى، ولحقتُ به فأُصِبتُ بالأنفلونزا، أما المستر (أوجلفي) فأصيبت سيارته بصدمة انكسرت فيها ساق أمه، وهكذا لم يبقَ واحد ممن لهم أدوار فى الرواية لم ينزل به مكروه.

وظلت عينا المسز (سميث) وحياة زوجتى فى خطر بضعة أسابيع، ولطف الله بهما فشُفيتا، غير أنه لم تبقَ لأحد رغبة فى هذا التمثيل، وقد يرى بعضهم فى هذا دليلًا على سخط الأرواح المصرية، ولكن الذين قد يذهبون إلى هذا يجب أن يذكروا أن الرواية لم يكن فيها شيء من الزراية أو الاستخفاف ".

المستكشف ايمرى وهرم زوسر بسقارة :

كان (إيمري) قد قام بحفريات فى أكثر من اثنى عشر قبرًا مصريًا قديمًا، وأهمها قبر الوزير (راموس) وهو أحد شخصيات الأسرة الثامنة عشرة وذلك فى عام

١٩٢٦، وفى عام ١٩٢٩ نقل نشاطه إلى بلاد النوبة حيث كان مشاريع تنفيذ تنتظر الإنقاذ من الغرق والفناء بسبب مشروع خزان أسوان.

عيّن (إيمري) مدير التنقيب والحفريات فى عام ١٩٣٥ وكان أول عمل له تنظيف المقبرة الكبيرة التى يرجع عهدها إلى الأسرة الأولى واستمر فى هذا العمل لمدة عشرين سنة .

وبعد اعتياده على جو مصر قبل مركز دبلوماسيًا فى القاهرة، عين أستاذ للتاريخ المصرى فى جامعة لندن، وحقق بذلك التناسق بين محاضراته فى لندن وأبحاثه فى مصر .

فى تلك الآونة كانت الحياة قد دبت فى منطقة سقارة منذ عام ١٩٣٥م، وتدفق إليها الأثريين باعتبارها مدينة الموتى بالنسبة للعاصمة ممفيس، يتوجها هرم (زوسر) الذى يعد أقدم مبنى مازال قائمًا فى العالم حيث يرجع تاريخه إلى خمسة آلاف سنة.

وفى عام ١٩٦٤م بدأ فى أهم عمل فى حياته وهو البحث عن قبر (أمنحتب) العالم العبقرى فهو أول طبيب يظهر واضحًا جليًا فى التاريخ القديم وكان لديه معلومات طبية عظيمة حتى اعتبروه إله الشفاء، وكان مهندسًا للفرعون (زوسر) ووزيرًا له، وعمل كمشرف على الأشغال العامة فى مصر العليا والسفلى، وقد بنى هرم (زوسر) ويعتقد أنه اخترع تقويم (الروزنامة) والكتابة .

كان (أيمري) يعتقد أن اكتشاف قبر (أمنحتب) لا يقل أهمية عن اكتشاف قبر (توت عنخ آمون) بالنسبة لمكانته التاريخية فى عصره، وكان على يقين أنه لم ينهب ولم يمس لأن (أمنحتب) كان صاحب مقدرة هندسية رائعة وبالتالى فبالتأكيد أنه بنى لنفسه قبرًا وهو مازال على قيد الحياة، وهو يختلف عن هرم زوسر لكنه لا يقل عنه فى فخامته وروعته .

كانـت منطقـة سـقارة مملـوءة بالآثـار التـى يرجـع عهـدها إلى المملكـة القديمـة والأسـر القديمة، وكان الكثير من أبنيتها التى لم تتجاوز ثلاثة أمتـار محفوظـة بسبب أن فى زمن (بطليموس) ألقيت كتل من الحجـارة بـين الأنـصاب وبالتـالى فكـان مـن الصعب إنشاء أبنية جديدة على تلك الأرض الغير ممهدة.

كتب (إيمري) : " أصبحت مهتمًا بمنطقـة الـوادى فى أقـصى الغـرب مـن مدينـة الموتى القديمة فى شمال سقارة وذلك لأن المنطقة بأجمعها مغطاة ببقايا الفخـار الـذى يرجع عهده إلى البطالسة وتذكرنا بأم القواب فى ابيدوس وقبل انتهـاء أعـمال جماعـة التنقيـب فى عـام ١٩٥٦ حفـرت حفـرتين فى هـذه المنطقـة فظهـر لى بعـض الأعـمال الفخارية من عهد الأسـرة الثالثة ووجدت عجلين مقدسين مدفونين وبقايـا موميـاء (ابيس) فى أوانى فخارية مقفلة، وإن وجـود (ابيس) مدفونًا فى ممـرات تحـت الأرض كان معروفًا من قبل بعض المنقبين فى القرن الماضى . ولكن لسبب ما لم تعرف دلالـة وجوده مع قبور القرن الثالث، ونظرا للاعتقاد المنتشر أن قبر (أمنحوتـب) موجـود فى مكان ما فى مدينة الموتى القديمة - وهذا ما يثبته بقوة العلماء (فـيرث) و(كوبيـل) و(ريزند) فإن وجـود العجل (ابيس) أكَّـدا أن هـذا الموقـع لـه ارتبـاط محتمـل بمـدفن (أمنحتب)، وعلى أى حال فإن أحوال سطح الأرض فى تلك المنطقة تـشير أيـضًا إلى ذلك نظرًا لأن المكان مخصصًا للحج فى زمن البطالسة والرومانيين .

استمر (إيمري) فى العمل بشكل محموم واضعًا ذلك الهـدف نـصب عينيـه حتـى عثر عـلى حفـرة تحتـوى قـبرًا مـن الأسـرة الثالثـة عـلى بعـد عـشرة أمتـار مـن سـطح الأرض وقد وجد أمامه متاهة متشعبة الفروع، ممرات وبوابات من الآجـر المجفـف وعددًا لا يحصى من مومياء (ابيس) وكان مـن الواضـح أن عـدة أجيـال قـد تعاقبـت على هذا المكان . وعندما وجد (إيمري) تمثالًا من عهد بطليموس عرف أنه يـسير فى الطريق الصحيح، إذ أنه وجـد عـلى قاعـدة ذلـك التمثـال قائمـة بالأعيـاد التـى كـان

يحتفل بها على شرف إله الشفاء (وكان أحد أيام تلك الأعياد هو اليوم الذى سيموت فيه إيمري) . وفى طقوس الاحتفالات يوصف (أمنحتب) أنه هو الذى يرقد فى (ديهان العظيم) وهو كهف محبب إلى قلبه . وقد اعتقد (إيمري) أن ذلك الكهف هو المتاهة العظيمة المتشعبة الممرات تحت الأرض ولم يكن (إيمري) يشك أنه كان فى طريق اكتشاف قبر (أمنحتب) ولكنه لم يكن يعلم إذا كان هذا الأمر سيأخذ أيام أم سنوات .

إن علماء الآثار عقدوا الخناصر كما فعل (أرديان) فى متاهة كريت المينوسية لكى يتأكد أنه سوف يجرع إلى ضوء النهار من متاهة الممرات فقد عملت مصورات وختمت الأنفاق التى تم اكتشافها ولكن بعد أشهر كان (إيمري) مجبرًا أن يسلم ويذعن أنه ما من ممر قد عمله سوف يؤدى إلى قبر (أمنحتب)، وبعد شعوره بخيبة الأمل بدأ الحفر فى موقع آخر لكن لم يكن قد قدر له أن يرى أعظم انتصار له وهو اكتشاف قبر (أمنحتب) .

ففى يوم الأربعاء ١٠ مارس عام ١٩٧١ فى منطقة الحفريات الواسعة بسقارة وقف (والتر بريان ايمري) أستاذ المصريات الإنجليزى الذى كان يرأس بعثة التنقيب فى سقارة على حافة الحفرة حاملًا تمثالًا صغيرًا لإله الموت (أوزيريس) . وعندما تحرك إلى قرية سقارة بصحبة مساعده على الخولى إلى المكتب، دخل (ايمري) إلى الحمام . حينئذ سمع مساعده أنينًا صادرًا منه، وعندما فتح عليه الباب وجده منكفئًا على الحوض متجمدًا فى مكانه عاجزًا عن الحركة، فاقدًا النطق، وعندما نقل إلى القاهرة كان تشخيص الأطباء بالمستشفى البريطانى (شلل فى الجانب الأيمن من الجسم)، وفى اليوم التالى الخميس ١١ مارس ١٩٧١م مات (والتر بريان إيمري) .

وكتبت جريدة الأهرام عن هذه الحادثة ما يلى " إن هذه الحادثة الغريبة تجعلنا نعتقد أن لعنة الفراعنة الخرافية قد عادت إلى الظهور " .

لقد كان (إيمري) يعرف الكثير عن لعنة الفراعنة، لكنه كان يتجنب الحديث عنها ويتجاهلها وينكرها، بل كان يرفض التعليق عليها .

حادثة العياط مع دكتور محمد على :

أثناء التنقيب فى مدينة العياط عن أحد المقابر الفرعونية من الدولة القديمة، نزل دكتور محمد على الأستاذ بكلية الآثار جامعة عمر المختار والباحث فى الآثار الفرعونية مع أعضاء البعثة التى يرأسها دكتور (هورس إدوارد) عالم الآثار الكبير وأستاذ المصريات فى جامعة (ويلز) البريطانية إلى بئر عمقه ٨ أمتار، فى ممر طوله ٨ أمتار، وقد تناقشا سويا حول طريق السير نحو المقبرة، فأخبره أن حدْثه يقول أن هناك بئرًا آخر عمقه ٤ أمتار، يعقبه ممر طوله ٤ متر، فتعجب دكتور (هورس) من معرفة دكتور محمد لهذا الطريق ولم يكن معه ما يجزم بذلك .

ولكنه اتبع حدْث دكتور محمد وواصلا السير على حسب ما أخبره به، وفى آخر الممر حدث ما لم يكن فى حسبان مستر (هورس)، فقد وجدا هذا البئر الذى أخبره به مسدودًا، فقام دكتور محمد بفتحه، ونزلا فيه الاثنين وهنا وجدا مدخل الممر، فنظر إليه دكتور (هورس) بإندهاش وتعجب، وقال له كيف علمت بوجود هذا البئر والممر وأنت لا تملك خرائط لها، فأجابه دكتور محمد أنه حسب دراسته لطريقة الدفن وبناء المقابر فى الدولة القديمة أن الفراعنة كانوا يقومون بحفر بئر عمقه ٨ أمتار يعقبونه بممر طوله أيضًا نفس المسافة، ثم يحفرون بئرًا عمقه نصف المسافة السابقة أى ٤ أمتار ثم يليه ممر طوله ٤ أمتار، وهكذا يواصلون باقى الطريق فيأتى بعده بئر عمقه متران ثم ممر طوله متران، ثم يتبعونه ببئر عمقه متر وممر طوله متر

وبعد هذا الطريق المكون من ٤ آبار و٤ ممرات تكون فتحة المقبرة، فابتسم دكتور (هورس) وواصل معه السير وقد شعر بالثقة تجاه ما وصل إليه دكتور محمد من يقين حول خريطة المكان، وفعلًا وصلا إلى نهاية الطريق كما وصفه له دكتور محمد، وهنا عثرا على كتله حجرية هائلة وذلك فى آخر الممر، ولكن بسبب ظلمة المكان اضطرا للصعود لأعلى والخروج من المقبرة حتى ينزل العمال ويقوموا بإضاءة المكان بحبال الكهرباء ليتمكنوا من رؤية الحجر جيدًا حتى يتم تكسيره، وبعد فترة وجيزة من الاستراحة وإتمام العمال لعملية إنارة المكان نزلا الدكتور محمد فقط ومعه عدد أربعة أفراد من عمال الحفر، وبدؤوا العمل فى تكسير الحجر بالفأس الكهربائى وبعد ٣ ساعات متواصلة من العمل الشاق، أخذ دكتور محمد من العمال الفأس بعد أن استشعر الإجهاد عليهم وعند ضربه للحجر انزلقت رأس الفأس إلى الأسفل فظهر حجرًا لونه أسود، عندئذٍ حدث ما لم يكن فى الحسبان فقد انفجرت جميع لمبات الإنارة مرة واحدة وأحدثت دويًا هائلًا أصاب الجميع بالفزع، ووسط هذا الظلام الدامس طلب دكتور محمد خوفًا على العمال أن يقوموا بالانصراف خارج المكان وتتبُع خرطوم الأكسجين حتى يتمكنوا من رؤية الطريق، وبقى دكتور محمد فى الأسفل يواصل تحطيم الحجر الأسود بالرغم من عدم تمكنه من رؤيته حتى يتغلب عما ساوره من أفكار تشير إلى لعنة الفراعنة .

وبالفعل واصل العمل وانتهى من تكسير الحجر حتى وصل إلى فتحة المقبرة وقد ظن الجميع فى الخارج أنه قد مات إثر هذه اللعنه، ولكنهم عندما نزلوا ليطمئنوا عليه فوجؤوا بإنتهاءه من فتح المقبره وهو سليم لم يصبه أى شيء.

الاستفسارت التى تفرض نفسها هنا هل هذه الحادثة والتى نجا منها طاقم البعثة خاصة دكتور محمد الذى مازال حيًا يرزق حتى كتابته لهذه الكلمات تثبت أنه

لا وجود لما يسمى بلعنة الفراعنة ؟؟ أم إنه استطاع أن يوقفها لتغلبه على المخاوف ولم يترك لها العنان كما فعل من سبقه من المنقبين ممن أصابتهم اللعنة كما ذكرنا سلفا؟؟ أم أن ما حدث من انفجارات مدوية تثبت وجود هذه اللعنة ؟؟

يترك الكاتب لكم الإجابة على هذا التساؤلات .



د. محمد على أثناء لقاء تلفزيونى بليبيا

١٥ ألف قضية تنقيب عن الآثار:

الغريب فى الأمر والذى يستدعى مزيد من التحقق والدراسة والتى تؤكده محاضر الشرطة فى وقتنا هذا ؛ حوادث الإختفاء والموت الغامض لكل من ينقب بالحفر العشوائى تحت المنازل باحثًا عن كنز من الكنوز الفرعونية المدفونة وعادة ما يستأجر المنقبون، دجالين من مصر والسودان والمغرب، يقولون إن لديهم قدرة على (فك الرصد الفرعوني)، أى ما يعتقدون أنه تعاويذ فرعونية تحول دون وصول اللصوص إلى الآثار المدفونة تحت الأرض.

وأحيانا يقع ضحايا أبرياء لمثل هذه الأعمال، لأن بعض الدجالين يغالون فى الطلبات، ويزعمون أن فك رصد أثر فرعونى معين يتطلب ذبح طفل أو طفلة، أو نثر أجزاء من أحشاء آدمي، لتسهيل الوصول إلى كنز من كنوز الفراعنة، وثبت باليقين القاطع بأن ما يحدده هؤلاء السحرة والذى يطلق عليهم الكشاف يكون صحيحًا، ولكن بمجرد عثورهم على الكنز أو المقبرة تنغلق عليهم الحفرة دفنًا ويلقون مصرعهم فى الحال، ولا يكاد يمر شهر إلا ويسقط أحدهم قتيلا أسفل حفرة حفرها بحثًا عن الآثار.

وفى إحصائية لشرطة السياحة والآثار عن أكثر المحافظات فى عدد حوادث التنقيب عن الآثار تأتى محافظة قنا فى المركز الأول تليها محافظة المنيا وأسوان ثم الجيزة، فالشرقية وأخيرًا الوادى الجديد وهذه الإحصائية تكشف مدى شغف المصريين حتى الآن بالبحث والتنقيب عن الآثار، وفى دراسة بحثية قام بها لدكتور أحمد وهدان مستشار المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية عن أن هناك ١٥ ألف قضية تنقيب واتجار فى الآثار خلال خمس سنوات بما يعادل ٣٠٠٠ قضية كل عام.

الموت دفنا تحت الأنقاض:

فى منتصف أغسطس ٢٠٠٩ انهار العقار رقم ١١ فى حارة الرباعية بالهضبة الوسطى بنزلة السمان نتيجة قيام صاحب العقار محمد عمران وأربعة آخرين أسامة عبد النبي، ومختار أحمد، الشيخ عصام، وعلى بسام بالتنقيب عن أثر فرعونى تحت المنزل، وعلى عمق ٨ أمتار سقط الجميع داخل الحفرة وانهالت الأتربة عليهم، لتأتى قوات الحماية والإنقاذ بمحافظة الجيزة لاستخراج الجثث من داخل تجويف صخرى بعد بحث استمر أربعة أيام متواصلة، وتم تسليم الموقع إلى مسؤولى هيئة الآثار لاتخاذ الإجراءات بعدما تبين وجود أثار فرعونية.

فى ٢٦ من ديسمبر ٢٠٠٩ سيطرت حالة من الرعب والفزع على أهالى منطقة درب العطارين بمدينة أسيوط، بعد فشل قوات الإنقاذ السريع عن انتشال ضحايا أسفل منزل منهار بالمنطقة وترجع تفاصيل القضية إلى قيام سيد محمد محمد بخيت، ٣٠ سنة عامل مقهى بالاستعانة بأحد السحرة الدجالين والذى يطلق عليه الكشاف بالتنقيب أسفل منزله بحثًا عن كنز أثرى بعدما سيطر علية حلم الثراء السريع، والغريب فى الأمر أن ما قاله الدجال لمحمد كان صحيحًا بوجود إحدى المقابر الفرعونية التى تحوى بداخلها كنوزًا باهظة الثمن، فانطلق محمد مالك العقار وبعض أصدقاءه وأحد العمال للتنقيب أسفل العقار وعند الاقتراب من الكنز بعد ظهور بعض القطع الأثرية توغل مالك العقار ومرافقوه ومعه الكشاف لفتح المقبرة ولكن قبل أن يستخرجوا الكنز انهالت عليهم الأتربة لتبتلعهم الأرض التى أبت أن تبوح بأسرارها لهم ليظلوا عالقين داخل تلك الأنفاق حتى هذه اللحظات وتفشل قوات الإنقاذ السريع من انتشالهم .

اللعنة أقوى من الجان:

فى يوم الثامن من مارس ٢٠٠٨ بقرية أطفيح بجنوب الجيزة انتابت أهالى القرية حالة من الفزع والخوف حيث ابتلعت فوهة سرداب أربعه لصوص من محترفى سرقة الآثار أثناء تنقيبهم أسفل أحد المنازل، وتقدم أهالى القرية ببلاغ إلى مدير أمن الجيزة مفاده أن لعنة المراعنة خطفتهم وأغلقت فوهة السرداب عليهم ثم إعادته إلى ما كان عليه قبل أن يبدأ اللصوص فى حفر الأرض، وانتقلت على الفور قوات الشرطة وتم انتشال الجثث الأربعة دكرورى محمد وصالح مصطفى وسيد خليل وهمام سالم .

وكشفت التحقيقات أن أحد شهود العيان ذكر أن المجنى عليهم كانوا يترددون فى الآونة الأخيرة على دجال فى المنطقة وأنه أخبرهم بوجود كنز أثرى فى هذا المكان وسوف يسخر لهم الجان ليساعدهم على استخراجه مقابل حصوله على مبلغ مالى كبير ونسبة من الآثار .

ويذكر أن منطقة أطفيح شهدت حوادث متكررة من هذا النوع وطالب الأهالى بوضع حراسه مشدده على هذه الأماكن حتى لا تتكرر مثل هذه الحوادث وحمايتهم من الجان وسرعة القبض عليه أو من يسخره من الدجالين.

السقوط فى أحضان الكنز:

عماد صاحب بازار شهير فى شارع الهرم استعان بثمانية أشخاص للقيام بالحفر أسفل منزله بزعم البحث عن آثار على عمق متر، وبالفعل جهز العدة لذلك وبدأت عملية الحفر لكن ما أن وصل عمق الحفر إلى ١٢ متر حتى انهارت فوق رؤوس ثمانية من معاونى الحفر ليلقوا مصرعهم فى الحال ولتكتشف الشرطة الأمر وتقرر إلقاء القبض على عماد ومصادرة أدوات الحفر وفى التحقيقات تفجرت مفاجآت

عدة منها قيام هذا الرجل بمساعدة اثنين من القتلى بالعثور على آثار -فى بداية الحفر وإخفائها فوق سطح لعقار لحين التصرف فيها بالبيع أو بالعرض على النيابة التى باشرت التحقيق وقررت حبسه والتحفظ على المضبوطات والتصريح بدفن القتلى الستة عقب تشريحهم بمعرفة الطب الشرعي.

حوادث ارتبطت بلعنة الفراعنة :

التايتنك ولعنة الفراعنة:

يقال بأن التايتنك .. تلك السفينة اجبارة التى قال عنها قبطانها متباهيا لحظة نزولها إلى الماء بأن : "الله نفسه لن يستطيع إغراقها"! .. يقال بأنها كانت تحمل على متنها مومياء مصرية ساعة حلت بها النكبة واصطدمت بجبل الجليد فى عرض المحيط الأطلسي. تلك المومياء كانت تعود إلى كاهنة مصرية عظيمة الشأن فى عهد الفرعون (اخناتون). كانت المومياء ملكا للورد (سنترفيل) الذى كان عازمًا على إرسالها إلى أحد متاحف نيويورك، ولم يجد طبعًا وسيلة أكثر أمنًا من التايتنك ليرسل هكذا مومياء نفيسة على متنها. ربما أيمانًا منه بمقولة قبطانها بأنه غير قابلة للغرق. لكن على غير ما توقع اللورد والقبطان، فأن التايتنك العظيمة والمهيبة غرقت خلال ساعات قليلة فقط أثناء رحلتها الأولى! .. فهل أصيبت التايتانك بلعنة الفراعنة؟.

لقد ظهرت علامات التشويش العقلى واضحة على كل من تعامل مع هذه المومياء . فهل نظر قائد السفينة إلى هذه المومياء، وهل كانت تصرفاته الغريبة بسبب ذلك، منها خط السير الذى اختاره، والسرعة العالية غير العادية التى سار بها، وطريقته فى طلب النجدة، ثم إرجائه إعلان خطة النجاة إلى آخر لحظة .

لقد كانت هذه المومياء لكاهنة من الأقصر ذاع صيتها أثناء حكم (أمنحتب الرابع) الفرعون الذى اشتهر باسم (اخناتون)، وتعود للقرن الحادى عشر قبل الميلاد . وقد عثر على قبرها بتل العمارنة فى معبد صغير بنى خصيصا لهذه الكاهنة باسم (معبد العيون) .

كانت المومياء عند اكتشافها مزودة بالتعاويذ والتمائم المعهودة، ومن بين هذه التعاويذ، تعويذة عليها رسم الإله (أوزريس) وقد كتب عليها " افيقى من هذه الغيبوبة التى ترقدين فيها، فنظرة عينيك كفيلة بالانتصار على كل ما ارتكب ضدك "، وقد وجدت تحت رأس المومياء، وقد يعنى هذا أن ما بقى من جسد الكاهنة المصرية القديمة يتمتع بنوع خاص من الحماية .

يؤكد الكثير من الكنديين هذه الأسطورة وزادوا فيها أن تلك المومياء أرسلت إلى مونتريال بعد غرق السفينة تايتنك وغرقت فى المياه الكندية سانت لورانس ثم تم إنقاذها .

لكن هناك آخرين من الكنديين أكدوا بأنها لم تكن مومياء حقيقية بل غطاء خشبى ملون كان موجود على تابوت تلك الكاهنة مجهولة الاسم المذكورة سلفا، ويبلغ ارتفاع الغطاء تقريبا ١.٦٢م ويوجد بالمتحف البريطانى تحت رقم ٢٢٥٤٢ وإلى الآن هناك بعض البريطانيين يخشون لمسه أو الاقتراب منه لاعتقادهم بأنه سيجلب لهم اللعنة والحظ السيء .

أما صاحب المومياء فقد اعترف بأنه ترك هذه المومياء فى نيويورك ولم يطلعها على ظهر السفينة قط .

هل أدى فتح التابوت إلى انقطاع الكهرباء :

تذكر مراسلة الأخبار (فيونا بندلبري) من صحيفة دايلى إيكو البريطانية أنها شهدت حادثة غريبة أثناء تغطيتها لحدث فتح تابوت راهبة فرعونية محنطة تدعى (طحيماء) Tahemaa ولأول مرة (أنظر نموذجًا المجسم الذى بنى اعتمادًا على المسح المقطعي) . تعود المومياء إلى السلالة الـ ٢٦ وتوفيت بعمر ٢٨ سنة، حدث أمر غريب فى مساء يوم الثلاثاء عام ١٩٩٣، حينما كانت برفقة أعضاء من هيئة

بورنيماوث للعلوم الطبيعية ودهش الجميع للانطفاء الغامض لأنوار الغرفة ثم عودتها مجددًا أثناء حديث ستيفانى روبرتس عن المومياء طحيماء والتى كانت أمينة عليها . ومما زاد غموض الحادثة آنذاك هو عدم تمكن شركة الكهرباء ساوثرن إليكتريك من العثور على أى دليل يؤكد ذلك الانقطاع المفاجئ للطاقة الكهربائية فى تلك الليلة .

قصة المومياء :

من المعروف أن مومياء (طحيماء) وضعت فى منطقة الأقصر كما حدث مع الملك (توت عنخ آمون) الذى عاشت بعده بحوالى ٦٠٠ سنة ثم استلمتها هيئة بورنيماوث للعلوم الطبيعية فى عام ١٩٢٠ من متحف ساليسبرى الذى استلمها بدوره من (چون باسمور إدواردز) فى عام ١٨٨٠، ولكن لا يعرف لحد الآن من أوصلها أول مرة إلى إنجلترا .

فرضيات التفسير :

يملك (ديفيد شيد) من جماعة دورسيت لدراسة الظواهر الغامضة Dorset Mysteries Earth تفسيرًا ماورائيًا (ماوراء الطبيعة) لتلك الحادثة حيث يقول : " أنا لم أكن متواجدًا هناك أثناء وقوع الحادثة، ولكن يبدو أن شيئًا ما أتى عبر العالم الآخر وانعكست آثاره فى تلك الليلة " . ويبقى السؤال هنا : هل كان للعنة المزعومة أثر إشعاعى قوى (مجالًا كهرومغناطيسيًا) أدى إلى توقف الأنوار ؟ أم أن مومياء (طحيماء) كان فى نيتها إطلاق لعنتها المخيفة ؟؟

المأمون والهرم الأكبر:

لقرون طويلة ظلت أهرمات الجيزة تثير حيرة وفضول جميع من زاروا مصر، وكيف لا يثير هذا البناء العظيم إعجاب أى شخص ويلهب فضوله لمعرفة ما

يشتمل عليه من أسرار وكوامن. لاسيما وأن أهل مصر تعلموا بالتجربة بأن الفراعنة كانوا يدفنون كنوزهم مع موتاهم. وهكذا أصبحت تلك الخبايا الفرعونية النفيسة صيدًا ومطلبًا وغرضًا للصوص المقابر الذين ساهموا على مدار آلاف السنين فى تدمير معظم الآثار المصرية للأسف. إضافة طبعا إلى التدمير الحاصل بسبب استخدام أحجار الأهرام والمعابد الفرعونية فى بناء المدن والأسوار والقلاع الجديدة فى طول مصر وعرضها خلال الحقب التاريخية المختلفة. فبعض الرحالة القدماء ذكروا فى كتبهم بأن الجيزة كانت مليئة بالأهرام الصغار التى كانت تتناثر حول وإلى جوار الأهرامات الكبيرة، لكنها اختفت على يد الحجارين الذين استسهلوا استعمال أحجارها الجاهزة عوضًا عن اقتلاع وجلب الحجر من المقالع. ولولا عظمة الأهرامات الثلاثة واستعصاءها على معاول وأزاميل السراق والمخربين لزالت هى الأخرى مع ما زال وخرب من آثار مصر وعجائبها.

أهرام الجيزة ظلت عصية على الطامعين والباحثين والداخلين إلى جوفها حتى قدم الخليفة العباسى المأمون إلى مصر فى عام ٢١٧ هـ لإخماد ثورة المصريين الذين أرهقتهم الضرائب الفادحة وأغضبهم جور الولاة وتعسفهم. وسرعان ما أثار الهرم فضول المأمون وسحر خياله إلى أقصى درجة، فالخليفة كان معروفًا بحبه للعلم والاكتشاف، وقد زاد من فضوله ما سمعه من عامة الناس فى مصر من قصص وأساطير حول الكنوز والنفائس المخبأة داخل الهرم، فعقد العزم على قيادة حملة كبيرة لاكتشاف خبايا وأسرار هذا الصرح الحجرى العظيم. وقد كتب الأستاذ راجى عنايت فى كتابه (الهرم وسر قواه الخارقة) من أجل تتبع مسار الحملة وما توصلت إليه فى النهاية، حيث يقول :

" وفى عام ٨٢٠ ميلادية، وصل إلى علم الخليفة المأمون نبأ وجود كنوز عظيمة ومحتويات لا تقدر بثمن مدفونة داخل الهرم، فنظم المأمون حملة تضم المهندسين والمعماريين والبنائين وناحتى الأحجار. تواصل بحث الحملة لأيام طويلة عن

مدخل للهرم على امتداد جوانبه الملساء. وعندما فشلت الحملة فى العثور على مثل هذا المدخل قررت أن تحفر مباشرة فى الأحجار الصخرية التى تشكل جسم الهرم. لكن المطارق والأزاميل لم تنجح فى خدش البناء المنيع. ولم ترض الحملة بهذه الهزيمة، فعمدوا إلى تسخين جانب من أحجار الهرم حتى توهجت احمرارًا ثم صبوا عليها الخل البارد حتى نجحوا فى إحداث شق فى الأحجار ثم استخدموا آلة الكبش، وهى آلة حربية قديمة كانت تستخدم فى هدم الأسوار، وقد نجحت هذه الآلة فى تكسير الأحجار التى كانت مقاومتها قد ضعفت ".

ويمضى الكتاب ليحدثنا عن دخول رجال المأمون إلى الهرم وعن المجهود الخارق والمخيف الذى بذلوه داخل الممرات والدهاليز المظلمة التى لم تطأها قدم إنسان منذ آلاف السنين (وقد اعرضنا عن ذكر ذلك خشية التطويل والإسهاب) حتى وصلوا فى نهاية المطاف إلى حجرة الدفن الرئيسية، وهنا دعونا نعود مرة أخرى إلى الأستاذ عنايت ليصف لنا ما عثرت عليه الحملة فى تلك الحجرة الغامضة :

"وجد رجال المأمون أنفسهم داخل حجرة كبيرة حوائطها وأرضها مصنوعة من الحجر الجرانيتى الأحمر المصقول. كان طول الحجرة ٣٤ قدمًا وعرضها ١٧ قدمًا وارتفاعها ١٩ قدمًا وهى الحجرة التى تعرف حاليًا باسم حجرة الملك. أخذ الرجال يبحثون بجنون فى أرجاء الحجرة عن الكنز الذى جاءوا من أجله، فوجدوا الحجرة لا تضم سوى تابوت مصقول بمهارة من حجر الجرانيت البنى الداكن. ويقال أن المأمون، خوفًا من ثورة رجاله من أفراد الحملة، قد أوعز إلى أحدهم أن يضع بعض القطع الذهبية فى إحدى الحجرات، بحيث يكتشفها أفراد الحملة أثناء بحثهم، فتكون بمثابة التعويض لهم عن جهدهم إذا لم يسفر التنقيب داخل الهرم عن شيء.

على كل حال كانت هذه هى نهاية أول محاولة لاكتشاف سر الهرم".

حملة المأمون الاستكشافية عادت خالية الوفاض، لكن منذ ذلك الحين ظل المدخل الذى فتحه رجال المأمون فى جسم الهرم هو المدخل الرئيسى المستخدم من قبل المستطرقين والزوار والسياح لدخول الهرم حتى يومنا هذا، وهو بالطبع ليس المدخل الأصلى الذى صممه مهندسو الهرم القدماء، لكنه يعترض المدخل الأصلى اتفاقا ويسير معه، وهو أسهل للوصول وأيسر للدخول والخروج . شكل رقم (٢٠)-(٢١)

وقد ذكره الرحالة عبد اللطيف البغدادى فى رحلته إلى مصر عام ٥٩٥ هـ فقال : "وفى أحد هذين الهرمين مدخل يلجه الناس يفضى بهم إلى مسالك ضيقة وأسراب متنافذة وآبار ومهالك وغير ذلك مما يحكيه من يلجه ويتوغله، فأن ناسًا كثيرين لهم غرام به وتخيل فيه فيوغلون فى أعماقه ولابد أن ينتهوا إلى ما يعجزون عن سلوكه، وأما المسلوك فيه المطروق كثيرًا فزلاقه تفضى إلى أعلاه فيوجد فيه بيت مربع فيه ناووس من حجر، وهذا المدخل ليس هو المتخذ له فى أصل البناء وإنما هو منقوب نقبًا صودف اتفاقًا، وذكر أن المأمون هو الذى فتحه".

والسؤال هنا ما علاقة كل ما ذكر أعلاه بلعنة الفراعنة ؟

والجواب يكمن فى وفاة الخليفة المأمون المكتشف الأول للهرم، وهو أمر أثار الدهشة وجلب الإنتباه بالرغم من أنه لم يسمع عن أحد قد تطرق لهذا الموضوع سابقًا عند حديثه عن لعنة الفراعنة، فالمأمون كان قد دخل الهرم مع رجاله عام ٢١٧ هـ ولم يعش بعد ذلك سوى لأقل من سنة، فقد مات عام ٢١٨ هـ بصورة لا تقل غرابة عن موت اللورد (كارنرفون).

يقول الطبرى فى وفاته :

"ذكر عن سعيد العلاف القارئ قال أرسل إلى المأمون وهو ببلاد الروم (تركيا) وكان دخلها من طرسوس يوم الأربعاء لثلاث عشرة بقيت من جمادى الآخرة



شكل رقم (٢٠)

المدخل المصطنع الفرعى لهرم خوفو



شكل رقم (٢١)

النفق الذى حفره رجال المأمون فى هرم خوفو

فحملت إليه وهو في البدندون (نهر) فكان يستقرئني فدعاني يومًا فجئت فوجدته جالسًا على شاطئ البدندون وأبو إسحاق المعتصم جالس عن يمينه فأمرني فجلست نحوه منه فإذا هو وأبو إسحاق مدليان أرجلهما في ماء البدندون فقال يا سعيد دل رجليك في هذا الماء وذقه فهل رأيت ماء قط أشد بردًا ولا اعذب ولا أصفى صفاءًا منه ففعلت وقلت يا أمير المؤمنين ما رأيت مثل هذا قط قال أي شيء يطيب أن يؤكل ويشرب هذا الماء عليه فقلت أمير المؤمنين اعلم فقال رطب الآزاذ فبينا هو يقول هذا إذا سمع وقع لجم البريد فالتفت فنظر فإذا بغال من بغال البريد على أعجازها حقائب فيه الألطاف فقال لخادم له اذهب فانظر هل في هذه الألطاف رطب فانظره فإذا كان آزاد فأت به فجاء يسعى بسلتين فيهما رطب آزاد كأنما جني من النخل تلك الساعة فأظهر شكرا لله تعالى وكثر تعجبنا منه فقال أدن فكل فأكل هو وأبو إسحاق وأكلت معهما وشربنا جميعًا من ذلك الماء فما قام منا أحد إلا وهو محموم فكانت منية المأمون من تلك العلة ولم يزل المعتصم عليلًا حتى دخل العراق ولم أزل عليلًا حتى كان قريبا ".

طبعا قد يقول قائل بأن اللعنة ترتبط بالمومياوات وليس بالقبور . هذا صحيح . لكن الفراعنة لم يعلقوا لعناتهم على صدور مومياوات هم وإنما نقشوها على جدران المقابر التي ضمت أجساد تلك المومياوات ، والهرم كما نعلم جميعا كان مقدرًا له أن يكون قبرًا للفرعون خوفو، بغض النظر عن حقيقة دفنه فيه من عدمها.

وعليه فإن الكهنة القدماء لابد من أنهم بثوا لعناتهم وطلاسمهم في أرجاء الهرم لتصيب الأشخاص الذين ينتهكون حرمته. وهنا قد يحتج أحدهم قائلًا بأن الهرم زاره ملايين الناس خلال القرون الخالية وحتى يومنا هذا فلماذا لم تصبهم اللعنة، والجواب ببساطة هو أن اللعنة غالبًا ما تكون مصممة لتصيب أول شخص ينتهك حرمة القبر وليس جميع الناس، فعلى سبيل المثال، يقال بأن أحد المنقبين الألمان في

مصر فى أواخر القرن التاسع عشر عثر على قبر أحد الكهنة المصريين القدماء، كان القبر يحتوى فى داخله على ناووس مفتوح وفى جوفه تقبع مومياء فرعونية، وبجانب الناووس على الأرض تمدد هيكل عظمى لإنسان كانت جمجمته مهشمة بالكلمل والى جواره يقبع حجر كبير.

المنقب الألمانى شعر بالدهشة ولم يتفهم سبب وجود هذا الهيكل العظمى إلى جوار ناووس المومياء، لكنه سرعان ما أكتشف حقيقة ما جرى، فعلى الناووس كانت هناك كتابة هيروغليفية تقول : "كل من ينتهك حرمة هذا الميت ستسحق رأسه" .. أنها لعنة .. لعنة فرعونية قديمة لم يستطع لص المقابر البسيط قراءتها حينما دخل القبر لأول مرة قبل قرون عديدة. وهو لم يكن مهتما أصلا بقراءتها، إذ جاء طامعًا بالذهب والجواهر فقط، لهذا لم يتردد لحظة فى تنحية غطاء الناووس عن المومياء ثم مد يده ليسرق حليها وزينتها الذهبية، لكن قبل أن تصل يده إلى غايتها .. سقط على رأسه حجر من سقف القبر فهشمه بالكامل ليسقط اللص صريعًا فى الحال إلى جوار المومياء التى جاء ليسرقها!.

أسرار الشكل الهرمى :

إذا كان الإشعاع الأرضى والجسمانى والمادى عبارة عن طاقات فمن الممكن زيادة هذه الطاقات، وهناك تجارب تدل على أن بعض الأجسام الهندسية يمكنها أن تجمع الطاقة ثم تطلقها بشكل مركز .

هناك حادثة مشهورة للعالم الإنجليزى (بول بريتون) الذى حبس نفسه فى غرفة الملك خوفو ليلة كاملة . وفى الصباح روى للعالم أنه رأى أشباحًا . وأنه رأى جنازة هائلة، وكان هو الميت . وأن الذى رآه والذى سمعه والذى أحس به يشبه تمامًا ما يشعر به الذين يتعاطون عقاقير الهلوسة . وكادت أنفاسه تختنق حتى الموت وشعر أنه فقد عقله .

فى سنة ١٩٥٩م اهتدى أحد العلماء كان يعمل فى مجال الهندسة الإشعاعية فى براغ واسمه (درابل) إلى أن الشكل الهرمى له أثر كبير على تحنيط الجثث، وأكد بالتجربة على أن الفراعنة كانوا يعرفون مزايا الشكل الهرمى بالنسبة للأجسام الإنسانية بالنسبة للموتى والأحياء أيضًا .

وقد لاحظ عالم الأشعة الفرنسى (مارشال) بعد التجارب التى أجراها العلاقة بين شكل الهرم والعمليات الفيزيائية التى تجرى داخله . فقد استنتج (مارشال) أن الأهرامات تسرع فى عملية التحنيط والتجفيف، مثلا السمكة الموضوعة داخل النموذج الهرمى خسرت ثلثى وزنها خلال ثلاثة عشر يوميًا وقد تقلص جهاز التنفس فى خروف إلى النصف فى مدة ستة أيام، وجفت بيضة فى مدة ثلاثة وأربعين يوما من ٥٢جرام إلى ١٢جرام .

اعتمد (دربل) على تجارب مارشال السابقة، واستعمل التأثير الفيزيائى لشكل الهرم فى الكشف عن التأثير فى عملية سن موسى الحلاقة، واكتشف أن حدة أمواس الحلاقة تزداد بعد ستة أيام .

لقد أخذ هذان المثلان عن هندسة الأهرامات من الفيزياء التجريبية فهل عرف الفراعنة تطبيقات الطاقة والتى لم يستطع العلم الحديث أن يعيد اكتشافها؟ وهل يمكن لبعض الأشكال الهندسية أن تحشد بعض القوى النفسية القادرة على التسبب فى الموت ؟ لقد كانوا على معرفة بالكواكب والنجوم والدورة الحياتية وخواص المادة وأشكالها ومصادر الطاقة وتوجيهها فهل استطاع الفراعنة أن يسلطوا قوى وطاقات أخرى على الأحياء والأموات ؟ وهل استطاعوا أن يطلقوا طاقة الموت أو أشعة الموت على كل الذين دخلوا مقابرهم أو معابدهم أو قبورهم أو حركوا مومياوات هم ؟

الشيء الغريب أن هذا الشكل الهرمى يصيب العقل بالخلل (الخبل) وقد حدث ذلك مئات المرات، والمرشدون السياحيين يعلمون هذه الحقيقة فكثيرا ما صرخ السياح أو أغمى على أحدهم عندما أحس بضربة فى بطنه أو رأسه ولم يكن هناك أى أحد بالقرب منه .

البحث النووى داخل الهرم :

إن الأشعة الكونية قد استعملت فى علم الآثار، ومنذ تسلل (جيوفانى بلزوني) داخل الهرم الثانى عام ١٨١٨ ووجد مقصورة واحدة تؤلف القبر، منذ ذلك الحين وعلماء الآثار المصرية يتساءلون عن إمكانية وجود مقصورة أخرى لم تستكشف بعد، وقد كانت الدهاليز خلال الهرم بسيطة فى تصميمها بشكل عادى بعكس الدهاليز الشديدة التحول والانحراف فى الهرم الكبير الذى يحتوى على مقصورتين بدلًا من واحدة .

فى الماضى كان علماء الآثار يعتمدون على الحفريات على غير هدى لحل هذه الألغاز، لكن عالم الآثار (الفاريز) قرر فى عام ١٩٦٥ أن يستخدم الأشعة الكونية لاستكشاف هرم خفرع، وقد كان عمله مستحيلا فكيف يجد مقصورة مساحتها حوالى ١٥-٢٠ مترا مربعا خفية فى مكان ما داخل حوالى ٤.٤ مليون طن من الصخور .

بنى (الفاريز) فرضيته والتى أثبتت صحتها على أن الأشعة الكونية المتطرفة تنسحق وتدمر فى طبقات الغلاف الجوى العليا، فمن الواضح أن هناك طاقة إشعاعية متصلة بين الأرض والكون الخارجى، وهذه الطاقة فى حالة عدم السيطرة يمكن أن تؤدى إلى الدمار والموت .

وقد وضع ٣٠طن من أجهزة القياس تحت الهرم وفى زوايا مختلفة، ولأن حسب النظرية فإن الأشعة الكونية يمكنها اختراق أى شيء بما فيه الهرم فالتالى من خلال مستويات الإشعاع وقوته يمكن تحديد المقصورة الجوفاء، لأنها ستكون على نسبة . لأن الهواء لا يمكن أن يكون حاجزًا ضد مرور الأشعة بنفس القدر إذا مر فى الصخور .

وبعد هذه القياسات اقتنع (الفاريز) بأن (خفرع) بنى غرفة واحدة فقط فى هرمه لتكون قبرًا له . وقد كان استخدامه للأشعة النووية بداية لعمل الفزيائيون وعلماء الآثار سويًا فى السنوات الأخيرة .

أسـرار الأهرامات:

الأهرامات هى الأعجوبة الوحيدة الباقية دون أن تمس، ويوجد فى مصر ٦٩ هرمًا، وقد كانت صورة للتطور المعمارى والعلمى، فقد قام المهندسون المصريون بتجارب عديدة من أجل بناء الهرم ابتداءً من الملك (سنفرو) حتى الملك (خوفو)، فهل هذه الأهرامات مجرد مقابر للملوك أم أنها مخازن للأسرار العلمية والفلكية والطبية ؟

إن القياسات الدقيقة للأهرامات بددت الفكرة القائلة بأنها بنيت فى مكانها بالصدفة أو دون أى سبب .

كان إنشاء الهرم يتم التفكير به والتخطيط له قبل وضع أى حجر من أحجره، ويمكن أن يعاد النظر فى خطط التنفيذ أثناء الإنشاء والعمل .

ومن الملاحظ أن التحنيط الشديد التعقيد كان سابقًا على بناء الأهرامات، فلما بنيت الأهرامات لم يعد الحنوطى يلجأ إلى استخدام المواد الكثيرة لحماية جثمان الميت وذلك لأن الشكل الهرمى هو أنسب الأشكال لحفظ الجثث من التعفن، وحفظ

جميع اللحوم من التعفن . ومن الملاحظ أن عملية التحنيط بدأت بشكل عملى بعد أن امتنع الفرعون عن بناء الأهرام . وحتى ذلك العهد كانت العمليات التحنيطية البسيطة تفى بالغرض .

استغرق بناء هرم (خوفو) عشرين عامًا، وقد عدله المهندس ثلاثة مرات، لكن الاتجاه الجغرافى ظل ثابتًا .

ومن عجائب هذا البناء أنه وبالرغم أن الفراعنة لم يعرفوا البوصلة إلا أن أكبر انحراف للبوصلة عن الأربع جهات الأصلية هو ١٣/١ من الدرجة فقط، وكان هذا الانحراف فى الجانب الشرقى فقط للمحور الهرمى الشمالى الجنوبى . ولم يجد أحد تفسير كيف أن ١.٣ مليون قطعة من الحجر الجرانيت وزن كل واحدة منها حوالى ١٦ طن يمكن أن توضع بجانب بعضها وفوق بعضها بتلك الدقة المتناهية حتى إن الانحراف عن المخطط الأصلى البالغ طوله ٢٣ مترًا لم يتجاوز كسر المليمتر مع عدم وجود أى طين أو بلاط بين خطوط اتصال الأحجار بعضها ببعض مع عدم وجود أى شق ولو بعرض سنتيمتر واحد بين كل حجرين .

كان وحدة القياس المصرية الأساسية هى الذراع وتسمى (ال) أو (عل) وهى مؤلفة من سبعة أشبار، وكل شبر أربع أصابع، والأصبع يقابله ١.٩ سنتيمتر، والشبر ٥.٧ سنتيمتر، والذراع ٥٢.٥ سنتيمتر . وكانت القياسات تجرى بواسطة عصا طولها ذراع وبالحبال .

وقد كان الفراعنة طبقا لما ورد فى ورقة بردى (رايند) يستعملون التوابع المثلثية منذ عام ٣٠٠٠ ق.م . لم يكن الفراعنة يعرفون كيفية قياس الزوايا حتى المملكة الوسطى . فتدرج الهرم لا يعبر عنه بالدرجات بل بوحدات القياس، وذلك بحساب فرق الإزاحة بين الأحجار فى القمة والأحجار فى القعر . وعند دراسة الحسابات فى ورقة بردى يظهر أن مخطط أرض الهرم وعلوه قد أعطيت بأعداد

صحيحة بينها التدرج فى الانحدار يعبر عنها أحيانًا بكسور معقدة وبالتالى فإن الأهرامات لم تبنى اعتباطية بل هى عبارة عن أجسام هندسية بعناية .

إن تطور هذا الشكل الهرمى لم يكن عفويًا أو لمجرد تسهيل قطع الحجارة المستعملة وتحضيرها فى البناء ولا أنه مجرد سلالم إلى السماء .

إن جميع سطوح الهرم يمكن رؤيتها فى نفس الوقت فقط من الأعلى أى من الجو لذلك فإن الشمس والضوء والإشعاع والقوى الكونية الأخرى يبدو أنها لعبت دورًا فى إنشائها، فالعالم البريطانى (بروان لاندون) الذى درس هندسة الأهرامات المعمارية أثبت أن الشمس لها علاقة مباشرة ببناء الهرم، فخط الأساس فى هرم (خوفو) طوله ٣٦٥.٢٤ ذراعا وهذا هو عدد أيام السنة الشمسية فهل هذا لعب بالأرقام أم مجرد صدفة .

وبالرجوع إلى أصل علم الفلك نجد أن الشمس والقمر كانا يقدمان للفراعنة نظامًا فلكيًا وهما السبب فى نشوء علم التنجيم وذلك بمتابعة ظهورهم فى السماء وتأثيرهما الظاهر على الحوادث التى تقع على الأرض، وقد أضاف الفراعنة إليهما خمس كواكب هى زحل والمريخ وعطارد والزهرة والمشترى وكانت هى أصل العدد المقدس ٧ فهذه الكواكب السبعة هى أول سبعة آلهة .

ويقول العالم الفكلى البريطانى (رتشارد بركتور) فى كتابه عن هرم (خوفو) وذلك بعد دراسته لسنوات عديدة : " إذا أدركنا أنه فى زمن الفرعون (خوفو) أن علم الفلك لم يكن إلا علم التنجيم وهو جزء هام من الديانة فعندها نفهم لماذا كوم المصريون تلك الكتل الهائلة من الصخور " .

كان (بركتور) يعتقد أن الهرم كان فى زمن (خوفو) عبارة عن هضبة هائلة عالية وصلت إلى مقصورة الملك فى الهرم فى الصف الحجرى الخمسين، وأن هذه الهضبة كانت تستعمل لأعمال الرصد .

ومن العجيب أن أحد مداخل المقصورة الملكية فى هرم (خوفو) يطل على نجوم معينة فى أوقات معينة .

وقد اعتقد (دنكان مكنوجتون) أن مداخل الأهرامات هى أمكنة لرصد (سيروس) وهى نجمة يمكن أن تُرى فى النهار فى وقت معين فى القسم الجنوبى من الكرة الأرضية، وكان ظهوره قبل شروق الشمس يعنى بداية السنة الجديدة وفيضان النيل .

وبرصد موقع الهرم بالنسبة للشمس والظل يظهر أن المصريين كانوا يعينون النقاط الفلكية التوجيهية خلال السنة فالمثلث الشمالى للهرم يقع تمامًا فى الظل أثناء النصف الأول من السنة، ولكن عندما تبدأ الشمس فى الشروق من الشمال الشرقى والغروب من الشمال الغربى أثناء النصف الثانى من السنة فعندها يقع ضوء الشمس على الجانب الشمالى من الهرم . وهناك فترتا انتقال عندما يكون نصف الجانب الشمالى فى الظل والنصف الثاني فى الشمس وهذا يحدث قبل أسبوعين من الاعتدال الربيعى وبعد أسبوعين من الاعتدال الخريفى . وقد كان التأثير البصرى مؤثرًا فى التاريخ القديم عندما كانت أحجار الأهرامات جديدة ولامعة . وقد ظل علم التنجيم وعلم ارتياد الأهرامات جنبًا إلى جنب لعدة قرون .

إن الهندسة الرمزية للهرم الكبير أثارت اهتمام العلماء فى جميع أنحاء العالم، فتخطيط أرضية الهرم مربعة، أما البناء نفسه فهو بشكل مثلث رمزًا للثالوث المقدس (اوزيريس، إيزيس، حورس)، وهو يرتفع فوق المربع الذى يرمز إلى الأمور المادية، وقد كان المصريون يعتقدون أن الموت هو أسمى مسبب للشعور بالواجب والتأمل الذهنى، لذا جعلوا الموت يمثل بالمثلث الذى فوق مربع الأمور المادية .

وقد كان الهرم كصرح معمارى يعكس مدى المعرفة العلمية التى كان يمتلكها الكهنة والسحرة، وكيف أنهم كانوا يخضعون الفرعون فى قبره لتأثيرات معينة . وربما كانت تعقد الطقوس السرية لدفن الموتى داخل الهرم .

أما العلماء الفزيائيين فقد بحثوا فى أسرار الأهرام من خلال تخصصهم لمعرفة ما هى تأثيرات شكل الهرم ووظائفه ؟ وهل شكل الهرم يجذب أى إشعاعات كونية أو ذبذبات مغناطيسية أو أى أمواج طاقة مجهولة؟ وهل كان الكهنة المصريون يعرفون طرقًا وأساليب لتحرير طاقات هائلة فبعد احتجازها يطلقونها؟ هل الهرم يكثف الأشعة ثم يصيب بها من يزورونه ؟

وقد قام دكتور عمر جحود بتحاليل داخل هرم (خوفو) بواسطة العقل لإلكترونى - وهى إحدى تجارب (لويس أفاريز) الإشعاعية – حول الأشعة لكونية داخل الهرم وقد ذكر أن ما يحدث بداخله يناقض كل ما هو معروف من قوانين العلم والإلكترونيات .

وقد تكلم عن الأشرطة المغناطيسية التى سجلت عليها التأثيرات الإشعاعية داخل المقصورة الملكية، وقد أظهر مقياس الشدة الضوئية خطوطًا ورموزًا وأشكالًا هندسية . وكانت تلك الأشكال تتغير وتتبدل يومًا بعد يوم مع نفس الأدوات وحالات العمل . ولقد أعلن أنه ووفقًا للقياسات فهو أمام لغز محير لا يستطيع العقل البشرى إدراكه، اعتبره غموض أو أسرار .. سحر . لعنة الفراعنة، هى قوى تعمل داخل الأهرامات تناقض جميع القوانين العلمية. فلا علم فيزياء النجوم ولا علم التخاطر قادرة على معرفة ما هى هذه القوى .. هل هى طاقة نفسية وإشعاعات مادية أم شكل من أشكال الطاقة .

ومن الملاحظ أن البقاء طويلًا داخل الأهرامات يؤثر سلبيًا على التوازن لعقلى، ويمكن أن يكون هذا السبب فى تحذير المخابرات الروسية لخروتشوف من دخول الهرم .

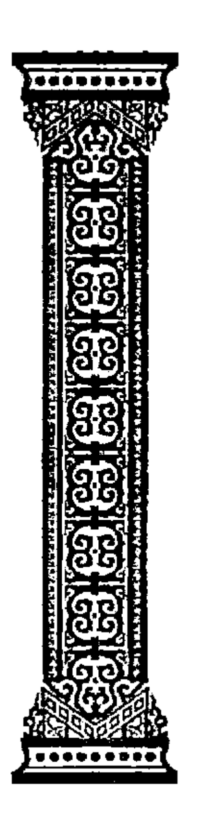
وقد طلب المكتشف (بول برنتون) من السلطات الأذن بقضاء ليلة كاملة داخل الهرم . قضاها أولا داخل الدهليز العالى الضيق الذى يؤدى إلى المقصورة الملكية

فمكث عدة ساعات، ثم جلس فى زاوية من زوايا المقصورة وفجأة شعر أنه عاجز عن التفكير بصفاء فأغلق عينيه واستسلم للرؤى والأحلام المزعجة وقد كتب عن هذا يقول :

" إن الخوف والفزع والرعب أظهرت لى بإلحاح الحقائق المرعبة فما شعرت إلا ويداى قد شدتا بإحكام دون إرادتى كأنهما فى ملزمة، وكانت عيناى مطبقتين، ولكن تلك الأشكال والخيالات الرمادية كانت تنساب أمامى رغم إطباق عينى، وتندفع كأنها الضفادع، وتدخل فى مجال الرؤية الداخلية وكنت أشعر دائمًا بدائرة من المخلوقات المعادية تحيط بى وهى مخلوقات ضخمة تشبه عناصر الطبيعة الهائلة، أشباح مفزعة ظهرت من العالم السفلى، أشكال متنافرة، مجانين أشباح ضخمة شيطانية كانت تمر باستمرار من حولى مما سبب شعورًا بالغثيان ".

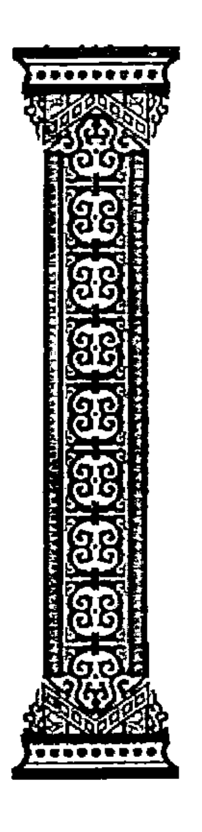
بالرغم من أن هذا المستكشف قام بالعديد من المغامرات فى حياته إلا أن هذه المرة أصيب بانهيار عصبى وشعر أن عضلاته قد تصلبت فلم يستطع أحد أن يتحرك بسهولة، وقد شعر بأن قوى شريرة كانت تسيطر على حواسه الخمس، وعندما خرج فى اليوم الثانى كانت قواه قد خارت .

لقد مات اثنان من علماء الآثار كانا قد أمضيا سنوات فى الأهرامات وقد كان موتهما مفاجئًا تمامًا . أحدهما كان (چورج زيزيز) عالم آثار أمريكى الذى اكتشف قبر أم الفرعون خوفو (هيتيفير) عام ١٩٣٩، وقد أنهار داخل الهرم بعد ٣سنوات داخل الهرم من خلال الدهليز الضيق ومات دون أن يستعيد وعيه . ولحق به عالم الآثار البريطانى السير (فلندرز بيتري) وقد كان من أكثر العلماء تمكنًا فى نظريات الأهرام فمات دون معرفة السبب عام ١٩٤٢ .



الفصل السابع

علوم الفراعنة السرية



الفصل السابع

علوم الفراعنة السرية

الرصد الفرعوني:

وسواء سقط المنقبون الحالمون بالثراء فى أيدى الشرطة أو لقوا حتفهم فى حفر السراديب، أو أصيبوا بلوثة عقلية، فإن الاعتقاد السائد بين أقرانهم الذين ما زالوا يحفرون هو أن (الرصد الفرعوني) الذى يحمى الآثار القديمة، كان أقوى منهم، وبالتالي، وبدلًا من التوقف عن تعريض أنفسهم ومستقبلهم للخطر، يبحثون عن مشعوذين يمكن أن يكونوا أكثر قدرة على إبطال مفعول لعنة الفراعنة، وأحيانًا يقع ضحايا أبرياء لمثل هذه الأعمال، لأن بعض الدجالين يغالون فى الطلبات، ويزعمون أن فك رصد أثر فرعونى معين يتطلب ذبح طفل أو طفلة، أو نثر أجزاء من أحشاء آدمي، لتسهيل الوصول إلى كنز من كنوز الفراعنة، مثل ما حدث أخيرا فى محافظة سوهاج بصعيد مصر. ولم يتم القبض على الجناة الذين ارتكبوا جريمة قتل الطفلة سوهاج وأعقبها، فى محافظة قنا مجزرة أخرى، ولا أحد يستطيع نسيان مجزرة بنى مزار فى نهاية العام ٢٠٠٥، والتى راح ضحيتها ثلاث أسر ولم تتوصل المباحث حتى الآن الى الجانى الحقيقى، فأقفلت القضية بانتسابها لمختل عقليا.

قوى الكهنة السوداء :

إن مركز الكاهن واعتباره فى مصر القديمة كان محاطًا بهالة من الأسرار والغموض، لقد اكتسب الكهنة مكانتهم واحترامهم الكبير فى المجتمع المصرى القديم، نتيجة لمعارفهم الغامضة وعلمهم السرى . فقد كان الكهنة هم الطبقة المتنورة من الشعب .

ولقد كانت هناك هوة واسعة فى التعليم، فهناك الصفوة الاجتماعية المحدودة .. يقابلها الجماهير الأمية التى تميل إلى السحر ، وبالتالى انتشرت كتب السحر التى يطلق عليها كتب الحكمة بجوار المراجع العلمية . وقد كانت المراجع السحرية موجودة فى جدار بالقرب من المومياء .

ولقد كان المصريون يُجلُّون ويقدسون مؤلفى هذه الكتب وكأنهن آلهة أرضيين او آلهة حكمة . وكانوا لا يطلقون لقب كاهن إلا على من يحفظ هذه الكتب السرية المقدسة عن ظهر قلب .

وفى المعابد حيث أطلق الكهنة العنان لأعمالهم ورغباتهم السرية يسود الصمت المطبق ولا يسمح لأحد غير الكهنة بالدخول إلى الحرم المقدس الداخلى، كانت الستائر كثيفة تمنع من تلصص العيون أو حتى اختلاس نظره، وكان الكهنة يحلقون شعورهم وحواجبهم ويمشون عراة ويرتدون فقط قطعة من جلد الأسد، وفى أثناء الاحتفالات كانت تعزف الموسيقى من أدوات نحاسية وقيثارات وتخلق جو له مذاق خاص .

لم تكن الكهانة تورث عكس الوظائف الأخرى، فقد كانت مراتبها تكتسب بالعمل والجد من قبل أولئك الذين يشغلونها، وقد كانت هناك مراتب بين الكهنة أنفسهم . ففى المملكة الحديثة كانت هناك خمس مراتب .

وحياة الكاهن (بكنيشونز) مثال يوضح مراتب الكهانة عن طريق ما سجله فى القرن الثانى عشر ق.م وبقى سالمًا وهو يظهر الطريق الذى قطعه الكاهن لينتقل من مرتبة (وهيب) وهى أدنى مرتبة كهنوتية إلى مرتبة رئيس الكهنة .

وقد تدرب (بكنيشونز) كفارس فى جيش الفرعون، وقد استطاع أن يلفت النظر لمواهبة وذكائه الممتاز، وعندما بلغ السابعة عشر قُبل ككاهن قارئ فى معبد آمون فى طيبة، وبعد أربع سنوات رُقى إلى المرتبة التالية من مراتب كهنة آمون، وكان عليه أن يظل فى تلك المرتبة اثنى عشر عامًا، وفى الوقت الذى ارتفع به إلى المرتبة الثالثة كان قد قضى من الخدمة ثلاثة وثلاثين عامًا، وقد أمضى الخمسة عشر عامًا، وعندما أصبح فى الستين سماه رمسيس الثانى (رئيس كهنة آمون)، وقد عاش حتى السابعة والثمانين .

مثل هذا الرجل كان يمثل مصدرًا من مصادر القوة والسلطة الحقيقة لكهنة رجال البلاط والعلماء، أما بالنسبة لعامة الشعب فاعتبروه ساحرًا يستطيع أن يعمل كل شيء، ولم يكن السن والوظيفة هى التى ترفع رئيس الكهنة عاليا فوق عامة الشعب، بل كانت قدرته العقلية ومهارته تلعب دورًا فى هذا المضمار .

فقد كان (بكنيشونز) بصفته رئيس الكهنة يترأس نوعًا مما يمكن أن نسميه جامعة فقد كان معبد آمون مأوى، ومدرسة للفنون ومدرسة للموسيقى وكلية للهندسة، وكانت منطقة المعبد أكبر وأغنى من قصر الفرعون، وحتى لو كان الفرعون يمارس كل السلطات المرئية إلا أن الكهنة كان بأيديهم الخيوط غير المرئية التى تحرك تلك السلطة .

الطب والسحر :

لقد وصلتنا المعلومات عن أوضاع الطب والسحر فى مصر القديمة من سبع أوراق بردى أساسية أكبرها وأشهرها بردية (ابيرز) التى تعتبر مرجعًا طبيًا كلاسيكيًا كاملًا .

إحدى البرديات تتكلم عن القوى الإلهية التى تستقر فى مدينة بوباستيس (مدينة الموتى) وكتاب الموتى الديموطيقى يشير أيضًا إلى هذه القوى الإلهية، ويتحدث عن القوى السماوية لمدينة بوباستس التى تصعد من سراديبها السرية تحت المدينة .

وترجمة اسم قاضى الموتى فى ذلك الكتاب هو (البابستى الذى يصعد من السراديب) .

هذه القوى التى يكثر الكلام عنها، لم يُسمع أنها هبت لنجدة أحد من

الأحياء . لماذا لا يمكن أن يستفيد منها سوى الآلهة أو الأموات ؟ أبسط تفسير لهذا هو أن هذه القوى ذات طبيعة سامة، يمكن أن تضر بالأحياء، بل أنها وضعت فى وجه الأحياء لحماية الموتى . وهذا يقودنا إلى أن الفراعنة كانوا يعتمدون على هذه القوى لحماية مقابرهم وهو ما يعرف بظاهرة لعنة الفراعنة .

الطبيب والكاهن والساحر كانوا شيئًا واحدًا هو الكاهن فحسب، ولم يكن (بنتو) وهو طبيب (اخناتون) الخاص مستشار الفرعون الخاص فحسب بل كان الخادم الأول لمعبد الإله (آتون)، فالسحرة رجال أقوياء يتودد الفرعون إليهم لأنهم يملكون قوى خارقة علمية لم يكن أحد قادرًا على الحصول عليها، فقد ألَّفوا فرقة دينية أو طبقة خاصة لا تقبل أن تفضى بما لديها من علم لأى شخص آخر، وقد كانت اكتشافاتهم السحرية والتنجيمية والعلمية والطبية تكتب على أوراق البردى بشكل ملفات ولفائف يرجع إليها عند اللزوم، وقد وصلت إلينا مثل هذه النصوص ابتداءً من السلالة الخامسة (٢٥٠٠-٢٣٥٠ق.م) عندما سقط الوزير (ويش بتاح) ميتًا أمام سيده الفرعون (نفيرى كار) نتيجة لضربة كما يظن، وعندها استنجد الملك بالكهنة والأطباء وجلب له صندوق خشبيًا يحتوى لفائف من أوراق البردى فيها تشخيص للأمراض ووصف علاجات سرية .

وجدت العديد من أوراق البردى الطبية كان من أكبر هذه الأوراق وأشهرها هى أوراق بردى (إيبروس) فقد كتبت فى بداية المملكة الحديثة فهى فى صفحاتها المئة والثمانية وتغطيتها الواسعة لموضوعها تعتبر مرجعًا طبيًا كلاسيكيًا .

ويأتى بعدها فى الضخامة ورقة بردى (برلين) فهى عبارة عن ٢٤ صفحة كتبت فى حوالى نهاية المملكة الحديثة، ثم ورقة (أدوين سميث)، وورقة (هرست) إذ تحتوى الأولى على اثنتين وعشرين صفحة والثانية على سبع عشرة صفحة، ويرجع تاريخها إلى حوالى ٥٥٠ ق.م .

وأقدم ورقتين هما ورقتا (كاهون) (أ) و(ب) واللتان قد كتبتا حوالى ٩٠٠ ق.م، وأخيرا ورقة بردى (لندن) ذات الثمانى عشرة صفحة، وهى من أيام توت عنخ أمون وتحتوى وصفات صيدلانية ووروقيات سحرية وهذا يثبت تلازم الطب والسحر .

وقد كانت هناك بعض الكلمات أو الطلاسم غير مفهومة، ولابد أنها بعض التعاويذ التى يستخدمها السحرة، ولا أحد يعرف أين يتلقى هؤلاء الأطباء علومهم فلم يعرفوا المستشفى، فالطب أيضًا كان واحدًا من العلوم السرية السحرية . ومعنى ذلك أن العلوم كان يتلقاها بعض الناس سرا، لأنهم يبخلون بها على الناس . ومن الوصفات العجيبة : الفئران المسلوقة، جلد الأحذية المحروقة، وضع لبن الحامل فى العين الملتهبة، وضع دم البرص على الجراح .

وتتحدث البرديات عن أرواح المدن أى أن لبعض المدن أرواحًا قوية. وأن هذه الأرواح لها سلطان أو سيطرة على الناس عمومًا، وكان الكهنة يسلطرن هذه الأرواح على الأموات، فمثلًا روح مدينة بويسطة يطلقونها لحماية المعابد والمقابر . وقد استخدموا القوى الخفية للسيطرة على الناس والأشياء، كما أنهم كانوا على علم بسر الأرقام وقوى الحروف .

وفى كتاب بردى (إيبرس) وهو كتاب سحرى طبى تتواتر الإشارة فيه إلى أسرار الأطباء خصوصًا عند مناقشة بعض العلاجات حيث يندمج الطب مع الأسرار اندماجًا كليًا، وعندما يكون الفرعون راضيًا عن أعمال الكهنة ومنجزاتهم كانت تلك الفئة تستفيد وتظل بخير، وبعد كل معركة مظفرة قدم الفرعون (رمسيس الثالث ١١٩٧-١١٦٥ق.م) لكهنة معبده ٨٦٤٦عبدًا، و٣٢ طنًا من الذهب .

وفى القرن الحادى عشر ق.م كان كهنة الإله آمون يملكون ٢٤٠٠ حقلا، و٨٣ سفينة، و٤٦ حوضا للسفن، و٤٢٠.٠٠٠ رأس ماشية، وكان العبيد تحت رحمة الكهنة الكلية وللكهنة الحق بالحكم بإعدام أى عبد، وهذا الحق لم يكن يملكه المواطنون العاديون، وكان الأطباء يجرون عمليات جراحة تجريبية على العبيد أولًا باعتبار أن هذه العمليات تبدأ بحشو الأضراس وتنتهى بعمليات فتح الدماغ، وقد سجل السحرة والأطباء نتائج هذه العمليات فى كتبهم السرية .

إن السلطة العظمى التى كان يمارسها الكهنة قائمة على الخرافات وهذه الخرافات كانت تسمح للكهنة بالسيطرة على الشعب لأن الشعب كان يتحاشى قوتهم .

وكان الكهنة الكبار يستعملون علومًا مؤسسة على السحر والشعوذة كعلم التخاطر، وكانوا يتنبؤون بالمستقبل ولم تكن معلوماتهم السحرية مكتوبة ولم يكن أحد يعرف عن هذه الأشياء سوى كبار الكهنة .

الكتب السرية :

كانت هناك فجوة ثقافية وهوة سحيقة فى مصر الفرعونية بين طبقة متنورة تمثل الكهنة والعلماء والأطباء وبين الشعب الأمى الجاهل الذى لم يكن بإمكانه تفسير أى معرفة علمية إلا بالسحر، وكانت مكتبات الفراعنة تحتوى على كتب السحر والنصوص الطبية وكتب الحكمة .

وكانت الحاجة إلى السحر تلمس فى كل مظاهر الحياة فالسحرة هم الذين كانوا على دراية بمواعيد نزول المطر وهبوب الرياح، وكانت رقاهم السحرية تحمى الفرعون من أعدائه وكذلك تحمى الرجال من الأسود فى الصحارى والتماسيح فى نهر النيل . وقد وجدت كسرة أثرية من آنية فخارية فى طيبة توضح إلى مدى كانت الرقى والتوسلات هامة .

وقد كان من التقاليد حسب المعتقدات الفرعونى وضع التعاويذ وكتابة الرقى، وقد استغل السحرة هذا لكى يستفيدوا ماديًا بمساعدة الطرق العلمية . لكن لا يمكن هنا القول بأن كل ما رسم فى المقابر من خطوط هى من قبيل السحر .

ولقد وصل الأمر أن أصبح الكهنة والأطباء متورطين بالسحر بل إن العلم كان يستعمل كدعاية لتثبيت اللاهوت، وزاد الضغط بطلب السحر وأصبحت الرقى السحرية أغلى وأكثر تكلفة .

ومن تلك النصوص التى ترجع إلى عصر الأهرامات ما يلى :

" يا آلهة الأفق إنكم إذا كنتم ترغبون بأن يحيا (آتوم) وكما أنكم تنظفون أنفسكم بالزيت وتلبسون ملابسكم أو تتناولون طعامكم فأرجو أن تمدوا له يد العون وترجعوه إلى بر الأمان، ولكن إذا لم تساعدوا فى إرجاع جثة الميت إلى السفينة فإنه سوف يمزق خصل الشعر فى رؤوسكم وكأنها براعم الأزهار فى الحقل ".

وهكذا كان للسحر دورًا كبيرًا فى الأسرار العلمية التى حيرت العالم، وربما نعود عليها المسؤولية فى تفسير غموض لعنة الفراعنة .

أسرار الآلهة القديمة :

لقد كان الشعب المصرى القديم من أذكى الشعوب التى وجدت، وهذه الحقيقة شهد بها الأصدقاء والأعداء خلال ألوف السنين، لكن التاريخ المصرى

القديم، وحتى الحواريين المسيحيين كانوا معجبين بالنبى موسى لأنه كان قد تعلم الحكمة المصرية، ومع أن لآباء المسيحيين الأولين انتقدوا فكرة (أمنحتب الرابع) فى التوحيد، إلا أنهم لم يستطيعوا انتقاد العلوم المصرية التى كانت مختلطة مع الدين . وهذا يزيل الغموض عن الديانة المصرية ويعطيها أسسًا علمية .

لقد كان المصريون القدماء يؤمنون بالحياة بعد الموت فلم يصدقوا أبدًا أن الموت هو نهاية الإنسان، ولكن لم يكن هنالك اتفاق تام حول كنه الحياة الأخرى، واستمرارها، فاعتقد بعضهم أن حياة ما تستمر فى مقصورة القبر، أما الآخرون فاعتقدوا أنها تستمر بين الطيور والجعلان وزهرة اللوتس، واعتقد آخرون أيضًا أن الأموات يحلقون فى السماء بين النجوم أو تحت الأرض حيث يوافيهم إله الشمس فى الليل .

ومما يُعد إحدى العجائب فى الديانة المصرية هى تقسيم الثلاثى الإنسانى بعد الموت، فكان أول شيء هو الجسم، وبعده الروح وتسمى (با)، وبعدها وأخيرا (كا)، وكانت (كا) عبارة عن الملاك الحارس الذى يسبب السعادة والسرور والصحة وطول العمر، وأن الآلهة والفراعنة والناس العاديين لكل منهم (كا)، وكان هنالك صور حائطية لا تعد ولا تحصى فيها رسوم مزدوجة، الواحد خلف الآخر بنفس الوضع ونفس المظهر، وكان الشخص الثانى هو دائما الـ (كا) وكانت (كا) الفرعون بها صفات خاصة لها أسماؤها الخاصة، وهكذا كان (تحتمس) الثالث يتكلم عن (الكا) خاصة ويقول : " إنها الثور الظافر الذى كان يلمع فى حلبات طيبة " .

لم تكن روح الإنسان هى المسؤولة عن الحياة بعد الموت إلا أن (الكا) هى التى كانت مسؤولة، وكان الجسم يحنط لأجل فائدة (الكا) حتى يستطيع أن يستعملها فى الوقت الذى يريد فقد كانت توضع تماثيل للجسم الكامل للميت فى قبور الفراعنة، وذلك لأجل أن تعرف (الكا) المظهر الفيزيائى لها، وبالطبع كان الطعام والشراب المتروك فى القبور غذاء لإنعاش (الكا) .

وأما (البا) فكان عنصرا شبه إلهى محصورًا فى الجسم أثناء الحياة، ولا يتحرر إلا عند الموت وتسجل ورقة بردى (برلين) رقم ٣٠٢٤ حديث أحد الرجال مع (البا)، وقد ناقش أستاذ التاريخ المصرى (ونفرد بارتا) هذا النص مع مشكلة (ابا) فى كتابه (حديث رجل مع بائه) فكتب يقول :

" إن (البا) يجب أن تشبه المتوفَّى ليس فقط فى المظهر بل فى الأخلاق والمعرفة والخبرة، ويجب أن يعرف (البا) كل ما يعرفه المتوفَّى، وإن قوته السحرية لأن يتشكل بأى شكل يرغبه كان عاملا من عوامل طبيعته الإلهية فهو سحر ولا يمكن بطال مفعوله بالسحر .

والجسم بالنسبة إليه ما هو إلا ظل أو تقمص وهنالك فرق جوهرى بين الجسم (البا)، والجسم فقط هو الذى يخضع لعملية التقمص، وذلك بجعل الجسم الحى يستطيع أن ينشد ترانيم التجسيد السحرية التى تؤهله، وتجعله قادرًا على نيل المغفرة والعفو وهو ما يحتاجه فى الدار الآخرة، و(البا) تجسيد لقوة الحياة لا تتأثر بالموت .

وعلى العموم فإن (البا) تحتاج طقوسًا من الضحايا وليس السحر المطلوب للتقمص، وذلك لتأكيد وجوده الدائم المستمر . ومع أن بعض النصوص من المملكة الحديثة تتحدث عن تقميص (البا) إلا إنها تبدو كأنها عبارة عن قضية اتحاد (البا) مع الجسم المتقمص أى الجثة أكثر من قضية تقميص (البا) نفسه .

إن (البا) ينبعث ويخرج كشخصية مستقلة عند موت الجسم فقط، وهكذا فإن النصوص القديمة تتحدث عن (البا) الحى، وتعد الميت بأن يصبح باؤه حيًا أيضًا، وإن التغيير الذى يذكر (التقمص الحي) يجب أن يفسر بأنه عبارة عن جثة متقمصة مع (با) حى، وأن القوى تهب (البا) حياة دائمة متجددة هى جزء لا يتجزأ من قوته وقدرته العملاقة التى لا تفنى ولا تموت من المفروض أنه يملكها فى الدار الآخرة، كما كان يملكها الميت أثناء حياته .

إن كل مصرى وخصوصا أولاد الميت كان من واجبهم أن يهتموا بالميت بتجهيزه وتموينه بالهدايا المادية فضلًا عن الروحية واللعنات، والرُّقى والتعاويذ ضد لصوص المقابر وكمية كبيرة من الطعام حتى إنهم كانوا يفكرون بتأمين وسائل المواصلات، فلم يكن كل إنسان يصح له مثلًا أن يعطى عربة ذهبية كما صح لـ (توت عنخ آمون)، ولكن وجدت هنالك سفينة فى كل قبر حتى ولو كانت مصنوعة من الطين فهذه السفينة تساعد (الكا) على عبور المياه التى تحيط بالحقول السماوية للمباركين المحظوظين .

ليس من السهل أن نحدد مكان وجود حقول المحظوظين هذه، وبعكس الأديان الأخرى التى تلت فإن الديانة المصرية ديانة مسالمة كما كان الشعب المصرى فى بداية تاريخه فالشمس والقمر والنجوم هى أول الأشياء التى أثارت خيال المصريين، وفيما بعد أضيفت إلى هذه الأشياء بعض الأحجار الغريبة الشكل والأشجار الوارفة الظلال، والثعابين الخطرة، والتماسيح وكل هذه كانت لها قوى إلهية مقدسة .

كانت مصر بلادًا كبيرة بالنسبة للشعب فى العصر الحجرى وعصر الحديد، فقد كان الشعب يتصور البلاد أكبر بكثير مما نتصور الآن، وهذا هو السبب الذى جعل المصريين يطلقون أسماء مختلفة على نفس الإله : فمثلا الإله الحامى كانت يدعى (سيف) فى مصر العليا و (حوري) فى مصر السفلى .

وقد كان تشكيل إمبراطورية (حورس) التى وحدت مصر العليا والسفلى تحت قيادة مصر السفلى حدثا له أهميته التاريخية العظيمة .

كانت الشمس تعبد فى هيليوبوليس وتعتبر كأعلى وأقدم كائن إلهى، وكان أقدم إله رئيسى فى مصر هو تشخيص النور وهو الإله (رع) الذى يعنى (الشمس) وقد نشأ (رع) من تزاوج الأرض والسماء (كب ونت)، الأب الأرض والأم السماء وتتجدد حياة (رع) كل ليلة فيولد كل صباح ثانية .

وكان إله الشمس (رع) فى هيليوبوليس يقابل الإله المحلى (أتوم) الذى يعنى الكل أو الكون، لذا دعيت الشمس (رع-أتون) . وقد صور (أتوم) كملك مصرى يحمل رموز الحياة والشفاء بين يديه . وقام بخلق إله الهواء (شو) وإله الماء (تيفنوت) .

وقد احتفظ (رع) بمركز الخالق واعلى قوة حاكمة طيلة التاريخ المصري، ماعدا فترة قصيرة حل محله إله ممفيس (بتاح)، وبعد الأسرة الرابعة صار ملوك مصر يحملون اسم (ابن رع) مثل خفرع ومنكاورع .

ثم أسست المملكة الوسطى حوالى عام ٢٨٥٠ ق.م، وحلت طيبة محل ممفيس، وقد ساعد الإله الصقر (مونتو) وهو إله الحرب ملوك الدولة الوسطى على النصر .

وفى بداية المملكة الحديثة حوالى ١٦٠٠ ق.م ظهر إله جديد حصل على السلطة والنفوذ فى طيبة هو أمون أى الخفى، وهو إله نسمة الهواء الخفية، وهو واحد من الثمانية آلهة الأصيلة فى (هيرموبوليس)، وقد بنى له معبد ومذبح على تل الخليقة فى الكرنك .

وقد عاش (آمون) باسم (آمون رع) بعكس الآلهة الأوائل الذين كانوا رموزا لعصر الفوضى، فأنزل مركزهم إلى العالم السفلى الماضى . وكأحد الشعوب المستنيرة الموجودة فى التاريخ، وجد المصريون القدماء بعض الصعوبات فى تخيل وتصور آلهتهم . فنظروا إلى الثعابين والأسود فى الصحراء إلى بنات آوى التى تتربص القبور، وإلى البقرات التى ترعى برفق وسلام .

وحتى يصفوا هذه الحيوانات بالصفات الإنسانية كالحب والبغض والثواب والعقاب وضعوا رؤوس حيوانات فى أجسام إنسانية . وبعد ذلك أصبح الصقر يستعمل ناحية ليضرب أو يحمى .

وتفسير عبادة الحيوانات فى الديانة المصرية القديمة تعتبر أن ما بدت كخرافة أو أسطورة تحول فيما بعد إلى تقاليد تاريخية .

وحيث كان أفراد الشعب يقارنون الإله القمر بالثور (ابيس) والآلهة (باسنيت) بالقطة فإنهم فيما بعد انتقلوا من المقارنة إلى الدمج، فاتحد (آمون) بالكبش، و(سيباك) بالتمساح، و(ثوث) بـ (ابيس) الثور، و(باستيت) بالقط ولهذا فإن الآلهة غالبيتها تملك طبيعة مزدوجة لها خصائص مزدوجة .

وكان من أهم وظائف الآلهة حماية الموتى، وقد كان حورس (ابن ايزيس إلهة الطب) يعمل كطبيب وساحر، وكان يدعى رئيس الأطباء فى منزل (رع).

وهناك قطعة من الفخار كبيرة موجودة فى ستراسبورج تحمل السطور التالية :

- إن كلمات (حورس) تغلب الموت بإبقاء كل من يقاتل لأجل كرامته حيًا .

- إن كلمات (حورس) تجدد الحياة وذلك بجعل السنوات دائمة لا تنتهى بالنسبة لأولئك الذين يزورونه .

- إن كلمات (حورس) تنقذ الرجل الذى يقف القضاء والقدر له بالمرصاد.

- إن كلمات (حورس) السحرية تجعل الإنسان يتفادى ضربات القوس وذلك بجعل السهام ترجع إلى الوراء .

- إن كلمات (حورس) تبعد الغضب وذلك بتهدئة الحواس .

- إن سحر (حورس) يشفى المرض .

أما الكلمات الأربعة الأخيرة فإنها لم تحفظ تمامًا، ولكن التأكيد على قوة كلمات (حورس)، ورقابته السحرية واضح تمامًا .

لقد واجه الكهنة المصريون مهمة شاقة وهى التناسق بين الوضع عندما اتحد الآلهة العديدون فى الأقاليم فى ممالك ثم وحُدت الممالك بعضها مع بعض فأصبحت إمبراطورية، ومن العجيب أن السحر أصبح أكثر شعبية فكل مدينة أو منطقة كان لها الإله المحلى الخاص، وكل وحدة سياسية كان يتبعها وحده دينية، وكان الكهنة الساهرون اليقظون عم الذين يقضون بتنحية أى من الآلهة وتجريده من إلوهيته، أو دمج إلهين باسم إله واحد، وهكذا أصبح (رع) و (آتوم) إلها واحدا، وكذلك (شو) و (أونوريس) أو (بتاح وسوكاريس)، وأخيرا أضيف (أوزيريس) إلى الإلهين الأخيرين حتى أنَّ أحدهم تكلم عن الثالوث الإلهى، فقد كان من الضرورى إسكات المتشككين، ودعم إرادتهم وقدرتهم الإلهية .





الخاتمة

فى حقيقة الأمر لم يكن المقصود من هذا العرض الانحياز إلى أحد الرأيين سواء الموافق أو المخالف لمسألة لعنة الفراعنة، أو حتى تبنى الدفاع عن أحدهما بتقديم الأدلة والبراهين، وكان من المهم الالتزام بالحيادية حتى تظل مساحة البحث مفتوحة لكل من شغلته هذه اللعنة .

وستبقى الأسئلة مثيرة للسعى وراء حقيقة ما يحدث من عجائب لكل من اقترب من مقابر الفراعنة ، ومومياوات ملوكهم .

ولعل هذه بعض الأسئلة التى تم عرضها من خلال فصول هذا الكتاب ستظل بلا إجابة قطعية فى انتظار الكشف عن أسرارها أو إضافة المزيد من الاستفسارات عليها لتبقى الحيرة مستمرة فى حقيقة ما يطلق عليه لعنة الفراعنة .

- فهل كانت مقابر الفراعنة فخاخ نصبت عمدًا للموت ؟

- وهل هذه اللعنة تحدث لأى إنسان له صلة بالفراعنة ؟

- هل اللعنة عبارة عن غازات سامة أم إشعاع ذرى أم مواد أخرى عجز العلم الحديث أن يصل إليها ؟

- هل الطاقة الكونية تحمى مقابر الفراعنة ؟

- هل اللعنة مجرد صدفة أى أن يموت الإنسان فى نفس الوقت الذى يجيء مع انحطاط حالة الإيقاع الحيوى ؟

- هل الخفافيش فى الدهاليز والمقابر لها دخل فيها يصيب الناس بالهذيان حتى الموت؟

- هل هناك لعنة خاصة بالملك الصغير دون لعنة الفراعنة ؟

- هل تواجد أى مومياء فى أى مكان كفيل وحده بحلول كارثة اللعنة ؟

- هل مات لصوص المقابر من التراب الذرى أم السم النباتى ؟

- هل هى تعاويذ سحرية ؟ هل هناك حروف يمكن تسليطها على الناس؟ هل للحروف قوة على الأشياء والناس ؟ هى للحروف خدام كما يقول رجال الدين وعلماء الروح ؟ هل لهؤلاء الخدام قوة غير إنسانية ؟ هل هى قوة شيطانية ؟

- هل هناك سموم أودعها المصريون مقابرهم ؟ هل هذه السموم عبارة عن هواء قاتل ام إنها معادن لها إشعاع مميت ؟ أم إنها طفيليات على جثث الموتى التى إذا لمسها الإنسان مات ؟

- هل يمكن تفسير اللعنة بأنها قوى خارقة للطبيعة ؟ أم أنه يمكن إرجاعها إلى تفاسير علمية طبية كيميائية سحرية ؟

بعد طرح كل هذه الأسئلة وعرض الإجابات عليها من خلال هذا البحث كانت النتيجة هو اليقين بأن للفراعنة أسرارهم التى لا تنتهى، يتحدون بها علماء العصر الحديث، يعذبونهم بتلك القوى العملاقة من الأسرار التى عجز العلم الحديث بغطرسته من الإطلاع على حقيقتها، ووقف أمامها عاجزًا لا يستطيع ان يجزم جزمًا قطعيًا بأن اللعنة مجرد خرافة أو أكذوبة كهنوتية سخروا بها من كل من صدقها وسببت له رعبا .

إن المصريين القدماء لم يسمحوا إلا لقلة مختارة بالمساهمة فى المعارف التى اكتشفوها، أما عامة الشعب فالعلم بالنسبة إليهم كان مغلفًا بالسرية والكتمان، وأصبحت الأقلية التى تمارس هذه العلوم من الطبقة العليا أيضا يحيطها الغموض ولا يعرف عنها عامة الشعب حتى أنهم اعتبروهم من الآلهة أصحاب المعجزات والسحر، وهذا ما يفسر سبب نقل العلماء المصريين أسرار علومهم معهم لقبورهم وبالتالى فقد اختفت ربما لألف سنة أو أكثر من ذلك وربما إلى الأبد .

والآن وبعد مرور أكثر من نصف قرن على اكتشاف مقبرة (توت عنخ آمون)، وبعد معرفة محتوياتها وكشف أسرارها ودراسة نقوشها وبعدما أصبحت حقيقة ناصعة، إلا أن قضية اللعنة بقيت لغزًا محيرًا لم يجد له العلماء حلًا ولا تفسيرًا رغم كل الجهود التى بذلت فى هذا الخصوص .

وبالرغم من طَرق المختلف من ميادين العلم من فلك وكيمياء ورياضيات حتى الانشطار الذرى وأشعة ليزر كى يقدم العلماء تفسيرًا علميًا لهذا اللغز المحير .

المراجع

١ – فيليب فاندنبرج : ترجمة خالد أسعد عيسى / أحمد غسان سبانو : لعنة الفراعنة (التفسير العلمى لظاهرة لعنة الفراعنة الغامضة) .

٢ – راجى عنايت : لعنة الفراعنة وهم أم حقيقة .

٣– راجى عنايت : الهرم وسر قواه الخارقة .

٤ – عبد اللطيف البغدادى : رحلة البغدادى إلى مصر .

٥ – محمد بن جرير الطبرى : تاريخ الأمم والملوك .

٦ – هشام عبد الحميد : كتاب الدجالين والبحث عن كنوز الفراعنة .

7- "The Mummy's Curse: Mummymania in the English-speaking World, Jasmine Day, Routledge, 2006.

8- J. Paterson-Andrews, C. Andrews, p190.

9- The Boy Behind the Mask, Charlotte Booth (quoting Donald B. Redford), p. xvi, Oneword, 2007, ISBN 978-1-85168-544-8.

10 - Curse of the pharaohs From Wikipedia, the free encyclopedia.

11 Curse of the Pharaohs.

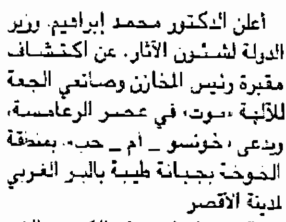
12 The Curse of the Pharaohs: Truth, Myth or Microbiology?

13 The death of Titanic and the curse of pharaohs.

14 A Picture Tour of the Great Pyramid of Giza.

15 Tutankhamun From Wikipedia, the free encyclopedia.

اكتشاف مقبرة رئيس مخازن الآلهة (موت) بالبر الغربى



أعلن الدكتور محمد إبراهيم. وزير الدولة لشئون الآثار، عن اكتشاف مقبرة رئيس المخازن وصانعي الجعة للآلهة «موت» في عصر الرعامسة، ويدعى «خونسو ـ أم ـ حب» بمنطقة الخوخة بجبانة طيبة بالبر الغربي لمدينة الأقصر

وأكد إبراهيم أن الكشف الذي حققته بعثة جامعة واسيدا اليابانية. يعد من الأهمية، نظراً لما تحمله جدران المقبرة من رسوم ونقوش متنوعة تتميز بروعة تصميماتها وألوانها. وتعكس الكشف الكثير من تفاصيل الحياة اليومية وطبيعة علاقة الزوج بزوجته وأبنائه في العصور المصرية القديمة، والذين اعتادوا على ممارسته من الطقوس الدينية.

ومن الواضح أن المقبرة المكتشفة تزخر بالعديد من النقوش، التي تزين أغلب جدرانها. وتجمع صاحب المقبرة بزوجته (مرت ـ أم ـ حب) وابنته (أيس ـ ات ـ خا)، اللذين حملتا لقب مغنية الآلهة موت، وطالب الدكتور محمد علي نائب رئيس البعثة من وزير الآثار بتشديد الحراسة علي المقبرة وتأمينها حتى الانتهاء من استكمال الكشف

كما قال الدكتور محمد علي دكتور الآثار بجامعة عمر المختار أن الكشف من أهم الحفائر لسنة ٢٠١٤.

«المؤامرة» في مواجهة «صدام الحضارات»

د. محمد علي



كان كارل بوبر، فيلسوف العلم الأكبر في القرن العشرين، قد اعتبر الحوار ممكنا بين الحضارات المختلفة، غير أنه وضع شرطين أساسيين لنجاحه يمكن اعتبارهما وجهين لعملة واحدة: أولهما هو الشعور بالثقة، وثانيهما هو الشعور بالتواضع. فالحوار يفقد كثيرا من قيمته العظمى إذا كانت إحدى الثقافات المتصادمة تعتبر ذاتها هي الأعلى والأكثر تفوقا بشكل عام، أو إذا اعتبرها الآخرون هكذا، لأن أعظم قيمة للصدام الثقافي تكمن في قدرته على استدعاء النقد. فإذا ما بات فريق مقتنعا بتفوقه، وآخر مقتنعا بدونيته، فإن الاتجاه النقدي، أي محاولة التعلم من الآخر سوف يحل محله نوع من التسليم الأعمى.

وفي ظني أن الحوار الحضاري بين العالمين الغربي المسيحي، والعربي الإسلامي لم ينقطع أبدا بطول التاريخ، بل حدث مرارا بين البنيات القائمة فعليا على نحو اتسم بالتلقائية والعفوية، وعبر عمليات سادها الأخذ والعطاء، سواء على التوازي أو على التوالي، حيث تم تبادل كل ما هو أكثر رقيا وتمدينا بين الجانبين بحسب الظروف والإمكانات عبر المراحل المختلفة، خضوعا لمنطق التقدم التاريخي. أما الخطابات الكتابية عن الصدام الحضاري فتنتمي إلى عالم الصراعات السياسية التي تغطي على هذا المنطق التقدمي أحيانا وهي خطابات تنتمي إلى (أيديولوجيا الهيمنة)، التي تبرر لكل صرف سلوك الاستعلائي لجغرافية أو عقل الطرف الآخر، أو بالأحرى تمنعه منطقا.

ففي خضم هذا الصراع السياسي وحده تتبلور مقولات الأعلى والأدنى، ولعل هذا هو ما تبدى جليا مع عاصفة الحداثة التي ساد معها وبفعلها وعي الأعلى على الجانب الغربي لدى تيار عنصري استعلائي نما في تربة المركزية الأوروبية ونزعتها الكولونيالية، كما ساد وعي الأدنى على الجانب العربي الإسلامي لدى تيار تقليدي/ سلفي، وأحيانا جهادي، يتجذر عموما في ظاهرة الخوارج التاريخية.

وهنا تصاعدت (الخطابات الفكرية) وسيطرت الهواجس السياسية المتبادلة على الجانبين، سواء تلك التي كشف عنها العقل الغربي صراحة منذ العقدين فقط في نظرية صدام الحضارات، أو التي كان العقل العربي قد استبطنها، منذ قرن على الأقل في نظرية المؤامرة. فالنظريتان على الأرجح، ليستا إلا عقدتين حضاريتين تعبر كل منهما عن نوع من التعصب للذات/ الهوية، وإن اختلفت ركائزه بين شعور بالتفوق والاستعلاء هناك يجعل الهوية معادلا للحاضر الحديث، وشعور بالدونية والخوف هنا يجعل الهوية مرادفا للماضي التليد. ولذا فقد اختلفت أشكال أو تمظهرات العقدة الحضارية على الجانبين. فالتعصب العربي للهوية يتبدى باعتبارها (أصالة السلف) حيث تعيش الحضارة العربية إشكالية الخوف من الحداثة، وما أدت إليه من طرح متوتر لطبيعة العلاقة مع منتجيها، وهو التوتر الذي قاد إلى رفضها صراحة ومشدة من قبل تيار تقليدي/ سلفي خشية تأثيرها على الأصالة العربية الإسلامية التي ينظر إليها هذا التيار وكأنها فوق تاريخية. وقد أدى هذا النمط من التعصب للهوية إلى التعامل مع التاريخ بآلية اختزالية عندما قام بتثبيته عند لحظة بناء هذه الهوية في الماضي، الذي صار هو البعد المرجعي لحركة التاريخ، وكذلك البعد المركزي بين أبعاد الزمن الثلاثة، بحيث يتم تقييم البعدين الآخرين (الحاضر والمستقبل) والحكم عليهما قياسا إليه وحده، ما يجعل من كل تحرك بعيدا عنه بمثابة حركة في الاتجاه الخطأ، وكل مسافة تفصل الأمة عنه مسافة تفصلها عن حقيقتها، تزيد فاطمئن اغترابها وتغريبها.

وفي المقابل يتبدى التعصب الغربي للهوية ممثلا في مفهوم (الحداثة) التي فهمها العقل الغربي ومارسها على أنها جوهره ورسالته التي يتوجب عليه نشرها ولو قسرا واقتحاما، وإذا فلم يتوقف عند حرية الآخر خارجه ولم يكترث بإلهاماته ورموزه، بل وقع في مأزق التناقض بين الحداثة المفترض فيها أن تؤسس لفعل الحرية، وبين الحرية ذاتها، عندما اعتدى على الآخرين واحتل أراضيهم بل نفسها، معتبرا أن الحرية له وحده، مثلما أن الحداثة إنجازه وحده.

ولابد من الاعتراف بداية بأن الوعي الغربي الحديث قد راكم (تراثا حديثا) للحرية له الحق في أن يفخر به كإنجاز تحقق له بعد إخفاقات وإحباطات شتى تولدت عن لحظات صعبة ساد التعصب بعضها، والصراع مع التعصب وضده بعضها الآخر، حتى تمكنت الحرية من الانتصار وصبغ التيار الرئيسي في الوعي الغربي، ثم الإنساني، بصبغتها.

ولكن ما يجب التوقف عنده والتشكك فيه، إنما هو إيهام الغرب بأن الحرية هي جوهر وعيه بإطلاق ولحمة تاريخه باستمرار، وأنه قد ولد ونما وتطور في سياق الغربية والحرية، منذ استطاع بروميثيوس أن يتحدى الآلهة ويسرق النار محققا إرادة واستقلال الإنسان بحسب الأسطورة الإغريقية. خطورة تلك الادعاء لا تنبع فقط من كونه كذبا على التاريخ، ولكن من دوره في صوغ المستقبل كونه يمنح الغرب مقعدا على أفق الزمن، يدفع به إلى رؤية الآخرين جميعا من موقع بدايته، مثلما يمنح الإنسان المعاصر بميزة تفحص الإنسان البدائي الذي يمثل لهذا الإنسان المعاصر نقطة انطلاق، بعد أن يكون هو نفسه قد وضع المعايير وصاغ الأقيسة التي بها يتم تعيين حدود البدائية وكذلك قواعد المدنية.

هذا الادعاء الذي يجعل من الحرية محركا أول (أرسطيا) للتاريخ هو ما يشي بمسيرة التعصب طويلة حيث يصبح الحاضر في صورته الأخيرة (الراهنة) ليس فقط هو نقطة انطلاق الغرب نحو الماضي، بل كذلك نحو المستقبل حيث تمثل مقولة صدام الحضارات محض قراءة مشوهة وغائية تهدف إلى الحفاظ على وحدة الغرب وتجانسه في المستقبل، صدرت في ظل لحظة تاريخية اتسمت بالميوعة الاستراتيجية أعقاب تداعي منظومة تحالفات الحرب الباردة لترسم مسارا جديدا للصراع، هو نفسه بمثابة أفق جديد لهوية مغلقة تنهض على التناقض مع الآخر، المسلم في هذه اللحظة. وعلى الرغم من التشابه القائم بين العقدتين على صعيد المنطلقات فإن ثمة اختلافا جوهريا بينهما تصنعه أبعاد ثلاثة أساسية تمنح لعقدة المؤامرة قدرا أكبر من المشروعية، كما تجعل لعقدة صدام الحضارات درجة أكبر من الخطورة

عين علي الجنوب

النوبة بين التاريخ والواقع !!



بقلم : د. محمد علي

كان قدماء المصريين يطلقون علي بلاد النوبة بلاد كوش وهي تمتد من أسوان وحتي مدينة سوبا والتي أصبحت تعرف بالخرطوم وحيث قامت ممالك امتد نفوذها علي وادي النيل مرورا بمصر والأردن وفلسطين حتي جنوب تركيا شمالا وكان البعض يسمي أهل النوبة بالفراعنة السود وكانت أول محاولة فعلية لاحتلال النوبة كانت في عهد الأسرة المصرية الثانية عشرة عندما غزا المصريون النوبة حتي منطقة سمنة وبنوا فيها العديد من الحصون لتأمين حدودهم الجنوبية ومنذ ذلك التاريخ خضعت النوبة للنفوذ المصري والذي يعنينا هنا هو هذا الموقع المتميز للنوبة والذي يربط جنوب مصر بشمال السودان فشعب وأهل النوبة هم حلقة الوصل التي تربط بين شعبي وادي النيل سواء علي المستوي [illegible] والجغرافي أو علي المستوي الفكري والثقافي [illegible] الموقع [illegible] سياسي هام حيث للصالح المشتركة في الاقتصاد [illegible] وحيث [illegible] الأعراق بين الشعبين فخلقت كيانا سياسيا يوحد بين المصريين والسودانيين وللأسف الشديد لم تستثمر هذا الامتياز العميق وتجاهلنا تاريخ النوبة وثقافتها واختزلنا النوبة في [illegible] السمر وبهجتهم المحلية التي لا يعرفها أهل الشمال و[illegible] بعدا وجيلا [illegible] وتقطعت أرحامنا فصرنا كالغرباء لا [illegible] من ذلك أن النوبة هي الخلفية الحضارية [illegible] ضاعت [illegible] إذا كنا قد [illegible] ثغرة عن قصد بتجاهلنا لها سنين طويلة نرجو أن تسد هذه الثغرة في عهد ثورتنا المباركة ولتكن النوبة بين أولويات اهتماماتنا وعلي رأس قضايانا القومية وفي أجندتنا السياسية بها في بؤرة أعيننا إذا كانت لنا أعين هناك.

الثورة الليبية.. الديمقراطية في ظل السلاح



بقلم:

د.محمد علي

ومعت الثورة الليبية [illegible] التي ومعتها ثورات الربيع العربي الأخرى والتي تتلخص في ضرورة [illegible] دولة القانون والمؤسسات المدنية التي تعبر عن [illegible] في المواطنة وحرية التعبير والاعتقاد [illegible] فيها التنافس السياسي [illegible] غير أن مسار [illegible] كل ثورة من هذه الثورات [illegible] عن مسار الأخرى وبالتالي فإن الثورة الليبية [illegible] هذه الثورة أخذت مسارا مختلفا [illegible] في ما يمكن أن تؤدي إليه [illegible] هذه الثورة.

كان [illegible] دورا مميزا في هذه الثورة لأنها تحولت من [illegible] إلى العنف [illegible] القذافي بالسلاح. فلو أن الثورة [illegible] في مسارها السلمي وانتصرت دون أن يواجهها النظام بالعنف المسلح لما كان للتيارات الليبية المسلحة ذلك الدور الكبير في انتصار هذه الثورة ولكن [illegible] ما لعب هذا العنصر دورا [illegible] الثورة الليبية [illegible] ما ترتب على ذلك ظهور إشكاليات سياسية عديدة في مرحلة تأسيس مؤسسات الدولة.

لعله من الأفضل البحث عن [illegible] من [illegible] هذا العنصر، أي التيارات الدينية المسلحة، إبان مرحلة الصراع [illegible] ما طرح من إشكاليات [illegible] في مرحلة [illegible] الأساسي لدولة [illegible]

لقد أطلق الكثيرون على الثورة [illegible] ثورة التكبير، ولم تكن هذه التسمية [illegible] حقيقة، فلم يكن التكبير في ميادين [illegible] مواجهة كتائب القذافي [illegible] المساجد والساحات العامة في [illegible] وكان ذلك [illegible]

لا شك أن للدين الإسلامي دورا [illegible] في تاريخ صراع الشعوب العربية مع [illegible] وكانت حالة الصراع بين [illegible] القذافي العسكرية وبين الشعب الليبي [illegible] مثالا على هذه المعادلة التي ظهر فيها دور الدين [illegible]

وكان التكبير [illegible] على الإحساس [illegible] لدى [illegible] التي [illegible] في نفس [illegible] على [illegible] كان التكبير من [illegible] ساحات [illegible] وهو ما [illegible] على [illegible] تحول إلى [illegible] حالة من [illegible] والزخم الجماعي [illegible] مشاعر [illegible] في مواجهة كتائب القذافي.

لقد [illegible] الدين في الثورة الليبية باعتباره جزءا من [illegible] والتاريخي الذي [illegible] كما [illegible] بالجماعة [illegible] إلى [illegible] كل ما [illegible] لإبقاء روح التحدي والثورة.

[illegible] في الثورة الليبية لم يقتصر على [illegible]

[illegible] كتائب [illegible] الإسلامية [illegible] في [illegible] كبيرة [illegible]

[illegible]

[illegible] وحق [illegible] الديمقراطية؟ [illegible] والإرهاب [illegible]

[illegible] الدولة الإسلامية [illegible] والأفضل لكل الليبيين [illegible]

[illegible] السلطة [illegible]

كان [illegible] الاختلاف [illegible] موضوعا [illegible] في مفهوم الديمقراطية التي لا [illegible]

[illegible] الاختلاف [illegible] في الثورة [illegible] السلاح [illegible] في الثورة [illegible] المرحلة الأولى [illegible]

[illegible] في [illegible] لحوار بين [illegible] على [illegible] مع الثوابت والإسلاميات.

٢- أحد أطراف الاختلاف مسلح [illegible] السلاح في الثورة لم [illegible] الانتقال إلى [illegible] بناء مؤسسات الدولة [illegible] هذا الواقع [illegible] على [illegible] المسار [illegible]

الاحتمال الأول أن [illegible] سلاحهم [illegible] بناء الدولة [illegible] السلاح [illegible] الليبيين [illegible] المؤسسات [illegible] إلى [illegible] لأنه لم [illegible] من الأذهان

الاحتمال الثاني أن [illegible] بناء مؤسسات الدولة [illegible] المستقبل [illegible] في تأسيس [illegible] والسلطة [illegible] السلاح من [illegible] هؤلاء الثوار.

[illegible] ما يجعل الكثيرين [illegible] الوصول إلى مثل هذا الوضع الذي [illegible] المؤسسات لا [illegible] لا يتخلون عن سلاحهم [illegible] التيارات الأمنية [illegible] مؤسسة [illegible] الكثير من هذه الكتائب [illegible] الجيش الليبي [illegible] في واقع الأمر [illegible] باستقلاليتها وقياداتها [illegible] العلاقة بين [illegible] علاقة تعاون وليست علاقة [illegible] على [illegible] والربط [illegible] العسكرية.

كما أنها ما تزال ترفض حل [illegible] لكي [illegible] الجيش الوطني [illegible] هؤلاء [illegible] جملة من [illegible]

أولا [illegible] الكتائب إلى [illegible] على ظهور تشكيلات [illegible] وأخرى [illegible]

[illegible]



السفير.. عاشور حمد بو راشد مندوب ليبيا الدائم لدى جامعة الدول العربية.. الكل يعلم بأنه كان يعمل محاميا وكان معارضا للنظام السابق طوال الـ ٤٠ سنة الماضية ورفض التعامل معه حتى قامت الثورة الليبية ليجد نفسه على رأس مجلس محلي مدينته وبعد إسبوع في المجلس الوطني وبعد ٤ أشهر رشح ليشغل منصب سفير ليبيا في مصر ولكنه رفض في ذلك الحين لظروف ليبيا في هذه الفترة الحرجة والتلمس الشخصية أن هذا الوقت غير مناسب لترك ليبيا واستمر في موقعه بالمجلس الوطني الانتقالي حتى تمت الانتخابات في ٢٠١٢م وسلمت المهمة من المجلس الانتقالي للمؤتمر الوطني وعندها استلم السفارة الليبية في مصر لمدة ١١ شهرا بعدها كلف كمندوب دائم لليبيا في جامعة الدول العربية في شهر ابريل الماضي.

السفير... عاشور حمد بو راشد مندوب ليبيا لدى جامعة الدول العربية لـ «أخبار الأسبوع الدولية»:

رفضت منصب السفير بسبب الظروف الحرجة التى كانت تمر بها ليبيا

لا خوف على العلاقات المصرية الليبية بسبب علاقات الدم والجوار

الشعوب هى التى تملك مصيرها الآن حتى ولو اختلف الحكام

بقلم: د.محمد علي

عملت محاميا وكنت معارضا للنظام طوال الـ ٤٠ سنة الماضية

بعد تسلم المؤتمر الوطنى للسلطة قبلت منصب السفير ثم المندوبية

كافة الاختناقات والمشاكل التى تمر بها المنطقة العربية فى اقتصادية

يجب الا نعتمد على البترول والتنمية البشرية هى أساس النمو الاقتصادى للدول

(إهداء إلى الكابتن طيار عادل عبد الكافي – أول طيار رفض أوامر القذافي عندما طلب منه قذف المدنيين في تشاد وهبط بالطائرة الى مصر طالبا للجوء السياسي وفي اعتقادي الشخصي أنه أول ثائر ليبي يرفض الديكتاتورية منذ ٢٧ سنة)

الفهرس

الموضوع	الصفحة